# مذكّرات طيّار مُقاتل

# مسارات إلى سماء الحرية

BOUZID RACHID – RAFAR ©

ردمك: 978-9931-462-32-3

الإيداع القانوني: جانفي 2026

# المقدم محند طاهر بوزغوب

# مسارات إلى سماء الحرية

جمعها:

## مصطفى آيت موهوب

المراجعون

البروفيسور عبد الستار حسين

الدكتورة طيطوش حدة

الدكتورة طوبال فاطمة الزهراء

RAFAR

# الإهداء

إلى الطيارين من دفعتي لسنة 1957:

- يحي رحال
- مصطفى دويابي
- لوناس بوداود
- رابح شلاح
- إسماعيل أويحي

إلى جميع إطـــارات سلاح الطيران، الذين تكونو أثناء الثورة الجزائرية، تحت قيادة نوار رابح، ومن بينهم سعيد أيت مسعودان.

إلى ذكرى جميع المحاربين الشهداء من أجل استقلال الجزائر و كل الذين ساهموا في تشيد الدولة الجزائرية:

صورة ملتقطة في سي شاشوان سنة 1959
سي محند الطاهر على طائرة تدريب لطلبة السنة الثالثة

الخـاتمـة
الصفحة 189

المـلاحـق
الصفحة 190

ناجي من سقوط الحماديين 16
التعليم تحت رعاية جدي مولود 20
تحت حماية العم الطيب 22
رحلة استهلالية إلى بني أورتيلان 25
قطعة شوكولاطة مقابل طائرة ورقية 28
كانون القبايل» وحكايات الجدات 30
من الزاوية التقليدية إلى المدرسة الحديثة 32
الظلم الذي لحق بالمعلم بوشمال 34
درس التاريخ وصفعة من المعلم 35
انتصار الوطنيين والانتقام 36
الاستبعاد من امتحان نهاية المرحلة الابتدائية 37
اللجوء إلى زاوية الشيخ يحي العيدلي 38
أناشيد وطنية وأعمال انتقامية للقايد سماتي بولنوار 42
تنظيم الرحلة الى تونس 48
القطار إلى تونس 49
بحثا عن يحي بوعزيز 50
أيام البؤس في تونس 51
إتمام سنة الدراسة بنجاح 53
العضوية المبكرة في جيش، وجبهة التحرير الوطني 55
لالتزام تجاه جبهة وجيش التحرير الوطني 56
إجراءات الانخراط الأولى في صفوف التنظيم الثوري 58
في الطريق إلى الحدود الجزائرية – التونسية 62
الدخول للبلاد عبر الجبال 64
أول ظهور للعدو في «قرن الكبش» 66

# الفهرس

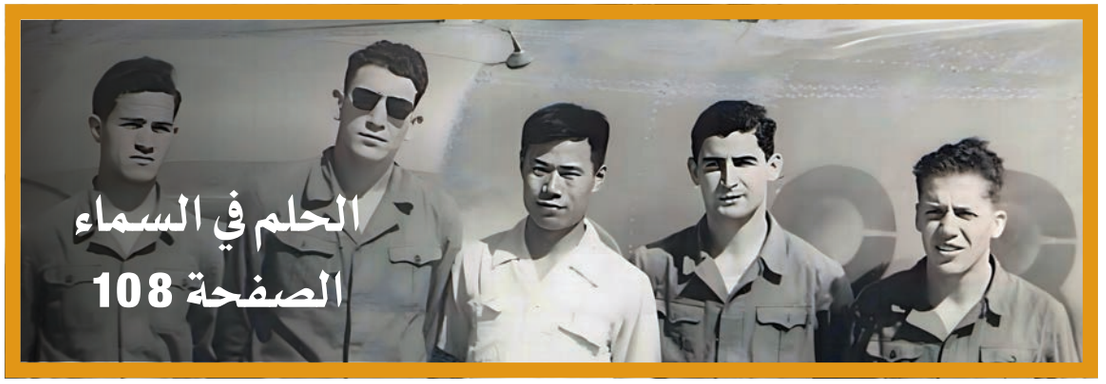

في «أرقو»... عرين رجال النمامشة المقاومين 68
الرغبة الشديدة في الالتحاق بجبال الأوراس 70
المقاتل المثالي سي علي النموشي 74
التوقفات وقصص المعارك 76
المرحلة الأخيرة قبل الأوراس 79
عطر الأوراس 80
لقاء مع عباس لغرور 82
لقاء بين لغرور وعجول 90
محنة السجن 94
عميروش في الأوراس 98
الأوراسيون في منطقة القبائل 102
إقامة قصيرة في القاهرة 110
أول دفعة طيارين في سوريا 118
أكاديمية الطيران الصينية 142
الوجهة نحو العراق ثم روسيا 160
ميلاد القوات الجوية الجزائرية 170
أول تجربة في السماء على الحدود الجزائرية-المغربية 174
جوان 1967، أسطول جزائري شاب يدعم مصر 176
أكتوبر 1973، العودة إلى المرجل المصري 180

# مقدمة

بعد صراع مرير انتهى بافتكاك الاستقلال من مخالب استعمار فرنسي، مفسد وبغيض، أصبح لدى الجزائريين رغبة ملحة في الغوص في أعماق حوليات هذه الثورة التحريرية، التي تم تمجيدها ولمرات عدة عبر العالم، لشجاعة من خاضوها، والتي لازالت ليومنا هذا مصدرا تغذي فصول الرواية الوطنية التي تثرى في كل مرة بالشهادات الثمينة لصانعيها.

تندرج رواية محند طاهر بوزغوب ضمن سياق الحفاظ على الذاكرة الوطنية، لكونها منجزة وفقا لما يمليه الضمير في مثل هذه الحالات، بهدف استعادة مراحل مشواره ضمن صفوف جيش التحرير الوطني، من دون الانسياق ضمن أحداث في رواية بعيدة عن الواقع أو في مسار تمجيدي للذات.

إنها شهادة مستنيرة عن حلقات متماسكة، عايشها خلال هاته الفترة التراجيدية من تاريخ الجزائر. يعود محند طاهر في روايته بعيدا إلى طفولته، التي عاشها في ظروف الحرمان، والإقصاء المسلط على السكان الأصليين من طرف النظام الاستعماري.

أعطى في شهادته أولوية للهياكل التعليمية التقليدية، التي ساهمت بشكل كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية والتي تم استهدافها من طرف من يحملون معاول التغريب كما حاول النظام الاستعماري محوها من الوجود.

إن هذه الهياكل قد ساهمت بقوة في إبقاء شعلة الهوية الوطنية حية، التي ومن خلال هذا الامتحان المرير استطاعت أن تكتسب نوعا من المناعة.

كما سيخلص في روايته إلى التأكيد على دور الزوايا الحيوي في النضال ضد المخططات«الاغترابية» للاستعمار التي كانت تستهدف الشعب الجزائري، وعلى حربها ضد الهيمنة الثقافية.

ونوه المجاهد محند طاهر كذلك بمثابرة المرأة الجزائرية من أجل الحفاظ على الذاكرة الجماعية، كما ساهمت هذه المرأة- حسبه- من منطلق كونها تنتمي الى حراس التراث وآثار الأسلاف، والذي توارثه الجزائريون جيلا عن جيل، في الحفاظ على هذا الارث الثري، والحيوي في نفس الوقت، من الهجمات المضادة، والمنظمة بإحكام من طرف أولئك الذين يمتهنون حرفة تحريف وتزييف التاريخ.

كان محند طاهر بوزغوب يسبح في فضاء من الحنين إلى الماضي، كلما تذكر حكايات الجدة أو الأم التي كانت تروى بكثير من الإحساس، والتمسك بالذاكرة.

وبذلك استطاع أن يسلط الأضواء على قوة تلك الحكايات الرائعة في خلق مخيال جماعي، وفي إيصال الذاكرة المتعلقة على وجه الخصوص بالمقاومة الملحمية لشعبنا للغزاة عبر التاريخ، للأجيال المتعاقبة.

ونوه بذلك بمكانة المرأة من منطلق كونها بحق العمود الفقري للعائلة التقليدية، والتي كانت بمثابة الحارس على روح الأمة الجزائرية.

علاوة عن المواضيع المرتبطة بالتربية، والثقافة، فإن شـهادة هذا المجاهد تكتسـي أوجه عدة، تسلط فائضا من الضوء على حلقات بارزة من الحرب والتي لم يتم استكشافها إلا جزئيا.

ويولـي المجاهـد محند طاهر أهمية بالغة لمسـألة تكويـن المقاتلين والاطـارات خلال الثـورة، وبمبادرة من مؤتمر الصومام الذي سعى ليعطي للثورة أدواتها العملياتية وهياكلها السياسية، والعسكرية اللازمة من أجل مواصلة الكفاح المسلح.

وأسـهم هـذا الخيـار الحكيـم في تشـكيل نخبـة كفـؤة، مدنيـة، وعسـكرية، خلال الثـورة الجزائريـة .وكان لهـذه النخبـة دورا بليغـا في عمليـة البنـاء بعـد اسـتقلال الجزائـر.

إن المشـاريع المنبثقـة عـن مؤتمـر الصومـام بمـا فيهـا تكويـن الإطـارات ضمـن مـدارس ومعاهـد تكويـن عسـكرية مرموقـة في الخـارج، قـد أضفـت علـى هـذا المؤتمـر خصوصيـة هامـة

وكان لهـذه المبـادرات تأثيـرا إيجابيـا علـى عمليـة بنـاء الدولـة الجزائريـة المسـتقلة، وذلـك بتزويـد جيشـها الوطنـي، الـذي كان طـور التشـكيل، بمهـارات في جميـع الميادين، أي في سلاح المشـاة أو البحريـة أو الطيـران. وقـد تـم تكويـن إطـارات مدنيـة كذلـك في جامعـات مرموقـة بالمشـرق العربـي وفي اوروبـا الشـرقية وفي بعـض الحـالات في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة كذلـك .يتنـاول محنـد طاهـر بوزغـوب بفخـر تجربتـه كطالب–ضابـط طيـار علـى مقـاتلات حديثـة، كمـا يسـرد في مذكراتـه جوانـب وأحـداث مـن رحلاتـه إلـى مصـر وسـوريا، والصيـن والاتحـاد السـوفياتي والعـراق ،...إن الإطـارات التي تـم تكوينهـا خلال الثـورة الجزائريـة، ستشـكل النـواة الأولـى للقـوات الجويـة الجزائريـة للجيـش الوطنـي الشـعبي.

كما لعبت هذه الاطارات دورا نشـطا أثناء حربي 1967، و1973 ضد الاحتلال الإسـرائيلي، وكذلك في الدفاع عند حرمة الحدود الوطنية ضد الاعتداءات المغربية.

و تساهم كذلك هذه المذكرات في تغيير الصورة النمطية التي التصقت بالمجاهد والمتمثلة في ذلك الرجل الذي يرتدي جلابة (قشابية)، ويحمل بندقية صيد في يده.

و يعطـي محنـد طاهر هنا مثـالا عن التوجهـات الحداثية لثورة التحريـر الكبرى، من خـلال مفهومها للمقاتل المتكـون والمنفتح على تحصيل المعرفة والتقنيات الحديثة ليسـتعملها قدر الامكان في الكفاح من أجل اسـتقلال بلاده، وليسخرها من أجل بناء هياكل وبناء الدولة المستقلة.

من قرية«الماين»، الواقعة في طيات جبال البيبان الى جبال الأوراس وبعدها في قيادة طائرات مقاتلة حديثة للذود على حرمة التراب الوطني، سـيتماهى مسـار المجاهد محند طاهر بالكثير من التناغم مع قدر جيل كامل استطاع أن يكسر أغلال استعمار بغيض بفضل انخراطه الكامل في الكفاح من أجل الحرية.

سيجد قسم كبير من هؤلاء الشبان نفسه مجبرا لرفع تحدي آخر يتمثل في العمل من أجل تنمية بلاد حديثة الاستقلال وهو المسار الذي انخرط فيه محند طاهر بوزغوب من دون حسابات.

مصطفى آيت موهوب

# مسارات إلى سماء الحرية

# تقديم

الحمد لله الّذي جعل الذاكرة الوطنية وديعةً مقدسة في وجدان الأمة، وحوّل تضحيات المجاهدين إلى مشاعل نور تهدي دروب الأجيال، والصلاة والسلام على من أرسى في الإنسانية معاني الحرية والكرامة والعدل.

يشرفني أن أقدّم لهذا العمل التوثيقي الفاخر الموسوم بـ «مسارات إلى سماء الحرية: مذكرات طيار مقاتل»، وهو كتاب يستعيد صفحة ناصعة من صفحات تاريخ الجزائر المجيد، ويوثق لمسار أحد رجالاتها الأوفياء، المجاهد والضابط الطيار محند الطاهر بوزغوب، أحد الإطارات الّتي تفتحت كفاءتها في رحم الثورة التحريرية المباركة، ضمن الرؤية الاستراتيجية العميقة لجبهة التحرير الوطني، الهادفة إلى بناء الإنسان الجزائري علميًا وعسكريًا، وتأهيله لحمل أمانة التحرير وصون السيادة الوطنية.

لقد وعَت قيادة الثورة، منذ بدايات الكفاح المسلح، أنّ معركة الاستقلال لم تكن معركة سلاح فحسب، بل معركة وعي وكفاءة وتخطيط بعيد المدى، فكان الاستثمار في التكوين، وصناعة الإطارات المؤهلة، خيارًا استراتيجيًا يعكس نضج المشروع الوطني وعمق أبعاده. ويجسّد المسار النضالي والمهني للطيار المجاهد بوزغوب نموذجًا حيًا لهذا التوجه الرائد، بما يحمله من التزام صارم، وتضحية نادرة، وإيمان راسخ بعدالة القضية الجزائرية.

إنّ هذا الكتاب لا يكتفي بسرد تجربة شخصية متميزة، بل يفتح أمام القارئ آفاقًا أوسع لفهم الجهد المنظم الّذي بذلته جبهة التحرير الوطني في ميدان التكوين والتأهيل، ويبرز كيف أسهمت هذه السياسة الثورية الواعية في وضع اللبنات الأولى لدولة جزائرية مستقلة، تقوم على الكفاءة، والانضباط، وروح المسؤولية، والولاء للوطن، كما تختزل هذه الصفحات مسار جيلٍ كامل، وُلد في كنف الاستعمار، وعاش مرارة الإقصاء والحرمان، وتفتّح وعيه الوطني في القرى والمدارس والزوايا، قبل أن يلتحق بصفوف الثورة، مؤمنًا بأن الحرية لا تُستجدى، بل تُنتزع انتزاعًا، فمن قرية إلماين بولاية برج بوعريريج، إلى رحاب الزوايا ومقاعد العلم، ثم جامعة الزيتونة، وصولًا إلى ميادين الجهاد في الولاية التاريخية الأولى، تتشكّل ملامح شخصية مجاهد صاغتها القيم الوطنية، وربّتها العقيدة التحررية.

ويضيء هذا العمل كذلك جانبًا نوعيًا ومهمًا من تاريخ جيشنا الوطني، من خلال مساهمة المجاهد بوزغوب في مسار التكوين العسكري المتخصص، وكونه من بين الطيارين الأوائل الذين أسهموا في بناء نواة القوات الجوية الجزائرية، وتكوينه في مدارس ومعاهد عسكرية بعدة دول شقيقة وصديقة، قبل أن يواصل أداء واجبه القومي، بعد الاستقلال، بالمشاركة المشرفة في الدفاع عن القضايا العربية العادلة، ولا سيما خلال حربي 1967 و1973 ضد الكيان الصهيوني.

وإذ تحتضن وزارة المجاهدين وذوي الحقوق هذا العمل التوثيقي القيّم، وتثّمن صدوره في حلة فاخرة تليق بمضمونه ورسالته، فإنها تجدّد التزامها الثابت بصون الذاكرة الوطنية، وتشجيع المجاهدين على تدوين شهاداتهم، باعتبارها مصادر أصيلة للتاريخ، ومرجعًا لا غنى عنه للأجيال الصاعدة، يعزز قيم الوطنية، والتضحية، والوفاء لرسالة نوفمبر الخالدة.

وفق الله القائمين على هذا الجهد المبارك، وجعله إضافة نوعية في مسار توثيق تاريخنا المجيد، ولبنة راسخة في صرح الذاكرة الوطنية.

رحم الله شهداءنا الأبرار،
وحفظ مجاهدينا الأخيار،
ودامت الجزائر حرّة، أبية، وفية لتاريخها ومبادئها.

وَزِيرُ المُجَاهِدِينَ وَذَوِي الحُقُوقِ

عَبْدُ المَالِكِ تَاشَرِيفت

الفصل 1

# الطفولة في «إلماين»

صورة حديثة قرية إلماين، تبدو كعش نسر على سفح جبل من سلسلة جبال البيبان

# 1- ناجي
# من سقوط الحماديين

تاريخ عائلتي مرتبط بصـــورة وثيقة بتاريخ قريتي الماين، المنتمية لقبيلة«ســـيلين» الأمازيغية، مؤلفة من عائلات هجرت منطقة الحضنة، بعد الغزو الهلالي.

ظلت القبيلة التـــي أنتمي اليها مرتبطـــة بثقافتها العريقة، وكانت من بين المجموعات التي أسست دولة الحماديين. كما كانت ترفض بشـــدة سطوة الأجانب والغزاة الذين يسعون للســـيطرة عليها. وتتألف قبيلتي بصورة عامة من مزارعين، ومربي مواشي، عرفت عهودا من الرخاء في سهول المســـيلة، قبل مغادرتها في سياق عملية هجرة واسعة لجبال الحضنة بعد سقوط القلعة، التي كانت عاصمـــة للدولة الحمادية، وواحدة من أبرز مدن الجزائر في القرون الوسطى.

وتجسد الدولة الحمادية(من ق 11 إلى ق 12)أيضا إحدى المظاهر السياســـية الأولى للدولة الجزائرية، وتشـــكل مرحلة مهمة في بناء المغرب الأوسط، ككيان قائم بذاته في شمال أفريقيا.

ولازالت إلـــى يومنا هذا تحتفـــظ الذاكرة الجماعية لسكان قرية الماين، وكل المنطقة بأجزاء، وصور من«تغريبة» الحماديين، وما رافق الهجـــرة الجماعية لهذه القبائل نحو الشمال، من أحداث لكي يحتموا من الهجمات التي شنها عليهم في الجبال الصخرية لمنطقة البيبان، والتي تشـــكل للسكان حصنا طبيعيا، لا يمكن اختراقه.

الشـــعور بالانتماء لا يزال راسخا في أذهان سكان قرية الماين، تخيفهم على الدوام ذكريات العائلات التي ضاعت أثنـــاء الطريق، والتي انفصلت تماما عن القبيلة خلال مرحلة تلك الهجرة القسرية.

لا زالت مأســـاة محنة القبيلة حاضـــرة في أغاني النســـاء، التي تشـــير إلى الأماكن التي أقام بها عناصر القبيلة الآخرون. بعض العائلات والعروش[1] اختارت الإقامة في مناطق بعيدة تجاه الشـــمال وأخرى حط بها الترحال على ساحل البحر الأبيض المتوسط في منطقة بجاية الحالية.

أقام جزء صغير من القبيلة في منطقة تاقصبت، أو قصبة بني يلمان في الشـــمال الغربي من ولاية المسيلة الحالية، وأقام الجزء الأكبر من أفراد القبيلة ذاتها في منطقة أبعد من ذلك شمالا، في بلدية الماين الحالية (دائرة جعافـــرة بولاية برج بوعريريج)، تحميها جغرافيا سلسلة جبال البيبان. وقد أرسلت القبيلة، حسب الروايات الشـــفهية التي لا تزال حية في الذاكرة، مبعوثين عنها للبحث عن أفرادها الذين تخلفوا في الجهات الجنوبية خلال الرحلة.

وقد تعرفـــوا تلقاء ذلك على فرع من القبيلة، يحمل نفس الإسم، إلمان، يقيم أفراده في شمال غرب المســـيلة، في منطقة صخرية، تحصن بها للاحتماء من الاجتياح الذي هز كامل المنطقة.

(1) العرش: تنظيم اجتماعي لدى الأمازيغ وهو تجمع لعائلات تنتمي لنفس السلف او ينحدرون من ذات الأسلاف. كما يمكن أن تكون مشكّلة من عدد من العوائل تتقاسم نفس المصالح وتعيش على نفس الأراضي. هذا التنظيم الاجتماعي لازال قائما في الجزائر كما في منطقة القبائل وفي المناطق التي يسكنها الأمازيغ في المغرب.

تنتمي عائلتي الى قبيلة سيلين[2]، وهي تسمية لا تزال مستعملة حتى الآن، تم ذكرها في الكتاب المشهور حول التاريخ، والاثنوغرافيا (علم الأعراق) لمنطقة شمال أفريقيا، لصاحبه الموسوعي المغاربي عبد الرحمن بن خلدون[3].

وفرضت الحالة المدنية أيام الاحتلال عام 1892 في المنطقة أسماء جديدة بتقسيمها للعائلات الكبيرة.

كل شيء يدل على أن سكان قريتي إلماين[4]، وكل القرى المجاورة، ينحدرون من قبيلة كتامة الأمازيغية الكبيرة، التي كان وجودها يمتد في كافة ربوع منطقة الشمال القسنطيني. قرى الماين، قنزات، ناث يعلى، وبني ورتيلان (جماعة ناث وارثيران) تشكل مثلثا على سفوح تلك الجبال.

كنت ولفترة طويلة اعتقد أن العالم ينتهي عند حدود تلك القرى الثلاثة، وعند الجبال المحيطة بها. كان السكان يعيشون مكتفين ذاتيا بما تنتجه المنطقة، ولذلك من الصعب عليهم كجبليين أن يتخيلوا وجود حياة خارج ذلك المثلث. وفي هذا المكان الضائع ولدت يوم **02** فيفري **1937**، وبعد عامين فقط ومع بداية الحرب العالمية الثانية فقدت والدي محند أمزيان، الذي وافته المنية في حادث سير بفرنسا، حينما كان يقوم بزيارة عمه المقيم في باريس.

لم أحتفظ من والدي بأية ذكرى. أعرف فقط بعض المقاطع من حياته مثلما تناقلتها حكايات العائلة حول نشاطاته في القرية وحول ظروف زواجه. كان نشطا أكثر من أترابه، وحصل على نفس الحقوق من الورث مثل أعمامه الذين يكبرونه سنا، وذلك بفضل جدي المولود (الذي كنا نناديه باحترام جدي مولود) والذي كان يقوم على شؤون العائلة الكبيرة بيد من حديد.

وبالفعل فقد كان هذا الأخير هو من أمر ابنه، الذي أنا من صلبه، لكي يتزوج ثانية، بعد أن فشل في الإنجاب من زواجه الأول، وقام بتطليق زوجته. كان الزواج عندنا قضية جادة، بل كان عقدا مقدسا، وكانت العزوبية أمرا غير محبذ.

لم يكن الرجل يختار بنفسه من يقع عليها هواه لتكون شريكته بقية حياته، والارتباط كان محكوما بمعايير الوالدين، وبالتالي كان جدي هو من اختار عروس ابنه، وهي الابنة الوحيدة لعبد الله أوخربوش، الساكن في أغلاذ ناث صالح، دشرة قريبة من قرية قنزات، التي تبعد بمسافة قصيرة عن قريتنا.

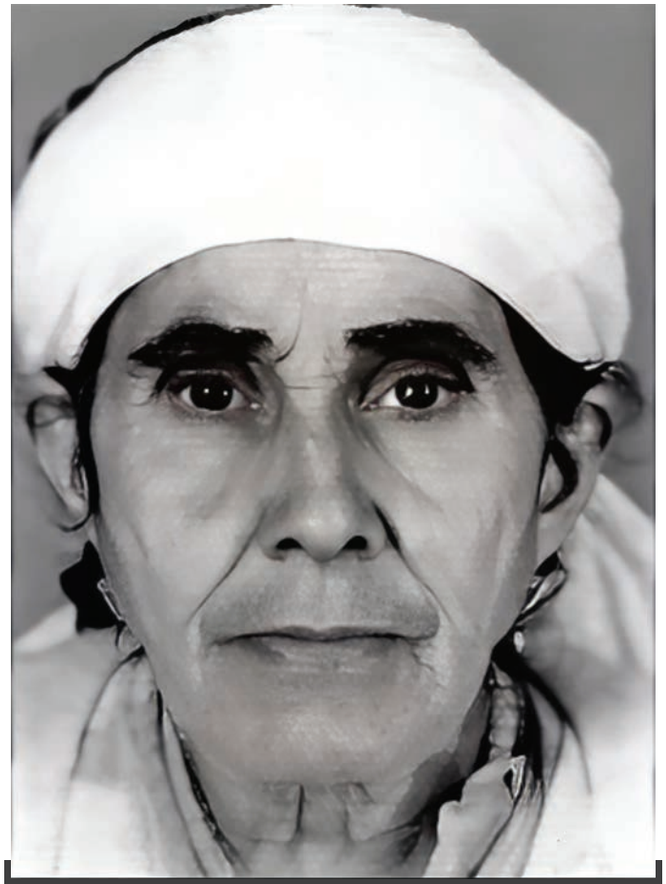

عقابة فاطمة، أم محند طاهر بوزغوب.

(2) سيلين: تسمية سيلين ما تزال محفوظة فقط من قبل فرع من القبيلة، وتحمل بقية الفروع تسميات أخرى، مثل فرع عائلتي بوزغوب

(3) كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر أو تاريخ ابن خلدون، منشورات جمال بيروت ص 149.

(4) إلماين: تقع الماين على التلال الشمالية الشاهقة من جبال البيبان، في ولاية برج بوعريريج الحالية.

يقوم عادة والدا الشـاب مرفوقين ببعض الأقـارب بزيارة والدي الفتاة لطلب يدها، وكقاعدة عامة لا يحتاج رد هؤلاء إلى أيام طويلة، بسبب قرب القرى من بعضها، وبحكم توفر العائلتين ضمنيا على معرفة بنسب الراغبين في الزواج، قبل أن يتم التعبير عن الطلب رسـميا. وكان رد أهـل الفتاة يأتي أحيانا في نفس اليوم الـذي يتقدم أهل العريس لخطبتها بغرض إقامة رباط الزوجية.

محمد أمزيان، أب محند طاهر بوزغوب.

حدث شـيء غير متوقع بالفعل. ففي الوقت الذي كانت فيه عائلة أبي تستعد للتوجه نحو أغلاذ ناث صالح، لطلب يد من ستكون أمي في المسـتقبل : كان«بطريارك» أو كبير عائلة أوخربوش، وهو رجل مهم، مغاليا، وله صفات الشدة في الطبع، قد طلب مسبقا أن يلتقي من يرغب في الـزواج مـن ابنته، لكي يخـتبر قدراته على تحمل بناء أسـرة، والتكفل بطريقة مقبولـة بابنته. وقبل والـدي هذا الطلب الغريب، وغير المعهود، وانصاع بالتالي لطلبات صهره القادم.

طـرح جدي من أمـي خلال اللقاء، العديد من الأسـئلة علـى والدي، حول نشـاطاته، المهنـة التي يمارسـها، وعن الطريقـة التـي ينـوي مـن خلالهـا تلبية حاجيـات الأسـرة مـن الناحيـة المالية. وكان هـذا الامتحان رغـم غرابته فرصة سانحة لأبي لكي يبرز قدراته. كان يتمتع قبلها بسـمعة جيدة كمزارع بـارع وكفؤ أيضا. كان يجيد العمل بالوسائل الزراعية وعلى رأسـها المقراض الذي يستخدمه أصحاب البساتين لتشذيب الأشجار.

وفجأة طلب منه من سيصبح صهره أن يرافقه إلى واحـد من حقوله الكثيرة، وأشـار عليـه بشـجرة زيتـون معمـرة، قـائلا إنهـا بحاجـة إلـى بعـض ضربات المقـراض. وكان ضيفه مسـتعدا ببراعة تامة لكي يقوم بالمهمة على أكمل وجه.

تمثل شـجرة الزيتون في الواقـع رأس المال الأول للقرويين في تلك المناطق الجبلية. حيث يعيش السكان من منتجات شحيحة من زراعة مساحات ضئيلة يقومون بحرثها بسـواعدهم، وهو ما يجعلهم يفضلون أن يكون لهـم أولاد ذكور كثيرون، لأنهم سيسـخرون كيد عاملة في تلك الحقول، ويعود تفضيل الأطفال الذكور كذلك إلـى معدلات الوفيات المرتفعـة بينهم، نتيجة الظروف القاسـية التـي فرضها النظـام الاسـتعماري القائم على إقصاء السكان المحليين وتهميشهم.

لما عاين سي عبد الله أوخربوش بنفسه براعة زوج ابنته المسـتقبلي في التعامل مع شـجرة الزيتون الأولى، لم يتردد في أن يطلب منه القيام بنفس المهمة مع شجرة ثانيـة، لكي يتأكد من القـدرات الحقيقية للعريس. وقام والـدي بتنفيذ المهمة التي طلبها جـدي على أتم وجه، فحظي بذلك على اعتراف، وتقدير صهره الجديد.

لـم تمـر هـذه الحادثة مـرور الكـرام، فقـد غذت أحاديـث القرويـيـن، الذين اسـتهجنوا بطريقـة جماعية ما طلبه «البطريـارك» المتنافي تماما مع عـادات وتقاليد القبيلـة. لكن حادثـة اخرى أتـت لتضيف أمـرا جديدا لهمس السكان حول سـلوك عبد الله أوخربوش. وكان ذلك سـلوكا غريبا أثار اسـتهجان سـكان الماين، بطله هذه المرة أيضا نفس «البطريارك» الميسـور. فقد طلب من ابنته عشـية زفافها أن تختار قسـمتها مـن الميراث، بينما لا يـزال والدها (البطريارك ذاته) حيا. كان يمكنها أن تطلب مبلغـا من المال أو تختار خادمـة ترافقها إلى بيتها الجديد لكي تتولى القيام بالأشـغال المنزلية. ولم يكـن مألوفا أن تختار امرأة قطعـة أرض لترثها او حقلا من أشجار الزيتون أو غيرها من الأشجار المثمرة.

في المجتمـع القبائلـي وقتهـا، لـم يكن مسـموحا للمـرأة أن ترث من العقـارات، بحكـم الطبيعة الأبوية (البطرياركيـة)، والتركيبـة الأسـرية، وظـروف البؤس الشـديد التي كانت تطبع حياة الجزائريين، نتيجة سطوة الاستعمار والإقصاء الذي فرضه على أساس العرق.

لـم تتردد أمي في التعبير عـن اختيارها، فقد طلبت نصيبها من الميراث مبلغا من المال عدا، ونقدا، أنفقتها بعـد ميلادي بقليل في شـراء حقل من أشـجار الزيتون، الذي سـمح لها بضمان مصدر رزق محترم، يسـاعد في رفاهية أبنائها.

# 1- التعليم تحت رعاية جدي مولود

كان جدي مولود، الذي عـــاش بين قرنين، يقوم علـــى رعاية العائلة. وقد تولـــى العناية بي حتى وفاته حينما كنت تلميذا في الزاوية لحفظ القرآن. كان بمثابة أســـطورة حقيقية لعائلة بوزغوب، مخيفا أحيانا لكنه محترم للغاية من أبناء العائلة، ومن بقية سكان القرية. كان يجسد السلطة العليا، ولا يتخلى مطلقا عن حقوقه باعتباره كبير العائلة. كان يتمتع بتلك الحقوق بشـــكل تام. كما كان أيضـــا معروفا برجاحة عقله، وبعد نظره، يقوم على رعاية كافة أفراد الأسرة دون تمييز، وحتى لما بلغ المائة عام من عمره كان يتمتع بكافة قدراته العقلية، وبكل قواه البدنية. والأمر الذي أثار استغراب الجميع من حوله، هو احتفاظه ببعض أسنانه حتى وعمره كان يناهز سن السادسة بعد المائة.

من خلال حكايات العائلة، لم يغادر جدي مولود أبدا قريته التي ولد فيها، حيث عايش ثورة الشـــيخين المقراني، والحداد[1]، التـــي هزت كامل المنطقة. يعود تاريخ ميلاده حســـب أغلب التقديرات الى سنة 1836، حيث أن الحالة المدنية الفرنسية قدرت عمره بـ 40 سنة حينما تم تســـجيله عام 1892، مما يعني فرقا يصل الى 16 ســـنة عن التقديرات العائلية المتوارثة. كان ذلك في بدايات وصول جيش الاحتلال الفرنســـي ورغبته في السيطرة على الممرات، والطرقات في منطقة البيبان، التي لا مفر من عبورها للتوجه نحو الجهات الشرقية للبلاد.

كبر جدي مولود إذن في سياق قلاقل كبيرة. وكان بحكم ســـنه الحافظ لســـيرة القرية، والأحداث التي عايشـــها أفرادها، خاصة ما تعلق منهـــا بتمركز أولى طلائع الجيش الاســـتعماري في المنطقة. عاش خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشرو النصف الأول من القرن العشرين. وقد عايش كذلك عام 1932 احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال.

تحيط أسطورة أخرى بهذا الجد: قيل أنه لم يصرخ حينمـــا وضعته أمه قبـــل الأوان، وكان ينظر إلى ذلك من طرف ســـكان القرية كأعجوبـــة، أو كأن صاحبها محاطا بالعناية الإلهية. فلما كانت أمه تحمله في بطنها، لمحت في قيلولتها، وبعد أشغال البيت المضنية، شيخا كل لباســـه أبيض، وذو لحية طويلة وبيضاء معتنى بها. أخبرها أنها ستضع مولودها قبل نهاية مدة الحمل، وأن الطفل الذي تحمله لن يصرخ، ولن يبكي. حسب رواية الأم لأقاربها، فقد أوصاها الشيخ الزائر لها في قيلولتها، بأن تلـــف الطفل في كومة من الصوف، وتضعها في قعر جرة، وتراقب الصغير حتـــى يصدر عنه صراخ، وهي طريقة مماثلة بشـــكل ملفت للدهشة لما يجري العمل به حاليا بخصوص التعامل مع المواليد الخدج، لمنع تعرضهم للوفاة بسبب انخفاض حرارة الجسم بشكل مفاجئ. وكان ازدياد جدي المولود مصادفا للقصة التي حكتها أمه.

بعد وقت قصير من مجيئه لهـــذا العالم، توفيت الأم، وتركت الرضيع في عناية إخوته، وأعمامه.

غادر كبير عائلة بوزغوب هـــذا العالم الذي جاء إليه قبل الأوان، دون ضجيج، وأســـلم جدي الروح لبارئها وحيدا، حيث لم يكن معه أحد، ساجدا في صلاة العصر. وحدث ذلك في منتصف فصل الصيف، تحت ظل شجرة في الساحة الكبيرة للزاوية. وقد اكتشفه راعي مواشـــي القرية على تلك الحالة، وهو من أخبر بموته.

(1) محمد ابن الحاج أحمد المقراني ومحند أمزيان أحداد انتفاضة.(1871)

فقد كان الراعي معتادا على الاستلقاء لأخذ قسط من الراحة في تلك البقعة من الزاوية، كلما عاد من رعي المواشي، ويومها بقي على بعد مسافة قصيرة، ينتظر حتى يفرغ الشيخ من صلاته ليلقي عليه التحية. ولما لاحظ أنه أطال السجود، اقترب منه فحركه ليكتشف أنه قد مات، وفاضت روحه إلى بارئها وهو على تلك الوضعية.

أخبر الراعي بقية أفراد العائلة بالخبر المحزن، فقد رحل «البطريارك» المحبوب عن هذه الدنيا إلى غير رجعة، دون أن يخبر أحدا.

هزت فاجعة موته كافة سكان القرية، فقد عاش حياة مستقرة، ومنظمة، إلى الحد الذي جعله لم يخلف أي نزاع بين أبنائه. فقد أعد بطريقة ما رحيله، حينما قرر وهو على قيد الحياة توزيع الميراث على خلفه.

وقام في وصيته كذلك، بذكر أسماء أبنائه الأربعة، واسم حفيده، الذي هو والدي، وهو ابن ولده البكر. ومن خلال ذلك كان جدي المولود يعترف بمشاركة فعلية لحفيده في أشغال الزراعة، ومساهمته في توفير وسائل المعيشة لكافة أفراد الأسرة. كان فعله ذلك يعبر بجلاء عن التقديس الذي يوليه القرويون لقيمة العمل.

حسب المزارعين الذين عايشوه، كان أبي يعمل بكد كبير في الحقول التي تعود ملكيتها للعائلة، وبنفس قدر أعمامه، وأكثر منهم أحيانا، وهو ما يفسر حصوله على جزء من الميراث الذي وزعه جدي مولود، وهو على قيد الحياة بين أبنائه. ومثلما حصل أبي على نصيب مساو لأعمامه من الميراث، حصلت أنا بعدها من ميراث أبي- على قسمة مساوية لنصيب جدي محمد المختار. كان جدي المختار حريصا أشد الحرص على احترام التقاليد. روي لي ذات مرة أن والدي عاد من الحقل مبكرا، وفي اللحظة التي كان يحملني فيها ليعانقني، دخل جدي المختار إلى فناء المنزل (الحوش) وكان على وشك الولوج للحجرة، فتركني أبي أسقط أرضا خشية أن يراه «البطريارك»[2] وهو يداعب ابنه. كانت التقاليد في تلك الفترة قاسية، وصارمة، فالأب لا يمكنه حمل ابنه بين ذراعيه أمام من هم أكبر منه سنا في الوسط العائلي. وكادت تلك الحادثة لتصيبني بجرح عميق أو تتسبب حتى في موتي.

أحتفظ دائما في ذاكرتي ببعض صور الرجل الذي عاش قرنا من الزمن يقدر كل سكان القرية حكمته، ورأيه السديد، ويثمنون كاريزميته، وبوجه أخص سخاءه. أسمع دوما صوته الأجش وهو يوقظني في الصباح الباكر، حينما يؤذن لصلاة الفجر. أحتفظ منه بالطبع بصورة الرجل الكبير سنا، وهو يفترش حصيرا من الحلفاء، يسند ظهره لجدار المنزل الخارجي، وهو يتلقى تحيات العابرين.

صورة أخرى بقيت عالقة في ذاكرتي ولا تفارقني، وتتمثل في قطرات الحليب التي تسقط من لحيته البيضاء التي تغطي وجهه، عندما يتناول بنهم طبق «الشخشوخة»[3] وهي أكلته المفضلة، وكنت طفلا أحب كثيرا الغوص بأصابع يدي في شعرات لحيته البيضاء التي يعتني بها كثيرا. جدي مولود يبقى السلف الذي طبع بقوة عائلتنا، إلى الحد الذي جعل ذكره لا يزال مستمرا بيننا بعد ثمانين حولا من رحيله.

(2) البطريك هو كبير القوم أو الجد الأكبر أو الشخص المؤسس و الأكثر سلطة و نفوذاً داخل العائلة أو العرش

(3) الشخشوخة أو الرقاق طبق تقليدي جزائري .تختلف كيفية تحضيره من منطقة الى أخرى.

# 3 - تحت حماية العم الطيب

صاغ عمي الطيب أو«زيزي طيبي»، كما كان يُدعى في المنزل، اسطورته من خلال التزامه الكامل بالنضال التحريـــري للبلاد. ولد في إلماين عـــام 1924، وتزوج والدتي التي كانت تكبره بثلاث سنوات، وتولى تعليمي بعد وفاة والدي المأساوية. تمارس عائلتنا زواج السلفة (يتزوج شـــقيق المتوفى أرملة أخيـــه) وبذلك كان من البديهي أن يتزوج«زيزي طيبي» من أمي.

ذهب عمـــي الطيب إلى فرنســـا بحثًا عن عمل. بالحـــظ أو بالصدفة، وجد وظيفـــة كعامل في مصنع للقنابل. من المؤكد أنه لم يكن على علم في ذلك الوقت أن وظيفته الجديدة ستسمح له بأن يكون مفيدًا في نضال بلاده من أجل الاستقلال وأنه سيموت وهو يحاول نزع فتيل قنبلة.

كان نشـــطا، ومفعما بالحيوية في صفوف الحركة النضالية من أجل الاســـتقلال، اذ غادر فديرالية جبهة التحرير بفرنســـا بناءً على طلب قادتـــه في عام 1956 للانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني في الولاية الثالثة التاريخية، وبالتحديد في المنطقة التي ينحدر منها، باعتباره صانع أو حرفي. كانت مهمته تفكيك القنابل التي يلقيها الجيش الاستعماري والتي لا تنفجر. وبتفكيكها يتجنب السكان الضرر كما يتم استعادة البارود اللازم لتصنيع الذخيرة التي كانت تفتقر إليها الوحدات القتالية التابعة لجيش التحرير الوطني بشدة.

لســـوء الحظ، توفي عمي في ظروف صعبة بعدما تمزق جســـده اثر انفجار قنبلة كان يقـــوم بتفكيكها. وكانت تلك مهمته الخامسة، في قرية«تفرق»، بالقرب من برج بوعريريج، وفي يوم من أيام أوت 1956، الشهر الذي سيشـــهد حدثًا كبيرًا للثـــورة، أي تنظيم مؤتمر الصومام في إغزر أمقران (القبائل الصغرى)، ليس بعيدًا عن منطقتنا.

الطيب، عم محند طاهر بوزغوب
سقط شهيدا خلال شهر أوت 1956

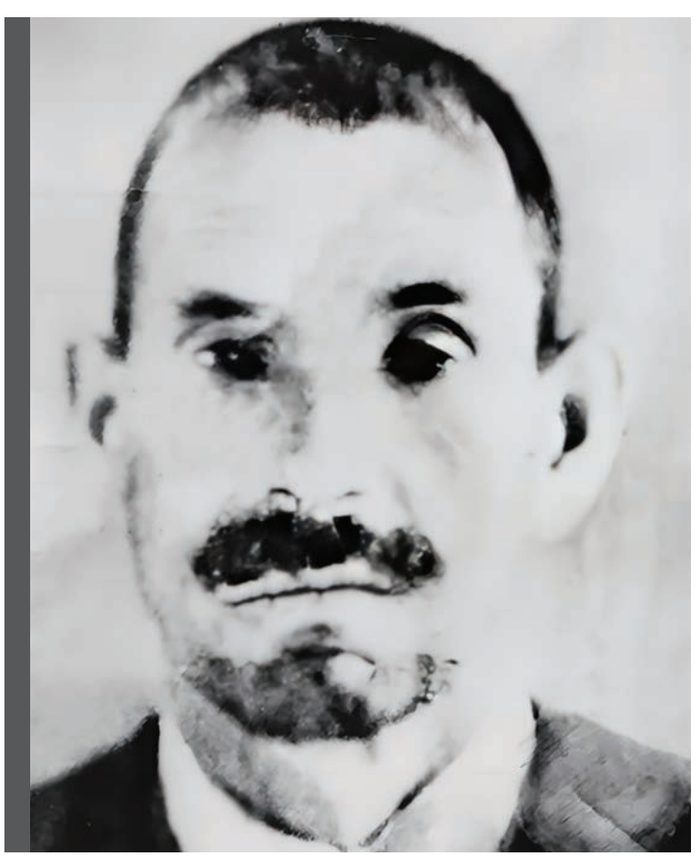

محند أرزقي، عم محند طاهر بوزغوب، سقط شهيدا خلال الثورة الجزائرية

علي، عم محند طاهر بوزغوب، سقط شهيدا في سبتمبر 1956

شهادتان ثمينتان أدلى بهما لاحقا تؤكدان ملابسات وفاة عمي: المجاهد مبروك باغورة أصيل قرية«تفرق» المتوفي عام 2018، والمجاهد والي دعدوش، الرئيس الأول للمجلس الشـــعبي لهذه البلـــدة التي أصبحت بلدية بعد الاستقلال، واللذان كانا شاهدي عيان خلال هذا الحادث.

يقـولان إن عمي، المخلص دومـا لنهجه وطريقة عمله، كان قد طلب المساعدة من السكان بالابتعاد عن النطاق الأمني حيث كان يهم لتفكيك قنبلة أطلقتها طائرة فرنسية ولم تنفجر. أدى الانفجار للأسف إلى تدمير كل شـيء في الجوار. كان جسـد عمي ممزقًا بالكامل. قام المجاهدون بتمشيط هذا المكان ولم يعثروا سوى على بضع شـظايا من سترته وسـاعته. وكان مسـؤولو جيش التحرير الوطني المحلي قد عهدوا بهذه الأشياء إلى عم الشهيد بوزغوب محند أرزقي الذي أعطاها بدوره لابنه مختار، والذي لا زال يحتفظ بها حتى يومنا هذا.

محند طاهر بوزغوب.(إلتقطت حوالي سنة 1985)

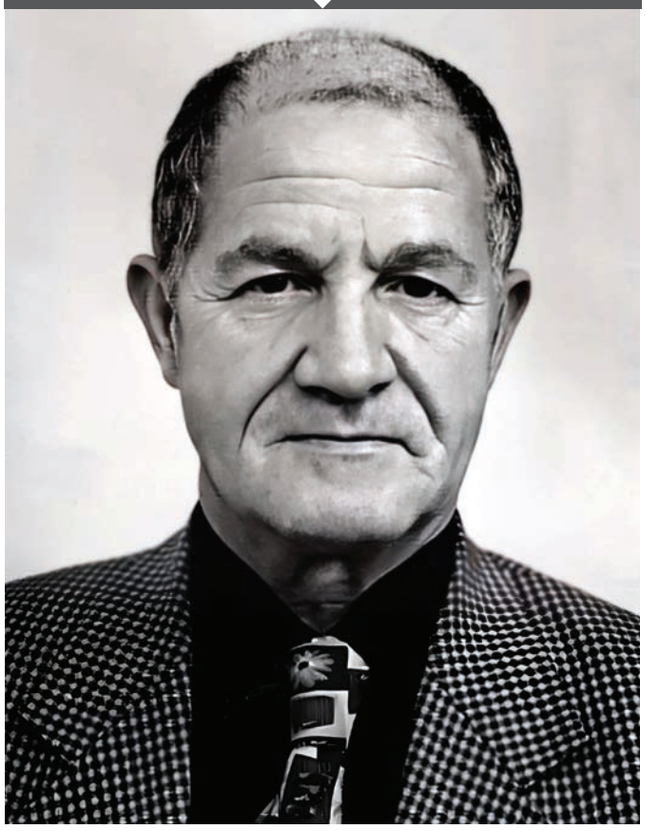

بعد شهر واحد فقط من هذه المأساة، فقدت عمي الثاني، الذي استشهد هو الآخر. توفي علي بوزغوب في سبتمبر 1956 إثر انفجار عبوة ناسفة وسط قرية إلماين. حينما نفذ سلاح الجو الفرنسي غارات قاتلة انتقاما من كتائب جيش التحرير الوطني التي استولت على مواشي تعود لأحد المســـتوطنين (الكولون) من مدينة مجانة. وكانت طائرة استطلاع، تســـمى عندنا«ثاموشارث» وكانت متمركزة بشـــكل دائم بالقـــرب من قريتنا، قد اكتشفت هذه العملية وأشارت إلى نقل المواشي إلى إلماين. بعد ذلك بفترة، استهدف قصف عشوائي قريتنا وتسبب في مقتل 70 شخصًا، بحسب المجاهد إبراهيم كابويا، المكلف من قبل قيادة المنطقة لجيش التحرير الوطني بتقييم الحملة الاستعمارية. تسببت الصدفة في موت أعمامي، الطيب وعلي، بالطريقة نفســـها، حيث انفجرت عليهما قنابل لم تنفجر عند سقوطها.

محند طاهر بوزغوب مع أمه فاطمة سنة (1980)

# 4 - رحلة استهلالية إلى بني أورتيلان

ينتقل الطفل في المخيلة الريفية إلى منزلة الرجل (أرغاز) خلال رحلة تمهيدية إلى السوق.
كانت رحلتي الأولى خارج القرية على مسافة 15 كيلومترًا للوصول إلى السوق الأسبوعي في بني أورتيلان. أعتقد أنني كنت في السابعة من عمري. تخيلات الأطفال كثيرة عن هذه الرحلة التي نقلتها الروايات الشفهية، وخاصة حكايات الأكبر سنًا، والمعتقدات التقليدية التي تربط العودة من هذه الرحلة الاستهلالية بعودة البطل الذي سيجعل الأسرة تزدهر من الآن فصاعدًا.

عادة ما يتم تنظيم حفل صغير بهذه المناسبة، للاحتفال بهذه الطقوس التي تمثل الانتقال من الطفولة إلى سن النضج، وهي مرحلة جديدة من حياة الفرد تمهيدا لتغيير تصرفات الصبي الذي يتهيأ للانخراط في العمل الجاد في الحقول من أجل مساعدة أسرته الفقيرة في اكتساب أسباب العيش أو لمتابعة الدراسة لمن هو أسعد حظًا في تجسيد أمنيات الآباء في مستقبل مزدهر لذريتهم. يدل هذا الاحتفال أيضًا على فرحة الأسرة لرؤية الطفل يكبر وينجو من الموت المحتمل بسبب الفقر أو المرض والأوبئة.

كان من المعتاد أن يكون الطفل مصحوبًا بأبيه أو أحد الأعمام أو شخص بالغ من العائلة. تستمر الاستعدادات للرحلة عدة أيام قبل يوم الجمعة، وهو يوم السوق في بني أورتيلان. رحلة المجموعة كانت تتم سيرا على الأقدام، باستثناء الطفل الذي يكون على ظهر بغل أو حمار. هذه فرصة للطفل لتذكر المسارات التي تؤدي إلى السوق، ومقابلة أشخاص جدد يعيشون في قرى ومشاتي أخرى واكتشاف عالم أكبر من محيط قريته.

لقد أعددت نفسي جيدًا لهذا اليوم الذي طال انتظاره، مرتديًا أفضل ملابسي، وحذائي الجديد. استيقظت مبكرًا للمشاركة في هذه الرحلة مع جدي محند المختار. حينما كنت أهم بالخروج من الدار هرولت والدتي من ورائي، وعند عتبة المنزل القت بقطرات ماء على ظهري كفأل بعودة آمنة بين أحضان الأسرة.

طوال الرحلة برفقة جدي محند المختار، قضيت وقتي وانا أفكر في المناظر الطبيعية الخضراء للمنطقة، والجبل كثيف الأشجار، المهيب والذي يحمي السكان من غارات الغرباء. أتت مجموعات أخرى من الرجال من جميع الاتجاهات لاتخاذ نفس المسار الذي يؤدي إلى السوق، الوجهة الأخيرة للمتسوقين الذين يتنقلون راجلين.

وسارع الرجال الذين كانوا يرتدون خروقا أو يرتدون ملابس تقليدية مثل «القشابية» الصوفية للوصول إلى السوق مبكرا.

وكان يسافر الأكثر ثراءً، الذين يمكن حسابهم على أطراف الأصابع، إلى وجهتهم على ظهور مركباتهم. اتبع آخرون بأعداد أكبر القافلة ثم استخدموا نفس المسار في طريق العودة لنقل الطعام والمشتريات الأخرى، فلا يمكن استخدام الممرات الصخرية والحصون المشقوقة بواسطة العربات والمركبات الآلية النادرة جدًا. فقد كان لزاما استعمال الدواب للتنقل والا اكتفى الأغلبية بالسفر راجلين نحو هذه السوق الأسبوعية في المنطقة.

كان السوق، المقام في مكان عام في قرية بني أورتيلان، يعطي انطباعا بفوضى عارمة، يميزها

الضجيج المتواصل للمتسوقين. وبالرغم من بساطته فكان يعج بروائع المواد الاستهلاكية المودعة على الأرض أو في الأكشاك المؤقتة. كانت المعروضات على شكل أكوام مترامية من الأشياء غير المتجانسة: المنتجات الغذائية، والأواني، والملابس، والأقمشة، والحيوانات (الأغنام، والدجاج، والأرانب، والديوك الرومية...) ومواد متنوعة لا تحصى ولا تعد. تتطاير أبخرة الطبخ من كل مكان لتعطي لهذه الفوضى العارمة نكهة خاصة. اكتشفت أخيرًا المكان الذي يعود منه الجد كل يوم جمعة محملاً بالطعام، ومواد أخرى مفيدة بشكل يومي وضرورية لإعالة أسرة كبيرة.

فيما يخصني، يجب أن أعترف أنني فوجئت بل ذهلت من تنوع الأطباق الشهية التي اكتشفت وجودها لأول مرة. فبعد أن أدركت مستوى لا يطاق من الرغبة في التهام بعض المأكولات المعروضة والتي كانت تبدو شهية من روائحها، عرض جدي أن يشتري لي منتجًا من اختياري.

لم يكن طلبه سهلا لي. لقد كنت في حيرة من أمري الى درجة جعلتني اتحاشى الاختيار، لكوني لم أكن أعرف ما الذي سأحصل عليه، لقد كان ذهني أسير الكثير من الأشياء والرغبات. اكتشفت البعض منها لأول مرة وكان من بينها ما كنت اجهل حتى تسميتها حينها. استعصى عني الاختيار لكون الأطعمة المعروضة كانت متنوعة وبأصناف عديدة. لم يكن بمقدوري حسم اختياري، حتى فيما يخص الحلويات المقترحة من طرف الباعة. فلم يكن بالإمكان الحصول في ذلك الوقت على بعض أصنافها في منطقتنا الا في هذا السوق. أطلق السكان على هذه السكريات الشهية، والتي تحظى بشعبية كبيرة لدى الأطفال،«حلويات الجمعة».

كان جدي، الذي واصل استكشافه للعروض، دائم الترحاب بأصحابه أثناء مروره. يجب القول أنه باستثناء حفلات الزفاف والختان أو بمناسبة الوفاة، لم يكن لأهالي منطقتنا أماكن لقاء أخرى غير السوق الأسبوعي.

توقف جدي أمام مربع الجزارين للامتثال لمتطلبات الطقوس المتمثلة في شراء رأس عجل لطهي الطعام في نفس المساء، مما يبشر بمستقبل مشرق للطفل الذي اجتاز اختبار السوق، وفأل خير بالنسبة لأفراد الأسرة الذين يأملون بذلك في رِؤية ابنهم رجلا وزعيما بين أقرانه.

كنت أعتقد قبل هذه الرحلة أن قريتي، التي تقع على ارتفاع 1000 متر فوق مستوى سطح البحر، كانت بداية ونهاية العالم في آن واحد. فإلماين، المطلة على واد كبير، محاطة من الجنوب بسلسلة جبال البيبان ومن الجنوب الغربي جبال بابور، ومن الشرق جبل أزرو إيفلان الشهير ومن الغرب جبال جرجرة البعيدة.

كبقية الأطفال في مثل سني، كنت مقتنعًا أنه باستثناء إلماين، لا توجد أماكن أخرى خارج حدود الجبال. في طريق العودة، سلكنا طريقًا متعرجًا، يلف الجبل للتسلق نحو قريتنا. لدى اكتشافي لهذا الطريق بدأت أفهم لماذا كان يردد الناس مقولة مفادها («للوصول الى إلماين فعليك حتما أن تسلك مسارات صاعدة» إلماين، أنسي إسدكيض ذاساون). كان ذلك خلال الفترة التي كان فيها السكان يسافرون غالبًا سيرًا على الأقدام للوصول إلى القرى المجاورة، بسبب عدم وجود طرق معبدة. كانت ممرات المشاة تتشكل بمرور الوقت على خطى البشر والحيوانات الأليفة.

لذلك، وبفضل الرحلة إلى بني أورتيلان، اكتشفت للتو، بذهول، أن هناك بشرًا يعيشون في مكان آخر، وراء الجبل الضخم المسمى أزرو إيفلان. ومع ذلك، عند عودتي من تلك الرحلة، بدأت أدرك أن وضعي كفتى العائلة المدلل كان على وشك الخضوع لتغييرات ملحوظة. لم يعد الكبار ينظرون إلي بنفس الطريقة.

تفاجأت حينها أن أهلي أصبحوا يعهدون لي أعمالا شاقة، الأمر الذي يتناقض تماما مع حياتي من قبل كطفل. ومـن بين هـذه الأعمال أذكر المهـام المنزلية التي كانت حكـراً على البالغين. في الواقع، لـم يكن يزعجني ذلك. علـى العكس تماما، كنت أفتخر بـه، اذ كنت أودع حينها حياة الطفولة.

ولقـد تأكدت من هذا الشـعور أيضًـا في اليوم الذي كلفني فيه مدير المدرسـة بمهمة نسخ نص على السبورة وهو خطاب من تلاميذ المدرسـة يطلبون إعانة للتلاميذ المحتاجين خلال الحقبة الإستعمارية الفرنسية

وتضمنت هذه الرسـالة طلب مسـاعدة مادية لصالح التلاميـذ المعوزيـن، الذيـن كان عددهـم كبيـرًا جدًا في ذلك الوقت أي الفترة التي تلت مباشـرة الحرب العالمية الثانيـة- حيـث كان يعـم البؤس، وتنتشـر الأوبئـة. لقد اختـارني المدير لجودة خطي في الكتابة، وهو ما سيفسـر اختيـاري لمنصب معين في المسـتقبل عندما تطوعت في جيش التحرير الوطني، اذ أصبحت السكرتير الشخصي، -ولـو لـفترة محـدودة قبـل ذهابـي للتكويـن كطيار في الخـارج-، لعبـاس لغـرور وعاجـل عجـول، وهما من زعماء الثورة التحريرية في الأوراس.

تمكنت مدرستنا أخيرًا من الاستفادة من مساعدات لا بـأس بهـا، بمـا في ذلـك لـوازم المطعـم والملابس المختلفـة التي لـم يرتديها أي طالب مـن الأهالي من قبـل (السـراويل والقمصان والبلوزات)، وقد اسـتفاد منه جميع الطلاب إلا أنـا، ومولود طاهرات، حيث لم يُعتبروننا من أبناء العائلات المحتاجة في القرية.

تـم توزيـع جميـع المسـاعدات، باسـتثناء الشـوكولاطة، وهو منتوج فاخر في تلك الأوقات التي كان يطبعها الفقر الشـديد. وقد تم عرض هذا المنتوج للبيع لإثراء خزينة المدرسة. كنت من بين أسعد الناس، اذ تمكنت من شراء لوح كامل من الشوكولاطة. كانت المرة الأولى التي أضع فيها قطعة شوكولاطة في فمي. كان الطعـم لذيـذًا، وسـاحرًا. ومع ذلـك، فقد مرت مفاجأة الاكتشاف، وبقيت الشوكولاطة صعبة المنال، ولفترة طويلة.

# 5- قطعة شوكولاطة مقابل طائرة ورقية

كان بن حالة عبد العالي، أكبر طالب سنا في مدرستنا، صاحب موهبة في صناعة الطائرات الورقية التي كان يتاجر بها مع زملائه في الفصل، اذ كان يقايضها بأنواع مختلفة من المأكولات أو الحلويات أو الأدوات. غالبًا ما كنت أرافقه في ذهابي وايابي من المدرسة.

في أحد الأيام، عرض عليّ مقايضة طائرة ورقية بقطعة من الشوكولاطة. لقد قبلت بسرعة مذهلة الصفقة، وسلمت له الشكولاطة التي كانت بحوزتي. كان لدي جاذبية وشغف لهذه اللعبة. عندما وصل كلانا إلى «ثالا ثاجديث» (النبع الجديد) – ليس بعيدًا عن المدرسة وحيث اعتدنا الاغتسال في الصباح، قبل العودة إلى الفصل – رميت الطائرة التي كانت تطفو عاليًا للغاية، وهي لحظة كانت تثير دهشتي. ومع ذلك، سقطت الطائرة الورقية ببطء في الحوض وجرفتها المياه: على الفور ودون أدنى تردد، ابتلع عبد العالي، بنهم وبشراسة، قطعة الشوكولاطة خوفًا من رؤيتي أغير رأيي! إذا كانت المقايضة بالطبع لصالح رفيقي، أجاب ضاحكا: «محند طاهر عليك أن تشكرني! لقد كنت أنا من توقع مستقبلك كطيار».

**غير أن ذلك لايمنع أنني شعرت بسرور شديد لحظة رمي الطائرة وصعودها في السماء، إذ لم يخطر ببالي حينها أن الله كان يدبر لي مستقبلا مختلفا وأن جيش التحرير الوطني سيكون الجسر الذي أعبر به نحو سماء الطيران.**

بعد فترة طويلة من تدريبي وبعد أن أصبحت طيارا في صفوف جيش التحرير الوطني، قابلت صديق طفولتي عبد العالي أمام مدرسة القرية. أخبرته بأحوالي واعترفت له أنه شارك بشكل غير مباشر في اختيار مهنتي. ثم ذكرته بقصة واقعة النبع والشوكولاطة.

خلال لقائنا هذا، ناقشنا الأسباب التي دفعت النظام الاستعماري لتزويد قريتنا بمدرسة. بالنسبة لنا، أرادت الإدارة الاستعمارية، بلا شك، إعطاء الانطباع للسكان الأصليين أنها هي التي تدفع الى التغيير نحو حياة أكثر حداثة. أرادت أن تثير في أبائنا الأمل في رؤية أطفالهم يسلكون طريق التعليم والمعرفة. أراد الاستعمار ربط عائلاتنا، التي كانت تكافح في بؤس لا يوصف، بهذا الأمل الخاطئ في تحسين حالة المستعمر بفضل التقدم الاجتماعي من خلال تعليم وترقية الأطفال.

على الرغم من أن الاستعمار لم يبتعد عن طبيعته القمعية، فقد تلاعب بمواطنينا على المستوى النفسي لجعلهم يعتقدون بأنه يحمل مفاتيح الحضارة.

منذ انتفاضة المقراني والحداد، التي تم قمعها، والقضاء عليها بعنف كبير وسط حمامات من الدماء، استولى الاستعمار بشكل أساسي على مزاج سكان المنطقة وفهم نفور السكان الأصليين من أي شكل من أشكال الهيمنة. معركة «ثاخرات» الشهيرة، التي قادها بومزراق، الأخ الأصغر لمحمد المقراني، أعطت الاستعمار سببا للتفكير في سلوكه في المنطقة.

دارت هذه المعركة الكبرى على ضفاف وادي إلماين، على أراضي قريتنا وقرية سيدي إيدير، بالقرب من تانساوت، مكان التقاء واديي بوسلام وإلماين.11

بعد هذه المعركة بقليل، أقدم الجيش الفرنسي على فعلة شنيعة اذ دمر بعنف وشراسة قرية إيغيل نثاخرات. لم يتبق اليوم سوى القليل من الآثار لجريمة الحرب هذه. الناجون من تلك الفظائع وجدوا ملاذًا مع أقربائهم في القرى المجاورة، ولا سيما في إلماين وسيدي إدير. كان لهذا الحدث أثر كبير على سكان المنطقة لدرجة أن الأطفال الذين يعيدون تمثيل العمليات القتالية بينهم أثناء اللعب كانوا يتخذون أسماء أبطال هذا التمرد أو المقاومين الذين ظلوا محفورين في الذاكرة الجماعية.

# 6 - «كانون القبايل» وحكايات الجدات

تحتوي جميع بيوت القبائل القديمة على«كانون»[1]، وهو موقد محفور في الأرض في الغرفة الرئيسية، يستخدم لإشعال النار للتدفئة والطبخ. يتجمع أفراد الأسرة حوله وينكشف عالم بأسره، اذ أن الأمهات كن بمثابة فلك يدور حوله الأطفال. في المساء وعلى ضوء النار، يعرّفون الأطفال على عوالم رائعة، بفضل الحكايات التي تُروى بمهارة، وبمهارة كبيرة فعلا.

تشعل تلك القصص خيال الأطفال. هن حارسات الأماكن وناقلات التراث غير المادي. في المنزل، وغالبًا بالقرب من«الكانون»، يقمن بأداء الأغاني القديمة (الأشويق أو الرثاء) خصوصا أثناء أعمال النسيج. تتمتع الجدة بمكانة خاصة في الأسرة التقليدية. بالإضافة إلى الإشراف على تقسيم المهام المنزلية بين زوجات الأبناء، فإنها تساهم في ترسيخ ثقافة الأجداد من خلال الروايات، والحكايات الشفهية. يجب أن ندرك أن ثقافتنا القبايلية تدين بالكثير للنساء اللائي كن حريصات على نقل ثقافة تمتد لألاف السنين إلى الأجيال القادمة.

كانت أمسيات الشتاء بشكل عام هي الوقت المناسب، في«أخام» أو منزل القبائل، لرواية القصص التي طال انتظارها من قبل الأطفال، وأحيانًا حتى من قبل الكبار. الدخان المحرج المنبعث من«الكانون» والعيون الدامعة لا يمنع الصغار من متابعة قصة الجدة أو الأم بجدية وكثير من الاهتمام. يجد الطفل نفسه مفتونًا تمامًا بفن السرد للراوي –وهو فن يتم اكتسابه بمرور الوقت وتكرار نفس القصص وسط قصص متشابكة من المؤامرات والمغامرات التي تأخذه بعيدًا، ولو لتلك الفترة المسائية وتجعله ينسى لفترة من الزمن قسوة الحياة والحرمان.

تبدأ«ثاماشاهوت» (حكاية بلغة سكان القبائل) بشكل منهجي بكلمة أماشاهو (كان يا مكان)، كمقدمة للقصة. لقد أتقن الرواة بشكل مثالي فن إبقاء الأطفال

(1) **كانون»القبايل** «هو على شكل حفرة في الأرض بعرض 40 سم وبعمق 15 الى 20 سم .تحاط هذه الحفرة بأحجار تستعمل كحامل لأدوات طهي الطعام أو تسخين القهوة .في فصل الشتاء تستعمل كموقد لاحماء البيت.

مفتونين، وخاضعين تمامًا للقصة اللامتناهية. عندما يلف البرد القارص القرية، ويعم الصمت وسط الظلام الداكن، تستمر حلقة من نفس الحكاية في إسعاد الأطفال، الذين يقاومون النعاس لكي لا يفوتون فصلا من فصول القصة.

كانت الأم في عائلتنا هي التي أخذت دور الراوية. عرفت كيف تحكي حكايات الغولة والغول (الحيوان الخرافي) في اتصال مع سيدنا علي، ولكن أيضًا القصص المستوحاة من الواقع (المعارك التي خاضتها قوات المقراني والشيخ الحداد ضد جنود جيش الاستعمار طوال عام 1871، أو القتال البطولي للمجاهدين بقيادة بومزراق شقيق المقراني في موقعة تخارات، إلخ).

تصبح الأسطورة في الحكاية المروية حقيقة، تتحول الهزائم إلى انتصارات لا تقبل الجدال ويتم الاحتفال بالأبطال في قصص تصورهم في كثير من الأحيان في أوضاع أفضل.

بالإضافة إلى المتعة، والراحة التي نشعر بها خلال هذا النوع من التجمعات العائلية حول «الكانون»، سعت جداتنا وأمهاتنا إلى إرسال رسائل محملة بالحكمة والفطرة. كانت هذه دروسًا في الحياة يجب على الطفل تخزينها من أجل المستقبل. كان الاستعداد للواقع القاسي لمرحلة البلوغ أيضًا إحدى المهام الموكلة لأمهاتنا. في هذا السجل، تشتهر قريتنا إلماين في المنطقة بحكمة رجالها. فقد كانوا يُقدّرون على حكمتهم ورؤيتهم وبصيرتهم، لدرجة أنه كان يقال في جميع أنحاء المنطقة: «أكين إيدينا إلماينِ» (كما قال الماينِ).

لالة منانة، جدة عائلة بوزغوب سنة (1980)

# 7- من الزاوية التقليدية إلى المدرسة الحديثة

يلتحق الأطفال بالمدرسة الفرنسية في سن متأخرة، وبشكل عام يتم ذلك من سن السابعة. والسبب هو عزلة القرى وبالتالي صعوبة تنقل الأطفال في مسارات شديدة الانحدار، وكثيرة الأحجار، خاصة خلال المواسم التي تتميز بالحرارة الشديدة أو الصقيع. عندما يتراكم الثلج على الطرقات وتغطى الجبال باللون الأبيض، يصبح السفر مستحيلا حتى بالنسبة للبالغين.

خلال تلك الفترة التي يطغى عليها البؤس والندرة، كان من الشائع جدًا رؤية أطفال عراة بالكاد يتجولون حفاة القدمين. أدى تكريس النظام الاستعماري لنفسه بالقوة وتعنت سكان الجبال في رفضهم للأجنبي الذي جاء الى المنطقة محتلاً- إلى تدمير هؤلاء السكان. كانت وسائل النقل الحديثة معدومة. وللوصول إلى مدرسة إلماين، يسافر الطلاب من الدواوير والمشاتي المحيطة سيرًا على الأقدام أو على ظهور الحمير بالنسبة لبعض المحظوظين الذين ينحدرون من عائلات ميسورة الحال. تم بناء هذه المدرسة عام 1905 بعد انهيار أول مبنى خلال الزلزال المدمر الذي هز المنطقة.

أتذكر بعض الرفاق من تلك المدرسة: أعمر مقراني (يذكرني في كل اجتماع لنا كيف مُنعت من التقدم لامتحان شهادة المرحلة الابتدائية)، يونس بن بلقاسم، محمد شريف لعصامي، لحسن بوزغوب، بن حالة عبد العالي (الأكبر بيننا)، مولود طهرات عبد الله براشدي ...

لم تدم فرحتي الأولى في الالتحاق بالمدرسة طويلاً عندما اكتشفت أنني يجب أن أستيقظ في وقت مبكر جدًا من الصباح، في وقت صلاة الفجر، للانضمام أولاً إلى الزاوية، وبعد مقاعد المدرسة، استأنف دروسي في الزاوية بعد الظهر. لقد كنت أخضع لوتيرة لا تطاق في الدراسة، ولم يرغب جدي في أن يستمع الى الشكاوي التي كنت أقدمها اليه أمام ثقل الدروس اليومية التي كنت أتلقاها.

وفقا له، كان من الضروري بالنسبة لي أن أدرس في الزاوية كما هو معتاد داخل عائلاتنا في إلماين. على الرغم من هذه الوتيرة الصعبة التي يفرضها ذهابي إلى مدرستين، فقد قمت بأداء هذه المهمة بطريقة رائعة، وبصورة تامة لإسعاد جدي. استطعت أن أحفظ عن ظهر قلب كل آيات القرآن الكريم، والأحزاب الستين قبل سن التاسعة. لقد كان حقا إنجازا. المساء أكرسه عادة للمراجعات والتمارين التي كان معلمي المدرسة يفرضونها علينا. قمت بعملي المدرسي على ضوء مصباح الزيت ونار الكانون، مما أعطى معنى للجهود المبذولة في التعلم وفي سعينا للمعرفة.

لكن يجب أن أشير إلى أن دخول المدرسة الفرنسية لم يحدث دون إثارة استياء شيوخ الزاويا وأئمة المساجد .لقد رأوا في هذا النوع من التدريس منافسًا جادًا للزاوية التقليدية وتعلم القرآن الكريم، وكانوا خائفين بشكل خاص من فقدان طلابهم لهويتهم من خلال تعلم لغة«الرومي» أي الفرنسية .ظل الشيخ لحسن أعراب يشجعني على المثابرة في تعلم التربية الدينية والنصوص المقدسة .الشيخ محمد أوحلا، الملقب أيضًا بإلمان، الذي تولى منصب إمام المسجد خلال صلاة الجمعة، أعرب عن أسفه من جانبه على التعليم الفرنسي الذي أدخله الاستعمار إلى قريتنا .لم يفوت فرصة لانتقاد الطلاب بشدة بسبب الغياب المتكرر خلال فترة الدخول المدرسي والعودة إلى المدرسة الفرنسية.

شيخ يدرس القران لأطفال جزائريين. كانت الطريقة التعليمية الوحيدة المتاحة للجزائريين

كان من الضروري أيضًا الاعتماد على الموقف المثابر لخال أبي، الشيخ جمعة بن خليف، الذي أصر على تعلم القرآن وعلى التعليم الديني التقليدي بشكل عام، رغم أنه لم يكن معارضًا لوجود المدرسة الفرنسية.

أتذكر دائمًا رائحة الحبر الصمغ) الذي نستعمله في الكتابة على اللوح (لوح. كانت قدراتي في التحصيل والحفظ أسطورية في قريتنا. أحيانًا استوعب آية جديدة في يوم واحد. على الرغم من العبء الثقيل والوتيرة الجهنمية التي فرضت عليا فقد كنت سعيدًا بنتائجي في المدرسة. بالإضافة إلى تنوع وثراء الأنشطة المقدمة، كان التدريس يتم بأساليب جذابة. يتطلع الطلاب إلى الفترة الرياضية الأسبوعية للعب كرة القدم. كما كنا ننتظر بكثير من الشغف والاثارة العمل التطبيقي للعلوم الطبيعية للمعلم«رافلان» M. Revalin الذي أغدق علينا، في حديقة المدرسة، بالتجارب في علم النبات. لم يكن هذا المدرس يعلم أنه كان يقدم لنا معروفًا، نحن أبناء المزارعين. فلم نكن نفكر بعد في امكانية الابتعاد عن العمل في الأرض والتخصص في مهن أخرى.

أظهر الطلاب اهتمامًا كبيرًا بهذه الجلسات. يجب أن ننوه بما فعله أسلافنا اذ عرفوا كيفية تحويل أراضينا المنحدرة والجرداء إلى حقول شاسعة من أشجار الزيتون والتين والرمان والمشمش وأشجار الفاكهة الأخرى. كانت هزيمة المقراني نقطة البداية للبؤس الذي حل على رؤوس سكان المداشر المنتشرة والمنثورة فوق الجبال. لقد أرغموا على زراعة قطع صغيرة من الأراضي الجرداء، واستطاعوا استصلاح حتى القطع المستعصية، والصخرية.

قمت بتجريب عمل تطبيقي قام به معلمنا في ساحة المدرسة. ساعدتني حصص العلوم الطبيعية في اكتساب أساسيات التشجير التي سارعت إلى تنفيذها في حقول عائلتي. لقد كنت متحمسًا جدًا للدورة التدريبية الأولى حول تقنيات التطعيم لأنواع الأشجار المختلفة. في اليوم الذي قام فيه معلمنا بتطعيم شجرة تفاح بشجرة برقوق، هرعت لتنفيذ هذه العملية. كنت أذهب يوميًا إلى الحقل للتحقق من تجربتي. وكم كانت فرحتي كبيرة يوم نبت الغصن المطعم!

# 8 - الظلم ... الذي لحق بالمعلم بوشمال

كانت الأنشـــطة المدرســـية عديدة. أحب الطلاب الدورات الرياضية والألعاب التي ينظمها المعلم السيد بوشـــمال المتعصب لكرة القدم. بالاتفـــاق المتبادل بين معلمنا ومعلم مدرســـة قنزات، تم التخطيط لتنظيم مباراة. انتظرنا بفارغ الصبر يوم الأحد، يوم العطلـــة، لنأخذ الطريق إلى هذه القرية المجاورة. السيد بوشمال، أولى أهمية كبيرة لهذا النوع من المنافســـة، ولا سيما لعبة كرة القدم هـــذه من خلال تكثيف التدريب والتعليمات لفريقنا.

وصل اليوم الذي طال انتظاره وكان الطلاب المتحمســـون جاهزين للعبة. ولكن لدهشـــتنا الكبيرة، تم إلغاء المسابقة من قبل السيد مادونا، مدير مؤسستنا. تبعنا برفقة زوجته وأجبرنا على العودة قبل بضعة كيلـــومترات من وصولنا إلى قنزات. فقد قرر المديران معًا إلغاء المباراة دون إبلاغ المعلمين، منظمي البطولة.

السيد بوشمال، الذي انزعج من هذا القرار، أجرى نقاشا حادًا مع مديره. ودون سابق إنذار، لوّح السيد مادونا بمسدســـه في وجهه التعيس. حدث هذا الـــخلاف، الذي كان من الممكن أن يأخذ منعطفًا خطيراً، بالقرب من منزل القايد بن حالة. كان المعلم بوشمال قد قرر على الفور إبلاغ الأخير بالمنعطف الذي اتخذه هذا الحدث، من أجل الاحتراز من خدعة قذرة محتملة من السيد مادونا، وكذلك لحماية الطلاب من الانتقام من هذا المدير الحقود والغاضب.

كان بمثابة يوم حداد بالنسبة لنا وكانت عودتنا إلى القرية خيبة أمل قاســـية وعميقة. لقد صدمنا بشـــكل خاص من لفتة المدير المهينة والعنيفة تجاه معلمنا. طيلة أسبوع كامل كنا نحن التلاميذ نعيش في جو من الخـــوف من عقوبات كان من المنتظر ان يسلطها علينا المدير لكنها في النهاية لم تأت. السيد بوشـــمال وعلى العكس منا فقد تمت معاقبته وذلك بإبعاده عن قرية الماين.

# 9 - درس ... التاريخ وصفعة من المعلم

بقيت ذكرى أخرى من سنوات دراستي محفورة في ذاكرتي وتذكرني بالعمل التحريفي للاستعمار وتصميمه على أن ينسب لنا، نحن السكان الأصليين، هوية بديلة. خلال جلسة مكرسة لتاريخ فرنسا، أمر المعلم السيد إنجلاد التلاميذ بالتدوين والتكرار بصوت عالٍ: «كانت فرنسا تسمى سابقًا لاغول». ذات مرة، رفعت إصبعي لأسأله بصراحة «ماذا كانت تسمى الجزائر في الماضي؟» كانت الإجابة فورية وغير متوقعة: صفعة قوية دقت على وجهي.

تفاجأ زملائي في الفصل وثاروا من رد الفعل المفاجئ والعنيف من المعلم. استاء السيد إنجلاد، وهو نجل أحد المستوطنين، من صعود الحركة الوطنية وانتشار الأفكار التحررية بين الشباب. كشفت لفتته عن قلق المدافعين عن النظام الاستعماري، الذين هزتهم انتفاضة 8 ماي 1945 السلمية. بالنسبة لسكان المنطقة وجميع «السكان الأصليين»، القمع الوحشي والعنف غير المسبوق الذي تعرض له الأهالي، خلال شهر ماي 1945 يعد بمثابة القطيعة الجذرية مع النظام الاستعماري.

في ذلك الوقت، احتفل الشعب الفرنسي بانتصار الحلفاء على المحتلين النازيين. وكان لالتزام المقاتلين الأفارقة والجنود الجزائريين، وعوامل أخرى، فضل في استعادة فرنسا حريتها.

تداعيات هذه الأحداث الدامية كانت محسوسة خلال انتخابات سنة 1948. وفاز مرشح حزب الشعب الجزائري عبد الرحمن كيوان بالرهان في إلماين بنسبة 99٪. استنتج المعلم بالتأكيد من هذا الانتصار الساحق ان الأفكار الوطنية الجزائرية في تصاعد في المنطقة. بالنسبة له، كان سؤالي ينم عن خلفية ذات علاقة بالحس الوطني، ولم يكن على أي حال تافهًا. جعلني تصرفه أفكر في رفضه أن أكون على دراية بتاريخ بلدي. استأنف المعلم المتسلط درس التاريخ دون أن يبدي أدنى شعور بالقلق بشأن الضرر الذي لحق بالطلاب من خلال لفتته العنيفة. بمجرد خروجي من الفصل للاستراحة، تجنبت أنا وزملائي الحديث عن هذا الحادث المؤسف.

في طريق العودة إلى المنزل، كان رأسي مليئًا بالأسئلة. كنت غاضبًا ومرتبكًا في نفس الوقت، وكنت متخوفًا بشكل خاص من وقع هذا الخبر المؤسف لدى جدي .كان خوفي مبررًا أكثر برفض جدي رؤيتي أذهب إلى المدرسة الفرنسية .وحسب ما أعرفه عن رأيه من مدرسة «الرومي»، فكنت أتوقع أن يمنعني من العودة اليها .عند وصولي إلى فناء المنزل، كان قلبي ينبض .كنت أقترب من الغرفة الرئيسية على أطراف أصابع قدمي، لمحاولة التمييز بين أصوات الأشخاص الحاضرين وللتحقق مما إذا كانت الأخبار المؤسفة قد وصلت بالفعل إلى آذان أفراد عائلتي.

سألني أحد أعمامي، الذي لاحظ وجودي بسرعة، عن سلوكي الغريب .لم يكن من الضروري أن يُطلب مني تقديم السبب وربط عقاب المعلم .سألني مباشرة «ما الذي جعلك تريد أن تفهم؟»، وبرده هذا أخرجني من دوامة تساؤلاتي بشكل مثير للسخرية، وهو ما أثار دهشتي الكبيرة .اكتشفت لاحقًا أن الطلاب وأولياء الأمور والقرويين شعروا بالفضيحة من السلوك المشين لهذا المعلم الذي كشف أنه يعمل من أجل الحفاظ على سيادة النظام الاستعماري.

ما حدث كان فعلا في الوقت الخطأ ويضاف إلى العقوبة المرفوضة والظالمة للمعلم بوشمال .هذا الوضع سيعزز لاحقا العمل والكفاح بين المناضلين الوطنيين.

# 10 - انتصار الوطنيين والانتقام

بسبب منح 90 بالمائة من الأصوات لمرشح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) بزعامة فرحات عباس في الانتخابات التشريعية (الهيئة الثانية) التي تم إجهاضها في جوان 1951، عانى سكان إلماين من غضب الإدارة الاستعمارية. كان الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فعليًا مرشحًا افتراضيًا (أو بديلا)، مدعومًا من قبل حزب الشعب الجزائري المحلي الذي وجه تصويت مناضليه ومحبيه لفائدته. وكانت النتائج أيضًا مخيبة لمرشحي الإدارة الاستعمارية التي ألغت الانتخابات وأعادت تنظيمها مرة أخرى تحت رعاية الجيش. الغرض من الوحدات العسكرية، التي تم إرسالها لأول مرة إلى منطقتنا، هو ترهيب الناخبين من الأهالي ليصوتوا لمرشحي الإدارة الاستعمارية. حاصر الجنود القرية واعتدوا جسديًا على السكان الرافضين لمسعاهم، بمن فيهم أفراد عائلتي.

في هذا السياق مات جدي محمد مختار وبذلك حرمت من حبه ودعمه الذي لا يحيد والذي كان ضروريا بالنسبة لي. لقد كانت خسارة كبيرة مثل خسارة والدي الذي لم أكن أعرفه أو كنت لا احتفظ الا بالقليل من الذكريات عنه. إن الأحداث والاستفزازات والتخويف والقمع والعنف التي هزت سكان قريتنا الذين كانوا يحيون حياة بسيطة في كنف السلم ستدفعهم إلى أحضان جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة الجزائرية الوطني في الأول من نوفمبر 1954.

الدخول المدرسي لسنة 1947 بمدرسة إلماين الإبتدائية

# 11 - الاستبعاد من امتحان نهاية المرحلة الابتدائية

بكيت يوم إقصائي التعسفي من امتحان شهادة الدراسات الابتدائية (CEP)، التي أعددت لنيلها بشكل جيد، اذ بذلت جهدا كبيرا في المراجعة وكرست لها كل وقتي. وهكذا أدركت أن للنظام الاستعماري ذاكرة قوية. كما عاش الطلاب الآخرون على حمى الحصول على هذه الشهادة التي ستفتح لهم الطريق للدراسة في المرحلتين المتوسطة والثانوية. في رأي جميع المعلمين، كنت طالبا جيدا، قادرا على اجتياز هذا الامتحان دون صعوبة.

في يوم الاختبار، ذهبت إلى المكان الذي ركنت فيه شاحنة كانت مهيأة لنقلنا من القرية إلى مجانة، المدينة التي تستضيف مركز الامتحان. تم إدراج اسمي على رأس القائمة التي يحتفظ بها المعلم الذي أجرى النداء. بمجرد أن يصعد جميع المرشحين على متنها، أُمرت بالنزول من الشاحنة، مما أثار دهشة رفاقي. مكثت في المكان انظر الى الشاحنة وهي تبتعد. تألمت كثيرا في تلك اللحظة. لقد عانيت للتو من تعسف نظام جائر، ومثير للشفقة يعاقب الطفل ويمنعه من الوصول إلى المعرفة لسبب بسيط هو انتماءه إلى عائلة من المناضلين الوطنيين. في الواقع، عرفت الإدارة الاستعمارية كل شيء عن نشاط عمي الطيب داخل حزب الشعب الجزائري. هذا العم الذي حل محل والدي المتوفي في حادث في فرنسا، سيسقط بدوره شهيدًا خلال عام 1956.

بعد إقصائي من الامتحان، فقدت جدي محمد مختار عام 1952. وبدون دعم مالي، لم أستطع المطالبة باستئناف دروسي في دورة المدرسة الفرنسية. كان الظرف مرة أخرى إلى جانب جدي، الذي لم يخف رغبته في رؤيتي أنضم إلى الزاوية لتعلم اللغة العربية، وتعميق معرفتي بالدين الإسلامي. وهكذا انضممت إلى دروس الشيخ الطاهر أيت علجت في زاوية الشيخ يحيى العيدلي بتمقرة قرب اقبو.

كثيرًا ما يذكرني رفيقي وصديقي، أعمر مقراني، الحاضر في ذلك اليوم، بتلك الحادثة وطبيعتها الجائرة، كان هو أيضا من عائلة وطنية من إلماين، كان أعمر يقف دائما مع قضايا شعبه .

كان والده، سي شريف، عضوًا في الخلية الأولى لحزب الشعب الجزائري التي تم إنشاؤها في القرية، وقام بتنصيبها عبد الحميد مهري، أحد القادة البارزين في الحزب الوطني. كان سي شريف أثناء الثورة مسؤولاً عن مستشفى المنطقة الواقع في ثابودة، المكان الذي كان يأوي واحدة من أكبر المعارك التي خاضها جيش التحرير الوطني في منطقتنا. دمر هذا المستشفى عن اخره جراء القصف الوحشي لسلاح الجو الفرنسي.

# 12 -اللجوء إلى زاوي

انتشرت الزاوية، التي أنشأها الشيخ يحيى العيدلي عام 1440، في جميع أنحاء المنطقة وكانت أيضا تتمتع بسمعة وطنية. بمرور الوقت، أصبحت الوجهة المفضلة للعديد من الطلاب الذين يأتون من جميع أنحاء البلاد بحثًا عن المعرفة. دمرها الجيش الاستعماري لأول مرة عام 1871 انتقاما لمشاركتها، مثل الزاوية الرحمانية، في ثورة الشيخين المقراني والحداد، وأعيد بناؤها وافتتاحها في عام 1937 من قبل الباحث الشاب طاهر آيت علجت (يُدعى الشيخ الطاهر)، الذي كان تخرج وقتها للتو من زاوية الرحمانية. وكان شغوفا بمناقشة المسائل اللاهوتية، حيث استطاع إحياء هذا المكان المرموق للعبادة والمعرفة بفضل رغبته في التجديد ودعم أتباعه الكثيرين.

في ذلك الوقت، عمل خريجو الزيتونة، بمن فيهم طلاب من منطقتنا، على إصلاح أساليب التدريس التي اعتبرت قديمة وإنشاء برامج تعليمية جديدة، من أجل تحويل هذه الزاوية التقليدية إلى مركز حقيقي لتعلم اللغة العربية، ودراسة المسائل المتعلقة بالعلوم الدينية وغيرها من الموضوعات التي لم يتم الاستغناء عنها بعد. سرعان ما تحول مكان العبادة والمعرفة والتعليم هذا إلى حاضنة للأفكار الوطنية. ولم يكن يخلو هذا النشاط من مخاطر جذب انتباه مساعدي الاستعمار، الباشاغوات والقياد، الذين كانوا يستهدفون الزاوية من أجل إخضاعها لسلطة الاستعمار وذلك بممارسة ضغط رهيب على مسؤوليها ومورديها. ثم أقيل الشيخ طاهر آيت علجت من منصبه وأرسلته الإدارة الاستعمارية إلى قرية صدوق. كانت الإدارة الاستعمارية تعتقد، من خلال تصرفها بهذه الطريقة، أنها ستتخلص نهائيًا من هذا العالم صاحب القناعات التي لا تتزعزع، والحازم في مواقفه المناهضة للهيمنة الاستعمارية.

ستدرك الإدارة الاستعمارية بسرعة، انها من خلال هذا القرار، قد نقلت للتو مركز نشر الأفكار الوطنية من زاوية الشيخ يحيى العيدلي في تمقرة، إلى زاوية سيدي سعيد في صدوق، لأن جزءًا كبيرًا من الطلاب سيتبعون شيخهم الطاهر آيت علجت، ومرة أخرى لإعاقة تأثير زاوية

# ـــة الشيخ يحيى

قرية تمقرة قرب اقبو بالقبائل الصغرى- زاوية الشيخ يحي العيدلي
(صورة حديثة)

الشيخ الطاهر ايت علجت، مدير زاوية الشيخ يحي العيدلي، ورفيق العقيد عميروش.

سيدي سعيد ومنعها من أن تصبح مركزًا لنشر الأفكار الوطنية، قـــررت الإدارة من جديد نقل الشـــيخ أيت علجت إلى زاوية الشيخ يحيى العيدلي، ومعه استعادت زاوية تمقرة مجدها السابق مرة أخرى.

وبالرغم من ذلك فان الاســـتعمار لن يتوان عن مضايقة نشـــاط هذه الزاوية، اذ ستتعرض للقصف عام 1956، انتقاما لنشـــاطها ضمن صفوف جيش التحرير الوطني ودورها الطليعي في النضال التحرري من أجل الاســـتقلال. تم تدميرها بالكامل، وأعيد بناؤها في عام 1968، لاستعادة مجدها الســـابق والمشاركة في تعليم أطفال المنطقة، وترسيخ الأفكار الوطنية ونشر تعاليم الدين الإسلامي السمحاء.

أخيرًا نهضت الزاوية مـــن رمادها مرتين، بفضل عمل زعيمها الذي لا يكل، الشيخ الطاهر آيت علجت. بالإضافة إلى اتصالاته مـــع قادة الحزب الوطني، فقد وضع المؤسسة في خدمة الأفكار الاصلاحية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كانت الزاوية تضم خلية تابعة للحزب الوطني كانت علـــى اتصال مع العربي أولبصير وحاج أحمد والي ومسؤولين آخرين في حزب الشعب. وكان رئيس هذه الخلية، الشيخ الطاهر، على اتصال مباشر مع مسؤولي الولاية الثالثة. سينضم عدد كبير من أتباع الزاوية إلى العمل المسلح بمجرد انطلاق الثورة الجزائرية الوطني، وسيســـقط الكثير منهم شهداء في معارك ضد الجيش الاستعماري.

كانت الزاوية هذه ملاذي النهائي، لمدة عامين، بعد إقصائي من المدرسة الفرنسية. تم توفير دروس المواد المختلفة من خلال إطار عمل مخصص للطلاب على مستويات متفاوتة والذين جاؤوا من كل مكان. فتحت شـــهادة الأهلية الأفق للمتعلمين ليصبحوا إما معلمين أو أئمـــة، أو للانضمام إلى جامعة الزيتونة المرموقة في تونس في حالة النجاح في المسابقة السنوية، والتي تتيح الوصول إلى المستوى الأول أو الثاني أو الثالث، اعتمادًا على قدرات المرشح. كنت أحد الطلاب العديدين في زاوية تمقرة الذين جربوا حظهم في الانتماء إلى الزيتونة.

كانت أيامي في زاوية الشيخ يحيى العيدلي رتيبة: فصول دراسية، أعمال تنظيف جماعية وأنشطة أخرى. كما عهـــد إلي مجلس الإدارة بمهام الإشـــراف على مخزن المؤونة. ثم وقع حادث مؤسف. كدت أن أحرم اثـــره طلاب المقصف لعدة أيام مـــن الطعام. بعد أن أعطيت صاحب المتجر المال لشراء احتياطي الطعام لتجديد مخزون المركـــز، أغلقت دون قصد المفاتيح الوحيدة التي بحوزتنا داخل الخزنة. كان من الضروري بعد ذلك إحضار الأقفال من برج بوعريريج، وهي بلدة تقع على بعد 50 كيلومترًا من تمقرة، لإعادة فتح الخزنة.

كنت أتوقع توبيخًا يتناســـب مـــع خطورة الخطأ المرتكب. لكن الشـــيخ أحمد إقروفة لم يفعل شـــيئًا ضدي، حتى الشـــيخ طاهر آيت علجـــت الذي أبلغ بالحـــادث، كان رد فعله بدون انفعـــال، وبالكثير من اللطف، فقد اكتفى بابتســـامته وطمأنني أن القضية قد أغلقت تماما، مما أراحني كثيرًا. تلاشـــت ذكرى هذه الحادثة المؤسفة بمرور الوقت لتصبح من الماضي.

يعتبر الشـــيخ إقروفة شـــخصية حاضرة وغائبة عن أذهان الطلاب. كان مخلصًـــا في عمله وعلاقاته، مما جعلـــه في موضع تقدير كبير لوجـــوده واجتهاده. كان بإمكانه، وبســـهولة الانتقال من دورة اللغة العربية الابتدائيـــة إلى مســـتوى أعلى يتطلـــب علم أصول التدريس لاســـتيعاب القواعد النحوية المعقدة. كان لديه فن تسهيل فهم الأسئلة المعقدة التي تنطوي على معرفة متقدمة بالقواعد والفقه بأطروحات مستوحاة من أعمال العالم الشهير أبي زيد القيرواني.

هو شقيق محمد والي إقروفة أول طالب بالزيتونة قبل التحاقه بالقاهرة. كان أحد أفراد طاقم آطوس. قد تم نقل على ظهر هذه الباخرة كمية كبيرة من الأسلحة لصالـــح الثورة التي كانت في أمـــس الحاجة إليها. تم رصدها من قبل القـــوات الجوية الفرنســـية وتبعتها البحرية، وتم توقيـــف الباخرة واعتقـــال من فيها في عرض البحر في 16 أكتوبر 1956. حكم على محمد والي إقروفة بالسجن لمدة عشر سنوات، وقد وافته المنية اثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له في سجن البرواقية.

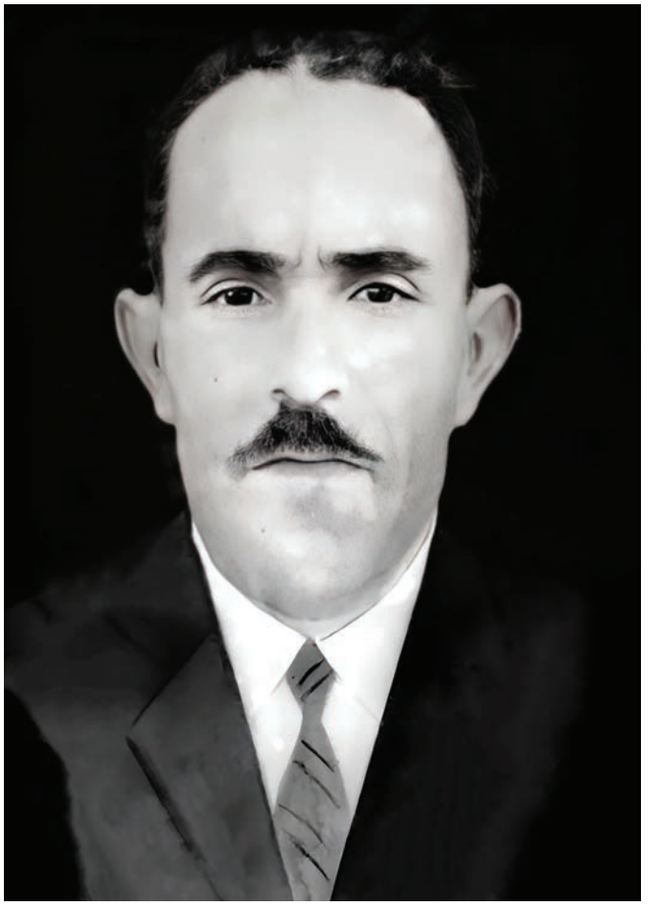

الشيخ إقروفة أحمد، نائب الشيخ الطاهر ايت علجت.

# 13 - أناشيد وطنية وأعمال انتقامية للقايد سماتي بولنوار

دعاني الشيخ جمعة بن خليف، خال والدي، لقضاء رمضان في منزله، في قرية أمالو بالقرب من أقبو، وذلك لإعالتي بشكل أفضل خلال هذا الشهر من الحرمان. كانت دعوته تهدف كذلك للقيام بأداء وظيفة إمام مسجد القرية. واضطررت بذلك إلى تعويض العديد من غيابات الامام بأداء صلاة التراويح الطويلة. وبعدما تأكدً من معرفتي بالمسائل المتعلقة بالدين، فقد عهد إليّ أيضًا بالإشراف على طلابه. انتهزت الفرصة وقمت بتلقينهم الأناشيد الوطنية لتوعيتهم بالقضية الوطنية.

كانت النزهات الترفيهية المنتظمة فرصة للتمرن على الأناشيد في المجموعة. مع تقدم المسير، تضخمت صفوفنا مع الشباب الذين انضموا إلينا للتجول في ممرات القرية.

ولأنهم انزعجوا وفتنوا بأناشيدنا سارع أتباع الاستعمار لتنبيه الباشاغا بن علي الشريف، واسروا له بما كنت أقوم به في القرية. كان هذا الباشاغا مقتنعا أنه كان بالفعل عملًا سياسيًا«تخريبيًا» صممه متشددون متمرسون.

بعد استدعائي للذهاب في أقرب وقت ممكن إلى مكتب الباشاغا في أغريب بن علي الشريف، أبلغت خال أبي الشيخ جمعة بن خليف الذي حاول تهدئتي والتهوين من الأمر. كان يعتقد أنه سيتم استجوابي فقط للتحقق من المعلومات التي وصلت إلى آذان الباشاغا.

سلكت الطريق الى أغريب بن علي الشريف في اليوم التالي، برفقة أحد أعيان قرية أمالو. كان رأسي يعج بالأسئلة التي بقيت من دون رد. وكنت خائفًا من ردة فعل، ومن غضب مساعد الاستعمار في المنطقة الذي كان يتمتع بسمعة مخيفة.

لدى وصولي، لم يدم انتظاري طويلا. وبمجرد دخولي إلى أحد المكاتب، أحسست بالخوف، وانا أكتشف الرجل الذي كان أمامي. كان يقف بعيدًا، في الطرف الآخر من الغرفة، خلف مكتبه. من خلال طريقته في تفحصي، ظننت أنه رآني شابًا غير مؤذٍ وكان يفكر ربما في كوني لا اتمتع بمواصفات نشطاء حزب الشعب الجزائري. سألني عندها عن أنشطتي، فأجبت أنها نشاطات ترفيهية ليس إلا. ثم دعاني بابتسامة ماكرة ارتسمت على زاوية شفتيه، ألا أعلمهم الغناء في الخارج

بعد الآن. في وقت لاحق عندما تركت المكان، علمت أنني كنت ماثلا أمام القايد سماتي بولنوار.

كنت سعيدًا بالعودة إلى القرية سالمًا. لما رويت للشـــيخ جمعة تفاصيل ما دار بيني وبين القايد سماتي، ظهرت ملامح الحيرة على محياه. كان الشـــيخ جمعة على علم بمكر هذا القايد، وكان يخشـــى من أن تكون هذه الشخصية المعروفة بخداعها تضمر عملا عدائيا لنا.

بعد أيام قليلة، نزل قرار الإدارة الاستعمارية ليؤكد فعليًا مخاوف الشـــيخ وكذلك مســـتوى غدر وخداع القايد الســـماتي: بناءً على نصيحة نائبه، أمرت الإدارة بإبعاد الشـــيخ جمعة من قرية أمالـــو. تم تطبيق الأمر الحامل لتوقيع الإدارة الاستعمارية، ليلاً، لتجنب ردة فعل القرويين الذين يقدّرون الشيخ.

نصحني هذا الأخيـــر بمغادرة المنطقة قبل أن يتم اعتقالي من قبل الباشاغا أو القايد لسؤالي عن أنشطتي السياسية ومعرفة ما إذا كنت أعرف أي أعضاء في الحزب الوطني المحظور. اقترح علي أن أواصل دراســـتي في جامع الزيتونة، وهو عذر مقبول لكي أتمكن من مغادرة الإقليم والحصول على تصريح بالسفر، خاصة وأنني كنت قد أكملت للتو عامين من التدريب في معهد الشيخ يحيى العيدلي.

هذا الظلم جعل سكان أمالو أكثر وعيًا بالأعمال العدائية لأتباع الاستعمار وقدرتهم على إيذاء الوطنيين في المنطقة. لذلك كان لابد من توخي اليقظة والحذر. يشـــير هذا القرار إلى أن الباشاغا بن علي الشريف كان يملك شبكة من المراقبين في القرية، وكان يتابع أنشطة الشيخ جمعة، كما أبدى بعض الشكوك حول ارتباطه بحزب الشعب الجزائري.

فهو أيضا تلميذ سابق للشيخ الطاهر آيت علجت، وخريج جامع الزيتونة .اشـــتهر بأفكاره الإصلاحية في مجال الدين الإسلامي .بعـــد تعرضه لمضايقات من الباشـــاغا بن علي الشريف بســـبب التزامه السياسي، كان مـــن أوائل المقاتلين عند انـــدلاع الثورة .ورافق العقيد عميروش خلال زياراتـــه المتكررة للمنطقة. أصيـــب بالفعل في معركة دارت رحاهـــا في المنطقة، وســـقط كبطل في قرية ثودار، في عـــام 1959 في كمين نصبه الجيش الفرنسي.

إلماين، سنوات 1940

# الفصل 2

# جامع الزيتونة،
# معبر لابد منه للطلبة الجزائريين

جامع الزيتونة بتونس (صورة قديمة)

# 1 -تنظيم الرحلة الى تونس

استدعاء الباشاغا بن علي الشريف، والاستجواب الذي تعرضت له من قبل القائد سماتي سيسرعان من إجراءات خروجي وابتعادي عن قرية إيلماين.

شرعت عائلتي، التي وثقت بالشيخ جمعة، في العمل بسرعة لتطبيق إرشاداته من خلال التحضير لرحلتي إلى تونس. لذلك كان من الضروري معرفة الترتيبات العملية للوصول إلى هناك بأمان. تم الاتصال بالطالب يحيى بوعزيز، وهو في الأصل من إيلماين، وتحديداً من دوار أمزراراق، لاستقبالي.

بدافع الحذر الشديد، تلقيت أيضًا عناوين أخرى لطلاب من المنطقة كانوا قد استقروا بالفعل في تونس. كان علي أن أصل إلى تونس بأسرع ما يمكن، حتى لا أفوت السنة الدراسية 1954–1955.

فيما يتعلق بالتحضير للرحلة، ذهبت أولاً إلى مجانة، عاصمة البلدية، لإعداد المستندات اللازمة حتى أتمكن من مغادرة الإقليم. استفدت من رحلة مجانية بفضل شاحنة عمي دراجي الذي كان يهم بالسفر الى هناك. كانت المرة الأولى التي أزور فيها هذه المدينة.

بعد أن دلني عن مكان تواجد مقر البلدية، أوكلني عمي إلى أحد معارفه، وهو شخص التقينا به بالصدفة، قبل العودة. حصلت على التفويضات عند منتصف النهار وبعد صلاة الظهر بمجرد الانتهاء من المهمة، اتخذت قرارًا بالعودة سيرًا على الأقدام، بالنظر الى نقص وسائل النقل إلى إيلماين، وذلك خوفًا من عدم العثور على سكن ليلاً. كنت سأقطع مسافة 50 كم، سيرا على الأقدام.

للذهاب إلى قرية تيزي نلخميس (التي سميت ثنية النصر بعد الاستقلال)، عبرت سهلًا شاسعًا لأتمكن بعد ذلك من بدء تسلق مرتفعات سلسلة جبال البيبان، والعودة للطريق المنحدر المؤدي إلى التلال الشمالية نحو إلماين. على الرغم من أنني مشيت مسرعا خلال مسافة 6 كيلومترات التي قطعتها دفعة واحدة، إلا أنني بدأت أشعر بالقلق من أن أجد نفسي مجبرًا على قضاء الليل في الغابة ملتحفا النجوم ومفترشا الأرض. كنت أحس بنوع من الخوف ظل يراودني منذ رأيت رجلاً عجوزًا يجلس أسفل الطريق، وكان يبدو أنه يخلد لفترة من الراحة. سرعان ما تلاشى قلقي عندما اقتربت منه، اذ أنني اكتشفت، بما يبعث على الارتياح الشديد، أنه صالح أويخلف، أحد سكان قريتي، وبالتحديد من حي توريرث.

بعد استسلامنا الى فترة من الراحة كنا في حاجة اليها، انطلقنا على الطريق معًا. عند وصولنا ليلاً إلى تيزي نلخميس (حوالي ثلاثين كيلومتراً من إيلماين)، قادنا المحسنون إلى مرآب كان سيستخدم كمسكن لنا، بعد أن قدموا لنا العشاء.

في الصباح الباكر، قمنا بمسح ساحل مرتفعات البيبان. كان هذا الجزء الممتد على مسافة حوالي 16 كيلومتر هو الأصعب في رحلة العودة. في سفح الجبل بالقرب من جعافرة، شرعنا في النزول إلى أسفل الجبل متجهين نحو الشمال، ثم قمنا بتسلق 15 كيلومتر أخرى إلى وجهتنا النهائية. لقد تلقينا تدليلًا جيدًا في ذلك اليوم من الطبيعة الأم، جعل المناخ المعتدل من معبر المشاة أكثر متعة بالنسبة لنا.

# 2 - القطار إلى تونس

إنها المرة الأولى في حياتي التي أكون فيها على وشك الشروع في رحلة بالقطار. كان خط سير رحلتي مليئًا بالمفاجآت التي يبدو أنها ستلازمني في مغامراتي.

في محطة برج بوعريريج، كنت أنتظر وصول القطار على الرصيف. لاحظ رجل كان يقف على مقربة مني قلقي وانعدام الثقة لدي. سأل وهو يسير نحوي «إلى أين أنت ذاهب أيها الشاب؟ فأجبت من دون انتظار: إلى تونس!. فراح يشير إلى الرصيف المقابل ونصحني بالركض بسرعة للحاق بالقطار، الذي كان جاهزًا للمغادرة.

كنت أنتظر على الرصيف الذي يقل القطار المتوجه إلى الجزائر العاصمة. هرعت للاندفاع إلى القطار الذي كان يهم على الانطلاق. لم أشك في صدق الرجل الذي ساعدني وأنقذني من نكسات غير ضرورية كانت ستؤخرني عن بلوغ الوجهة التي أنوي الذهاب اليها. وللأسف لم يكن لدي الوقت لأشكره، لكون القطار قد انطلق في رحلته نحو الشرق.

خلال الرحلة، ألصقت عيني على النافذة للتفكير في الخارج. على الرغم من أن الرحلة إلى سوق أهراس كانت طويلة، إلا أنني لم أشعر بأي تعب، بسبب المناظر الطبيعية الخلابة التي كانت تمر أمامي. لقد اكتشفت للتو، مرة أخرى، أن الحياة لا تختزل في مسافة 50 كم التي عبرتها سيرًا على الأقدام من مجانة إلى قريتي، أو إلى زاوية الشيخ يحيى العيدلي في تامقرة أو حتى قرية أمالو، وهي المناطق المحلية الوحيدة التي كنت قد زرتها بعد رحلتي الأولى إلى السوق الأسبوعي لبني أورتيلان.

في سوق أهراس، وهي بلدة حدودية تقع في أقصى شمال شرق البلاد، كنا نحن ركاب القطار مدعوون للنزول. اضطررت لقضاء الليل هناك لأخذ قطار آخر في اليوم التالي. لقد قابلت مسافرًا في القطار كان مثلي، ذاهبًا إلى تونس العاصمة. توجهنا أنا ورفيقي المؤقت، إلى وسط المدينة لتمضية الوقت وزيارة الأماكن التي كانت مليئة بمظاهر البؤس.

خلال الرحلة حدثت قصة طريفة. فقد أراد صديقي الجديد مواصلة التجوال، وانتهزت الفرصة للجلوس على مقعد عام في انتظار عودته. شعرت بنوع من الكسل، والتراخي، ولم أدرك أنني قد خلعت الشاشية لبعض الوقت بالفعل. في لحظة ما، انقض عليّ شخص غريب فجأة، وصرخ في وجهي:«من أنت؟ لماذا لا ترتدي الشاشية؟ ». اهتززت من نبرة الرجل الغاضبة، أخرجت الشاشية من جيبي وأعدتها على رأسي. من الواضح أن إيماءتي أقنعته، منذ أن أدار ظهره لي واستأنف سيره دون النظر إلى الوراء. لقد كان وضعا مضحكا حقا.

بالنسبة للسكن، وجدنا أنا وصديقي أماكن في الحمام، وكانت الحمامات تستعمل كملجأ ليلي للأشخاص ذوي الميزانيات الضئيلة أو الامكانيات المالية البسيطة. في الصباح الباكر وصلنا إلى المحطة. عند الدعوة للصعود إلى القطار، سارعت لاختيار مقعد بالقرب من النافذة للاستمتاع بالمناظر البانورامية التي سأكتشفها لأول مرة.

كنت أتطلع حقًا إلى استكشاف المناظر الطبيعية لتونس التي تخيلتها من خلال قصص شيوخي، الذين كانوا طلابا سابقين في الزيتونة. بينما كان القطار يتعمق داخل الأراضي التونسية، ذهلت أكثر بجمال المناظر الطبيعية الخلابة.

عندما وصلت إلى وجهتي، عانيت من نفس الأحاسيس عندما اكتشفت بني أورتيلان. بالفعل في وسط المحطة، استوعبتني الضجة الشديدة للمسافرين الذين يغادرون في جميع الاتجاهات. ثم تهت في وسط زئير السيارات التي تتحرك من دون توقف، والتي زادت من انبهاري، وتخوفي مما سأكتشفه لأول مرة. كنت مرتبكا، لكوني كنت أجهل أي طريق سأسلكه، ومن أي درب أبدأ ...!

# 3 - بحثا عن يحيى بوعزيز

عند خروجي من المحطة، توقفت للحظة لأتماسك مشاعري وأفكر في الخطوة التالية. اقتربت من أحد المارة لأريه الورقة التي عليها عنوان مضيفـــي. بذل الرجل الودود جهدًا كبيرًا ليوضح لي الطريق الذي يجب اتباعه بعناية. لقد كان واضحا في ارشاداته لدرجة أنني وجدت منزل يحيى بوعزيز بسهولة. طرقت على الباب عبثا. كان المستأجر غائبًا. كنت قد جثيت من التعب مستندا إلى الحائط، لأسترخي. فكرت في طرق لتنبيه عائلتي بوصولي إلى وجهتي، والخطوات التي يجب إتباعها لتحقيق الاستقرار في حياتي الجديدة، والهروب إلى أحلام اليقظة ... ومع ذلك، استمر وقت الانتظار وكانت الدقائق تمر متثاقلة وتدق بعيدًا.

بينما كان ذهني في مكان آخـــر، رأيت في غفوة، وأنا بين النـــوم، واليقظة بعين نصف مغمضة شابًا – يحمل حقيبة في يده وسلة في اليد الأخرى تخرج منها قطعة خبز– كان يتجه نحوي، ويسألني مباشـــرة: «هل أنت حقًا محند طاهر بوزغـــوب؟». لقد وجدت أخيرًا من يحميني، كم شـــعرت بالارتياح لحظتها.

بمجـــرد دخولنـــا المنزل، ســـألني عن عائلتـــي وأقاربي وعـــن القرية والبلد. ثـــم أبلغني بإجراءات التســـجيل لامتحان الدخـــول إلى الزيتونـــة وأوضح الخطوات التـــي يجب إتباعها لحجز غرفة طلاب في منطقة باب منارة، لحســـن الحظ، وجدت واحـــدة مجاورة لإدريس مزغنة (الذي أصبح مديرًا للتعليم بعد الاســـتقلال). لقد نجحت في اجتياز امتحان القبول، لأجد نفسي من دون عناء، في السنة الثانية، كنت بذلك من بين القلائل المحظوظين المؤهلين للدرجة الأولى.

كان بوعزيز قدوة بالنســـبة لي، فهـــو الذي بدأ دراسته عام 1949 في الزيتونة، بعد مرور ناجح في زاوية الشيخ أحســـن الطرابلســـي في عنابة. كان مناضلًا في صفوف الاتحاد العام للطلبة المســـلمين الجزائريين (UGEMA) وعضـــو هيئـــة تحرير مجلـــة الطالب الجزائري L'Étudiant Algérien، وكان نشطًا جدًا في جبهة التحرير، مـــن خلال توقيع العديد من المقالات الصحفية التي ظهرت في إصدارات مختلفة، ومراجعات ومجلات تونسية وعربية. وكان على اتصال بمسؤولي الثورة الجزائرية في تونس، الذين نصحوه وشجعوه على مواصلة دراسته. حصل على دبلوم الأهلية، ولما وضعه في جيبه، التحق بكلية الآداب في القاهرة، حيث حصل على إجازة في التاريخ عام 1962.

ســـيكون يحيى بوعزيز من بين بناة نظام التعليم الجزائري من خلال المشـــاركة في تطويـــر البرامج المدرســـية في تخصص التاريخ. بعد أن قدم أطروحة الدكتـــوراه في التاريخ في جامعـــة الجزائر، أنهى حياته المهنية كأســـتاذ في جامعة الســـانية في وهران. عندما وافته المنية، ترك إنتاجًا علميًا مهمًا، لا سيما الأعمال المتعلقة بتاريخ الجزائر.

أرادت عائلتي عندما قررت إرسالي إلى تونس، أن أسير على خطى يحيى بوعزيز، الذي وضعه سكان بلدة إلماين كمثال للنجاح. لكن الشعور بالظلم الذي كان عميقًا في داخلي جعلني أختار مصيراً آخر. وهو الشيء الذي دفعني للالتحاق بالمجاهدين في جبال الأوراس.

من اليسار إلى اليمين:- إدريس مزغنة- محند اكلي ميلودي، صديقا محند طاهر بجامع الزيتونة بتونس.

# 4 -أيام البؤس في تونس

جاء معظم الطلاب الجزائريين في جامع الزيتونة من زاوية الشيخ يحيى العيدلي في تمقرة، ومن معهد ابن باديس في قسنطينة. تتمتع هاتان المدرستان بسمعة تعليمية جيدة وكانتا تتنافسان على الريادة بطريقة ودية وصحية. لقد بدأت في التعود على وضعي الجديد بفضل رفاقي القادمين من هاتين المدرستين. كنت أقدر حقًا رفقة حنفي بن عيسى، فخر مواطنيه بنتائج دراسته الممتازة، الذي جاء لزيارة الطلاب الجزائريين في باب منارة.

خلال إحدى زياراته العديدة لتبادل الأفكار، قدمت له ورقة كتبت فيها الخطوط العريضة لقصة أدبية قصيرة. كنت أرغب في الحصول على رأيه ونصائحه. بعد القراءة، حدّق فيّ لبرهة وقال لي: «أهم شيء يا محند طاهر أن تثابر في الكتابة». ثم قام بفحصي بنظرته الثاقبة وسألني عن أسباب فقدان وزني وملامح التعب والارهاق التي كانت ظاهرة على وجهي. سألني «لقد أصبحت نحيفا!»، فأجبته «إنه مجرد تعب».

التقينا مرة أخرى بعد سنوات في الجزائر. كنت آنذاك طيارًا عسكريًا في جنوب البلاد. ذكرته بمسودة قصتي القصيرة وإجابته المبهة عن سؤالي، لأعرفه عن الأسباب الحقيقية لفقدان وزني والذي لاحظه بأم عينه لدى لقائنا بتونس.

لقد أخفيت عن رفاقي حقيقة أنني كنت أعاني من نقص في المال. لم أتلق العشرين ألف فرنك التي كانت ترسلها لي أسرتي شهريًا عن طريق البريد. لقد استهلكت المبلغ السابق بأكمله دون التفكير في احتمال حدوث تأخير. لم أستطع حتى اقتناء الحد الأدنى من الطعام. لم أجرؤ على استدانة مبلغ من المال أو طلب المساعدة من أبناء بلدي، أو إخبار أقرب رفاقي، مزغنة وميلودي، بقيت في هذا الوضع لعدة أيام، لدرجة أنني أصبت بحالة إغماء وسط القسم.

الحوالة البريدية التي طال انتظارها وصلت أخيرًا، بعد يوم من حادثة القسم الدراسي. أدركت بعد ذلك أنني بقيت بدون طعام لمدة أسبوع. كان من الواضح أن محدثي فوجيء بموقفي. من ناحيتي، لم أجد تفسيراً منطقياً لسلوكي. افترقنا على أمل اللقاء مرة أخرى، كما في أيام باب منارة في تونس.

# 5 - إتمام سنة الدراسة بنجاح

كانت نتائج قبولي للسنة الثالثة والأخيرة من الدراسة جيدة جدا، وقد تم نشرها مع نهاية جوان 1955. سارعت لنقل البشارة ليحيى بوعزيز الذي كان سعيدا بما حققته. لقد تم قبولي بالفعل في المستوى الثالث، لأنني انضممت إلى الفصل الثاني منذ البداية، بعد امتحان القبول الإجباري في بداية العام.

ثم سألني عن خططي لقضاء الإجازة الصيفية. أعربت له عن رغبتي في رؤية عائلتي مرة أخرى، اذ كنت أهم لكتابة رسالة لهم لإفادتهم بخبر نجاحي وأطلب منهم الإذن بزيارتهم. بعد عشرة أيام من ايداع رسالتي في البريد، تلقيت رفضًا قاطعًا.

نصحتني عائلتي بعدم العودة بسبب تدهور الأوضاع في البلاد بشكل عام وفي إلماين بشكل خاص، حيث وجهت وحدات جيش التحرير الوطني في المنطقة ضربات للجيش الاستعماري.

لأول مرة، تم غزو منطقة بني أورتيلان من قبل وحدات كاملة من الجيش الفرنسي، مما زاد من حدة التوتر والخطر وعدم استقرار الوضع. ذهبت لإبلاغ بوعزيز بالمناخ السيئ السائد في منطقتنا ورفض عائلتي الذهاب لرؤيتهم. فوصف هذا القرار بأنه حكيم، واقترح أن أنظم إجازتي على ثلاث مراحل: جويلية للراحة وزيارة المواقع التاريخية في تونس وأوت للقراءة وسبتمبر للتحضير لبداية السنة الدراسية الجديدة 1955–1956.

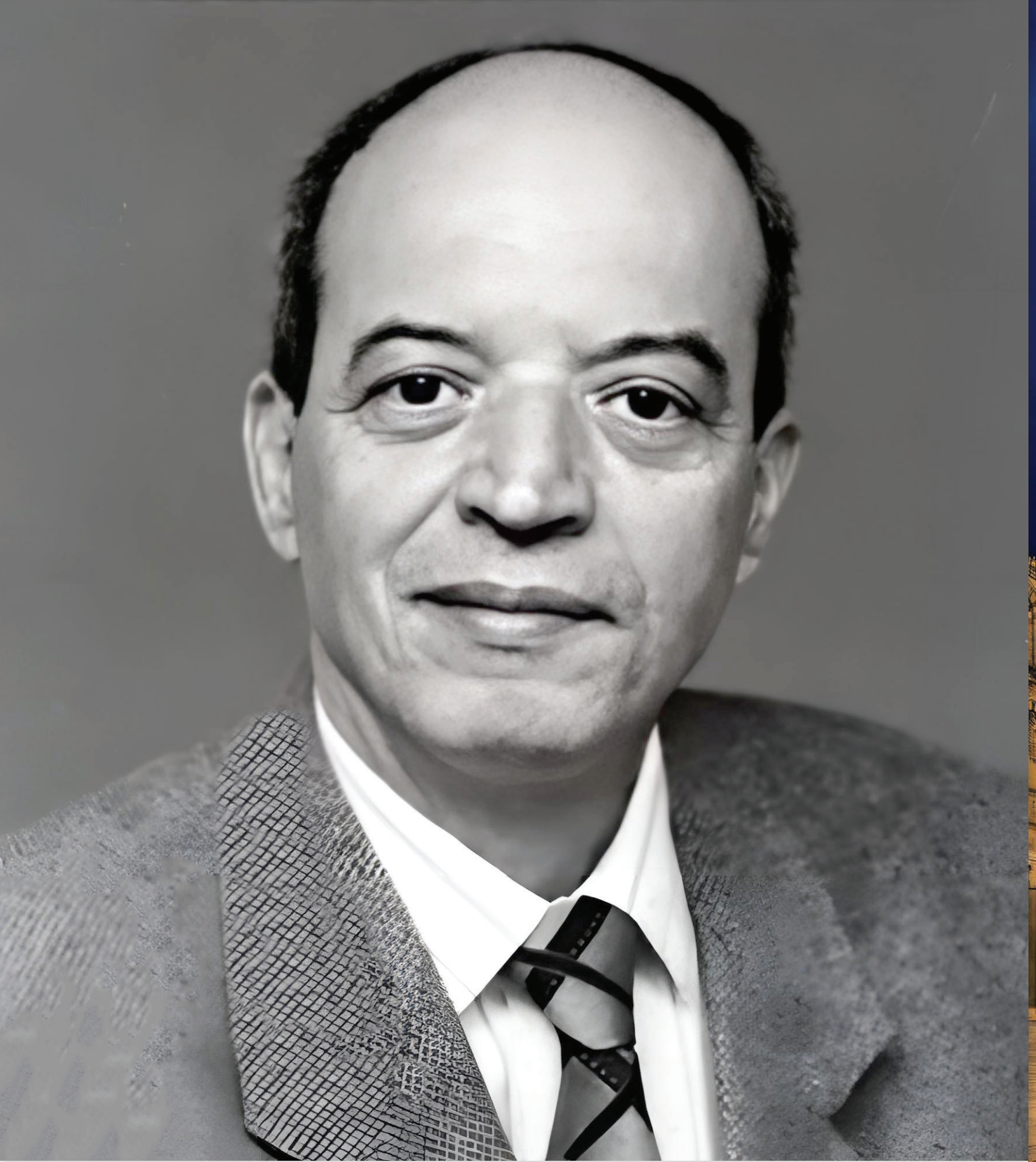

أحمد لارباس، طالب بجامع الزيتونة، وعضو في شبكة جمع الأسلحة بتونس بجيش التحرير الوطني.

# 6 - العضوية المبكرة في جيش، وجبهة التحرير الوطني

تتكون دائرة صداقتي في تونس من إدريس مزغنة، وميلودي محند آكلي وأحمد لارباس، وجميعهم من سكان الحي الطلابي في باب منارة. غالبًا ما كنا نلتقي في عطلات نهاية الأسبوع للتنزه معًا في تونس، أثناءها كنا نناقش مسائل تتعلق بالدراسة والمواضيع أخرى متعلقة بالوضع السائد في بلادنا. لقد كانت لحظات من الاسترخاء لاستئناف الأسبوع والدراسة بشكل أفضل.

لاحظت لفترة الغيابات المتكررة لصديقنا لارباس عن الفصول الدراسية وعن اجتماعات نهاية الأسبوع. وللحصول على جواب لهذا الفضول، قمت بمضايقته ذات مرة، وسألته «من أين تحصل على هذه القضايا التي تكرس لها كل هذا الوقت الطويل؟ لأضيف: أرجو أنك لن تتأذى من هذه الأشغال الشاقة الحميمة».

بعد دقيقة من الصمت، قرر إرضاء فضولي، وقام بإخباري بصوت منخفض، وكان ينظر بعيدًا، أنه كان مشغولا بنشاطاته ضمن خلية جبهة التحرير الوطني- جيش التحرير الوطني، التي كانت تحت مسؤولية شريف عبد الرحمن. وتلا هذا الجواب الذي لم أكن أتوقعه نقاشا على انفراد بيننا.

قال لي بنبرة جادة «الآن بعد أن اعترفت لك، وأفشيت لك بسر غياباتي المتكررة، هل ترغب في الانضمام إلى خليتنا والمشاركة في النضال الوطني من أجل استقلال بلادنا؟». أجبته من دون تردد:

«اتفق معك يا أحمد على المبدأ». وأضفت: «يجب أن تشرح لي الشروط والأحكام التي يجب استيفاءها من أجل الاندماج في هذه الخلية، وتطمئنني على مصير دراستي بعد هذا الالتزام».

كان لارباس راضيًا لما لمسه من استجابة مني لطلبه، لينصحني بإرسال طلب مكتوب بخط اليد إلى رئيس الخلية. اذ أن قبول العضوية أو رفضها يتم عادة بعد المقابلة. كما طمأنني أن العمل النضالي الجدي يحدث خارج ساعات الدراسة.

تسلحت بتفسيرات وحجج لارباس، فركضت لزيارة يحيى بوعزيز أتوخى رأيه مما أنا مقبل عليه. لم يكن بمقدوري القيام بأي شيء دون أن يشير به علي، فهو الشخص الذي كانت أسرتي قد أوكلت إليه إحاطتي بالرعاية ودعمي في حياتي الدراسية العادية، فكيف عندما يتعلق الأمر بقرار مهم يمكن أن يصل إلى حد التجنيد في صفوف جيش التحرير الوطني.

بعد نقاش مع بوعزيز، واجهته برغبتي الصريحة في الانضمام إلى التنظيم الوطني من خلال التصريح بخياري القاطع وبتأكيد كبير، انتهى الأمر ببوعزيز الذي بدا غير مطمئن، لما أنا مقبل عليه، بإعطائي موافقته، لكنه أصر على ضرورة عدم إهمال دراستي والاهتمام فقط بالنشاط، والعمل النضالي.

# 7 - الالتزام تجاه جبهة وجيش التحرير الوطني

لم أكن أعلم أن حياتي ستتغير تمامًا، بعد مقابلتي مع عبد الرحمن شريف بحضور أحمد لارباس. بعدما قدمت طلبي للحصول على العضوية، لم أكن أعرف أنني سأغادر دراستي، لأبدأ رحلة طويلة ومحفوفة بالمخاطر ستقودني إلى معقل جيش التحرير الوطني في جبال الأوراس.

أثناء الترحيب بي، أبدى شريف عبد الرحمن اهتمامًا في البداية بدراستي وظروف إقامتي. أبلغني فورا بإدماجي في صفوف جيش وجبهة التحرير الوطني، وفي نفس الخلية مع صديقي لارباس. ثم أعطاني شهادة عضوية.

بصفته خطيبًا جيدًا وناشطًا متمرسًا، انطلق مباشرة في حديثه إلى شرح أسباب الثورة وأهدافها والمستوى الذي وصل إليه العمل المسلح داخل البلاد في الجبال والمدن، وكذلك إنشاء تنظيم مسلح، ففي غضون عام واحد، انتشر هذا التنظيم في جميع أنحاء التراب الوطني. كان خطابه عقلانيا، ومنظمًا للغاية.

وكرئيس للخلية، أعطى بعض التوجيهات فيما يتعلق بعمل التوعية بالقضية الوطنية في أوساط الطلاب والشباب من جاليتنا المستقرة بتونس. بالنسبة لي، كان من الضروري أن أطبق بدقة النصيحة الثمينة لزعيمي السياسي، خاصة وأن الجيش الفرنسي كان لا يزال موجودًا على الأراضي التونسية وكان مساعدوه دائمًا على الإطلاع بما يجري في هذا البلد الشقيق. وكان من الضروري توخي مزيد من الحذر وخاصة احترام النظام العام للبلد المضيف.

بتونس خلال لقاء الولاية الأولى: من اليمين إلى اليسار واقفون: صالح قوجيل، علي بن مشيش، عبد الصمد.
جالسون من اليسار إلى اليمين: محند طاهر بوزغوب وعزالدين ملاح (ماي 1957).

# 8 - إجراءات الانخراط الأولى في صفوف التنظيم الثوري

كان التزامي بأداء ما سيوكل لي سيكثف من تجربتي في العمل الثوري الميداني. فبعد اندماجي في خلية سي عبد الرحمن، التقيت جمال قنان، الطالب والناشط في التنظيم المسلح لجيش التحرير الوطني، وهو الذي التقيته بالفعل في منزل عائلة من أصول جزائرية. كان هو من جندني في شبكة نقل أسلحة تابعة لجيش التحرير الوطني. لقد رافقته في رحلاته المستمرة في تونس ومحيطها مع العائلات الجزائرية التي زودتنا بترسانة بسيطة من الأسلحة في بعض الأحيان ولكنها كانت ضرورية للكفاح المسلح. وكانت الرحلات تتم على مركبة من نوع «سيتروان» كان يقودها بنفسه.

لاختبار مهاراتي في هذا النوع من النشاط السري الذي يتطلب الكثير من الهدوء ورباطة الجأش، أعطاني في يوم من الأيام مسدسًا من عيار 9 ملم، قبل ساعات قليلة فقط من مغادرتنا إلى مزرعة تديرها عائلة جزائري كانت تقع على بعد مسير ساعة بالسيارة من العاصمة تونس. عند وصولنا إلى المكان المحدد، استقبلتنا العائلة بحماس وبالدفء الذي يعكس الأخوة الناشئة بيننا كجزائريين حافزهم الرغبة في خوض القتال التحرري.

هذه المرة أعطونا مجموعة من الأسلحة مخبأة في كيس من القمح. تم تحميلها في صندوق السيارة، وسلكنا طريق العودة مرة أخرى إلى تونس. لاحظت أن قنان مر عن قصد بالطرق التي تكثر فيها الحواجز العسكرية. أدركت لاحقًا أنني نسيت تمامًا وجود المسدس المخبأ في حزامي.

قنان، وهو مناضل مخلص وشديد الاقتناع بالقضية الوطنية، كان يتحلى بهدوء كبير. ومن خلال قيامه بذلك، أراد رؤيتي أثناء العمل واختبار مهاراتي. كان يحاول إقناع نفسه بمستوى التزامي بالعمل المسلح. رافقني مسدسي، الذي قدمه لي قنان، في رحلتي المحفوفة بالمخاطر الى الأوراس، حتى اليوم الذي اعتقلني فيه عبد الرحمن العمراني، والذي سلمني إلى مجموعة منشقة توصف «بالمشوشين» بقيادة مسعود بن عيسى.

بعد اداء مهام مختلفة رفقة قنان في تونس، انضممت إلى مجموعة من الشباب الجزائريين الذين كانوا يستعدون للذهاب إلى الحدود للانضمام إلى جيش التحرير الوطني في داخل البلاد. أثناء انتظار يوم المغادرة، أصبحت غياباتي عن الفصل أكثر تواترًا وأوقفت نزهات نهاية الأسبوع المعتادة في المدينة.

ردا على الأشخاص الذين سألوا عن أسباب تغيباتي الغامضة، قال صديقي أولبصير إن لدي عبئا تجاريًا استهلك وقتي. أعتقد أنه بعد مرور الزمن لم يقتنع أحد بتبريرات أولبصير.

جامع الزيتونة ،معبر لابد منه للطلبة الجزائريين

الفصل 3

# نداء الأوراس

محند طاهر بوزغوب يخطب أمام جمع من سكان احدى مداشر الأوراس (التازة سنة 1956)

# 1 - في الطريق إلى الحدود الجزائرية - التونسية

كان من الضـــروري الانتظار حتى منتصف أفريـــل للحصول علـــى إذن من المســـؤولين حتى يتمكـــن المناضلون من الانضمام إلى كتائـــب جيـــش التحرير في الداخـــل وبالتالـــي تنظيم عملية مغـــادرة التراب التونســـي. كنت سأغادر مقاعد جامع الزيتونة إلى الأبد من أجل مصيـــر آخر، أكثر مجدا بالنسبة لي؛ في ذلك الوقت، لم يكن لـــدي أدنى فكـــرة عن الصعوبات التي يواجهها المقاتلون أو ظروف الحرب غير المتكافئة، التي يقودها الثوار المسلحون ضد القوة العسكرية الرابعة في العالم.

لقـــد انبهـــرت بروايـــات المقاتلين عـــن انتصارات كتائب جيـــش التحرير الوطنـــي، لكنني كنت أشعر بالألم، وأنا أبحث عن أفضل السبل للمساهمة في المعارك المســـلحة التي كان يقودها أبناء الشعب الذي أنتمي اليه.

لم أكن أعلم أنني سأندفع في رحلة محفوفـــة بالمخاطر وأنني سأواجه حالات خطيرة كادت أن تودي بحياتي عـــدة مرات. لكنني سأكتشف كذلك أن جيش التحرير مدرســـة في الكفاح ســـتجعلني أتصالح مع هاجس الموت الذي لا يكاد يفارقـــك طيلة تواجدك في الجبل. كنت ذاهبًا أيضًا لاكتشاف ظروف حياة المقاتلين التي كانت صعبة جدا في الجبال.

لم ابـــح لأحد عـــن اقبالي على مغادرة مقعد الدراســـة وعن مشـــروعي للالتحـــاق بصفوف جيش التحريـــر الوطني. لقد فهم صديقي إدريـــس مزغنة الموقف عندما وجد، بعد مغادرتي بأيام، في جيب أفضل سترة لديه، المحجوزة للمناسبات الخاصة، رسالة مطوية بعناية كانت فيها ورقة تحمل عبارة «وداعًا» مرفوقة بورقة نقدية.

في الحافلة التـــي كانت تقلنا إلى الحدود، كان من ســـوء حظي أن أجد نفسي جالسًا بجانب مسافر غير عادي. فعلاوة على كونه كان قوي البنية، كان يحمل الكثير من المتاع على ساقيه. انطلقت الحافلة وكانت تت حرك ببطء وتتوقف في أكثر الأماكن غير المحتملة بناءً على طلب المســـافرين. مع كل صرير للمكابح، كان جـــاري في المقعد الضيق يتأرجح بكل ثقله على كتفي النحيفة؛ لم يكن لدي خيار سوى تحمل هذا الوضع المرهق، حتى وصل إلى وجهته، وكانت فرحتي كبيرة بانزياح هذا الثقل الذي كان على كتفي كلما ترنحت الحافلة في الطريق. في المحطة الواقعة في بلدة «تلابت» الحدودية، الواقعة جنوب مدينة «القصرين» تركنا مرشـــدنا وسلمنا إلى المسؤول عن المعبر السري إلى الجزائر.

محند طاهر بوزغوب مع علي أولحاج (الولاية الأولى 1956).

# 2 - الدخول للبلاد عبر الجبال

في اتصال مع قادة جيـــش التحرير الوطني المتمركز في جنوب غرب تونس، علمنا أن اثنين آخرين من الجنود كانا ينتظران منذ أيام للوصول إلى العدد المطلوب من المرشحين للموافقة على العبور. بالترتيب المقدم، تم تفويضنا لرعاية مرشـــدنا المنضم في النقطة المحددة. بقيت مسافة قصيرة، بالكاد تتجاوز الكيلومتر، لنجد أنفسنا أخيرًا على الأراضي التي أردنا بكل قوتنا تحريرها.

في هذا الجزء من الرحلـــة، كان من الضروري توخي المزيد من اليقظة والحذر لاكتشاف أدنى حركة للعدو. كنا في كل مرة نتوقف لتفقد المنطقة. عند المعبر كنت ممزقا بين شعورين متناقضين. لقد اتعبني الشعور بالخوف من الوقوع في فخ العدو لكنني كنت كذلك فرحا لمجرد التفكير بأن قدمي ستطأ في النهاية هذه الأرض الحبيبة. كنت أهم بالإسراع من ســـيري للتعجيل بالمرور لولا يقظة المرشد الذي أمسك بكتفي لتهدئتـــي وحذرني من موقفي الذي يمكن أن يعرض المجموعة بأكملها للخطر. لذلك كان من الضروري المرور واحدًا تلو الآخر وبطريقة منظمة لتجنب تنبيه حرس الحدود المنتشرين في المنطقة. استطعنا مرور الحدود ووطأت بذلك أقدامنا أرض الوطن وواصلنـــا التقدم حتى قرب مدينة بئر العاتر، وجبل العنق في تبسة.

كانت فرحتنا لا توصف برؤية مجموعة المقاتلين التي سـرعان ما انضمت إلينا. هنأنا المسـؤول عن الدورية على اختيارنـا الطوعي للانضمام إلى الكفاح التحريري وأظهر اهتمامًا شـديدًا بالنشاطات التي كنا نقوم بها وباهتماماتنا وبالدوافع التي جعلتنا نختار طريق الكفاح المسلح.

قام على الفـور بتعيين المقاتل عباس، رئيسًـا لمجموعتنا وعمر نائبا له، لمرافقتنا في رحلتنا نحو جبل قرن الكبش.

فصيلة من جيش التحرير الوطني بالولاية 1 سنة (1956)

# 3- أول ظهور للعدو في «قرن الكبش»

نشـــر المقاومون القدامى فكـــرة ترتبط بضرورة التخفي عن أنظار العدو مدعين أن الطيار يمكنه سماع أدنى ضوضاء من الســـماء. كانت وسيلة للضغط على الجنود لتوخي المزيد من الحذر عند مرور الطائرات. من جانبي لقد أخذت هذه الشائعة بكثير من الجدية، اذ أنني توقفت حتى عن مضغ قطعة الكسرة (خبز اليابسة) التي وضعتها بالفعل في فمي. قامـــت الطائرات بعدة طلعات استطلاعية فوق الجبل. بعد بضع دقائق، والتي بدت طويلة جدًا بالنسبة لنا، ابتعدت. ثم غادرنا المكان على الفور خوفًا من أن يتم رصدنا ومن الاضطرار إلى مواجهة قوات الجيش الاستعماري دون استعداد.

كانت الكثير من الأسئلة تدور في ذهني، هل تقرر هذا الاستطلاع الجوي بعد الحصول على معلومات؟ هل كانت بفعل وشاية؟ هل هي مجرد دورية روتينية؟ منذ الأسبوع الأول من اندلاع الثورة الجزائرية الوطنية، تم اســـتخدام طائرات الاســـتطلاع من طرف العدو الذي كان يسعى من خلال ذلك الى ارهاب وتخويف المواطنين. عادت عدة أسئلة إلى أذهاننا، لكن الخوف تبدد عندما علمنا لاحقا مـــن المقاتلين في المنطقة أن طائرة الاستطلاع لا تحمل قنابل أو مقذوفات.

على أي حال، لقـــد أجرينا للتو معاينة صغيرة لما ينتظرنا في مناطـــق القتال. فكانت حادثة «قرن الكبش» بمثابة إعلان عن ذلك بالنســـبة لنا وبدأنا بالفعل ندرك الأمر. وعليه كان من الضروري ترويض فكرة الموت، التي كانت بمثابة النصيب اليومي لكل مقاتل. في الجبال، يمكن للموت أن يفرض نفســـه في أية لحظة ومن دون استئذان، عند منعطف مسار، في قلب طريق، على فراش وادي، خـــلال الفيضانات الفجائية لمياه تلك الأودية. كان على المقاتل أن يربط علاقة يومية مع فكرة الموت.

بينما كنا نواصل طريقنا، كنا نشـــعر بأن الخوف منتشر في كل مكان. على سفح الجبل الأبيض جنوب تبســـة، تمكنا أخيرًا من التقاط أنفاسنا. كان هذا الجبل مخبأً منيعًا لجيـــش التحرير، ومعبرا ضروريا للكتائب المتجهة نحو تونس.

كنت منبهرا بضخامة الجبـــل الأبيض الذي كان مركزا هاما لجيش التحريـــر الوطني لكونه عصيا عن أي اختراق لقوات العدو. مـــن المؤكد أن هذا الجبل لازال يحتفظ حتى الآن بداخله على بقايا عظام الكثير من المقاتلين من المنطقة، ومـــن الولايات التاريخية الأخرى، الذين كانـــوا في طريقهم نحو تونس لجلب شحنات السلاح.

لاحظت أن جنود جيش التحرير كانوا يبحثون في التجاويف، وفي ثقوب الأرض الموجودة بكثرة في هذا الجبل عن أي شيء يقتاتون به، دون الاكتراث بطبيعته.

كان الأمر يتعلق بنباتات الطحالب المغطاة بمادة لزجة، كانت تطفو على الماء داخل تجاويف وفي ثقوب صخرية على عمق أو سنتيمترات. كان الجنود يشربون تلك السوائل الآسنة، بعد تخليصها من اللزوجة العالقة بها. كانت مياها ثقيلة مثل اللبن الرائب، بلون مخضر.

من الجبل الأبيض ينبجس وادي هلايل الذي يغور بعيدا نحو الجنوب، لري المناطق القاحلة، لكن لفترات قصيرة من الزمن فقط، وذلك هو السر وراء وجود التجاويف الصخرية التي يتجمع فيها الماء، وتجذب إليها كل أنواع الحشرات، والغريب أن الجنود الذين شربوا تلك المياه، لم يشتكوا من أي ألم جراء ذلك.

كنا نتمنى أن نصادف كوخًا أو خيمة بدوية في المنطقة كلما ابتعدنا عن الجبل الأبيض، لنجد ما نقتات به ولو القليل من الطعام الذي عساه يسكت الام بطوننا التي كانت تتضور من شدة الجوع، الذي سيرافقنا طيلة تواجدنا في الجبل.

واصلنا السير ليتوقف فجأة المسؤول عن المجموعة اذ لاحظ وجود هيئة تشبه إلى حد كبير خيمة تقع على مرمى من نظرنا. توقفنا كلنا بأمر من مسؤولنا لكي نسمح له بالاستكشاف. جاء رجل لمقابلته، وللاستفسار عن هويته. كان الأمر أخيرًا يتعلق بمواطنين كرماء أحسنوا ضيافتنا، اذ قدموا لنا الماء لإرواء عطشنا والكسرة لتهدئة جوعنا. بعد هذه الاستراحة القصيرة التي كنا نستحقها عن جدارة، سارعنا الخطى للوصول إلى أقرب مركز لجيش التحرير الوطني قبل حلول الظلام، صادفنا مجموعة من المقاتلين، كانوا يعبرون المنطقة، وغادر مرشدانا عباس، وعمر، عائدين من حيث أتيا، وإلتحقا بمكانيهما في الشرق على الحدود، وواصلنا التقدم نحو جبال الجرف.

اللقاء الشهير بين شيهاني بشير، وأعيان منطقة النمامشة، في مسعى لتوسيع قواعد جيش التحرير الوطني، جرى في هذا الجبل، تبعت ذلك معركة كبرى طبعت مسار الثورة، وخلفت أثرا كبيرا لدى المجاهدين، والسكان في المنطقة. جرت معركة الجرف الشهيرة مابين 22 إلى 29 سبتمبر 1955

وجدنا أيضا مقاتلين من جيش التحرير الوطني في هذا المكان الذي يرتاده الجنود باستمرار، نظرا لكونه بعيدا عن أعين الاستعمار، وأعوانه، ولما يوفره للمجاهدين من شعور بأنهم متى لجؤوا اليه فهم في أمان. التقيت في الجرف في ذلك اليوم بأحد الفارين من الجيش الفرنسي وهو من أصول مغربية و قد كان يتقاسم معي بانتظام، وبطريقة شحيحة للغاية قطعة كسرة كانت بحوزته، ويعطيني منها كل مرة قطعة صغيرة.، وداخل ما يشبه البئر، وهي حفرة عميقة تحتوي على ماء عذب، وجدنا أسماكا تسبح. أخرجت مسدسي الذي أعطاني اياه جمال قنان، وأطلقت رصاصة، لكي تصعد السمكات للسطح، كان لزاما علينا تدبر طريقة لكي نسكت الجوع الشديد الذي كاد يهلكنا بعد بقائنا ثلاثة أيام دون طعام.

من الجرف حيث لم تستطع مجموعتنا لقاء بابانا ساعي، وسيدي حني، المسؤولان عن تلك المنطقة، والتي تمتد حتى الحدود التونسية، استأنفنا المسير مرة أخرى نحو جبل «أرقو» الواقع في منطقة الشريعة. كان جبل «أرقو» المكان الذي يتردد عليه كثيرا مسؤولو المنطقة، أمثال الوردي قتال، وعباد الزين، وخصوصا لزهر شريط.

# 4 - في «أرقو»...

# عرين رجال النمامشة المقاومين

وصلنا إلـــى مركز قيادة لزهر شـــريط في جبل «أرقو» مع منتصف النهار في اليوم الثـــاني من تواجدنا على التراب الجزائري، اســـتغرق الأمر وقتًا طويلاً لمقابلة المسؤولين. أحيط أحد المسؤولين في المركز علما بوجودنا هناك وتمت افادته بالمعلومات الخاصة بنا من خلال وثائقنا الشخصية. وقام على الفور بتوجيه كل واحد منا إلى وحدة مختلفة، من بين وحدات جيش التحرير المرابطة في تلك المنطقة.

فيما يتعلـــق بي فقد أمرني بالتوجـــه إلى الطالب علي عليا الذي كان يتولى مهام سكرتير المنطقة، لقد جعلني هو ومساعده مأمون، اللذين أبديا سلوكا في غاية اللياقة والتهذيب تجاهي الى درجة شعرت فيها بأنني كنت محل ترحيب.

كانت إقامتي معهما ممتعة ومفيدة. استطعت الاستفادة منهما لفهم مهام الســـكرتير، والتعرف على التنظيم اليومي لحياة المقاتـــل، والخدمات الصحيـــة والإدارة، ومعرفة أساسيات التدريب العسكري والدعم اللوجستي، لا سيما من حيث توريد المواد الغذائية والزي الرســـمي والأسلحة والذخيرة. لذلك كانـــت هذه التجربة مفيدة بالنســـبة لي خصوصا في المهام التي ستوكل لي في المستقبل.

كما اكتشـــفت خلال اقامتي بجبل «ارقو» عالمًا من الأخوة والتضامن. كنت أعيش في تكتم وســـط المقاتلين، كنت أتطلع إلى لحظات الاســـترخاء للاستماع إلى قصص المعارك من أفـــواه المقاتلين الذين شـــاركوا فيها. وكنت أنتظر بشغف أكثر المناسبات التي يتلو فيها المقاتلون قصائد الملحون (شعر شـــعبي باللغة الدارجة الجزائرية)، والتي ترفع من قيمة النضال المســـلح للشعب وتمجد انتصاراته. وقد أســـرتني هذه القصص البطولية،. تحدثت واحدة من

تلك القصائد عن قيام جيش التحرير في جبال الأوراس بحفر أنفاق داخل الجبال لإيواء الطائرات والدبابات. لقد أسرتني هذه الأســـاطير لدرجة أنني كنت متشوقًا للوصول إلى هذا المكان المشهور بكونه أحد الأماكن التي تعرف نضالا مســـلحا من دون هـــوادة من أجل استقلال الجزائر.

الأوراس 1956.
واقفون من اليمين إلى اليسار :
-علي بن ماشيش -محند طاهر بوزغوب-
سعيد (مكلف بالاتصالات بين الولاية 1، والولاية 2)، وينحدر من منطقة بني ورتيلان جالس على اليمين بوباكير مسعود.

# 5 -الرغبة الشديدة في الالتحاق بجبال الأوراس

في حواراتي مع ســـي علي عليا، رويت له الخلفية التي دفعتني للنضال ضد المســـتعمر ومسائل أخرى كثيرة، منها قضايا متعلقة بفترة دراســـتي في الزيتونة، ونشـــاطي ضمن جيش، وجبهة التحرير الوطنيين في تونس، وعبرت له عن رغبتي الشـــديدة في الإنضمام إلى أول دورية تغادر نحو غرب جبال النمامشـــة. كان حافـــزي هو الوصول إل الأرض التي شـــهدت أولى عمليات الثورة التحريرية ايذانا ببداية الكفاح المسلح ضد المستعمر، والاقتراب أكثر من المنطقة التي ولدت فيها لأتمكن من العثور على فرصة لزيارة عائلتي التي لم أرها منذ مغادرتي الى تونس. للوصول إلى قريتي من الأوراس، لم يكن علي سوى عبور جبل بوطالب، وهو مكان عبور بين الولايتين الأولى والثالثة.

كان جبل «أرقو» يعرف ازدحاما متواصلا يكاد لا ينقطع. كانت الحركية فيه دؤوبة خصوصا مع وصول المجندين الجدد الذيـــن كانوا يتدفقون من كل حدب وصوب. كانت هذه علامة علـــى نجاح مؤكد لجيش لتحرير الوطني في عمله لتوســـيع قاعدته وســـط أبناء الشعب الجزائري. لم يخف علي العليا فرحته أمام هذه الحركة المتواصلة ومن دون انقطاع للمقاتلين.

أنا أيضًا، كنت سعيدًا بهذا التطور النوعي في مظاهر عودة الحياة، والوعي لدى الشعب الجزائري، فاندلاع الثـــورة التحريرية، في الفاتح من نوفـــمبر ، كان وراءه مجموعة من المســـلحين من حزب الشعب الجزائري والمنظمة الخاصة (OS) وأصبح مع مرور الوقت مسألة شعب بكامله.

كنت متحمسًا لإنخراط المقاتلين الجدد وفي نفس الوقت مقتنعًا بأن مســـؤولي المنطقة سوف يمنحوننا الإذن بمواصلـــة رحلتنـــا نحو وجهتنـــا الأخيرة أي جبال الأوراس.

صدر القرار أخيرًا بتشكيل دورية تتجه غربًا، وتم تعيين الهادي شوشان لقيادتها. كانت فرحتنا عارمة لما علمنا بيوم مغادرتنا.

عمل الهادي شوشان، القائد المعروف والمطلّع على شـــؤون جيش التحرير الوطني في هذه المنطقة، أن يجعل مكوثنا في ذلك المـــكان فرصة لتمكيننا من بعض طرق القتال في الجبال وذلك ليحول دون ركوننا للكسل أو الاســـتسلام للخمول الذي بدأ يتسلل الى أفراد المجموعة. ومن أجـــل ذلك ابتكر طريقة لملء الوقت مـــن خلال تدريبنا أولاً على مبـــادئ القتال المسلح. لقد وضع برنامجًا خاصا وتم تنفيذه بسرعة. ويتمثل ذلك البرنامج في القيـــام بتمارين بدنية لنكون قادرين على مقاومة التعب في التحركات المســـتمرة التي كانت تنتظرنا، وعلى كيفية التعامل مع الأســـلحة وإطلاق النار، وحفظ أنواع الأســـلحة التي يستخدمها جيش التحريـــر الوطني عن ظهر قلـــب؛ وبذلك كنا نتعرف على كيفية تفكيك أســـلحتنا وإعادة تجميعها، وإتقان العمليـــات الكفيلة بالمحافظة عليها، خاصة في الظروف المناخية القاسية في الجبال.

بعد هذه الدورات التدريبية والاستراحة، ننتقل إلى تعلم الأساليب التكتيكية للمقاتلين في الغابات: من بينها

المجاهد محند طاهر بوزغوب بالأوراس

تقنيات نصب الكمائن، وتنفيذ الاشتباكات والتحرش بطليعة العدو أثناء تحركاتهم. تم تدريبنا أيضًا على معرفة كيفية الالتفاف على عمليات التمشيط والاستفادة من آثار المجاهدين أثناء العمليات العسكرية. لقد أعطانا هذا البرنامج لمحة عما ينتظرنا في الميدان. وبالنسبة لي، فمن خلال هذه الأنشطة شعرت بنوع من الطمأنينة لكوني استعدت ثقتي في كوني سأعاود قريبًا السير الى جبال الأوراس.

على الرغم من الجهود التي كان يبذلها مسؤولنا الهادي شوشان لجعل إقامتنا ممتعة وتجنب إعياء المجندين الجدد، كنت مستعجلاً مغادرتنا المكان للذهاب إلى الأوراس.

أن المجموعة بأكملها التي غادرت تونس كانت تحترق رغبة في الانخراط ضمن كتائب جيش التحرير الوطني، وفي العمل على العبور إلى مرحلة المواجهة المسلحة مع العدو. كان هذا هو السبب الذي دفع كل واحد منا ليخاطر بحياته في مثل هذه الرحلة الطويلة.

استيقظت مبكرا ذات يوم، خلافا لعادتي، لأكتشف أن قائد دوريتنا، مع نوابه، يقفون في وسط المكان الذي كنا نقيم فيه. وأثناء اقترابي، لألقي عليه التحية العسكرية، دعاني بتواضعه المعتاد وبلطف لإيقاظ رفاقي، قائلا «لقد نمتم بما يكفي». تم التجمع بعد بضع دقائق. همس جاري في أذني بعبارة «سوف نغادر».

وبالفعل فقد خاطبنا أحد المسؤولين وطلب منا الاستعداد فورًا للمغادرة باتجاه الغرب. ثم أوضح أن المجندين الجدد من تونس، معنيون بهذا الأمر، وهم الذين أعربوا بالفعل عن رغبتهم في الذهاب إلى الأوراس، وقد كانوا منزعجين من نظام الحركة المتقطع هذا. ثم سأل عما إذا كان هناك أي شخص آخر يريد أن يكون ضمن الدورية نحو الغرب. تم تعيين عناصر الدورية أخيرًا، فقد كانوا ثلاثة مجندين جدد من تونس (أنا وقدور وسعيد) واثنان من المجاهدين كانا يريدان الرحيل الى منطقة خنشلة. كانت مسؤولية الدورية منوطة بالمجاهد سي علي الذي أعطانا الأمر بالمسير. قبل مغادرتنا، أردت أن أحيي وأشكر قادة دوريتنا الأولى الذين تمكنوا من قيادتنا، والوصول بنا في أمان إلى هذا المعسكر.

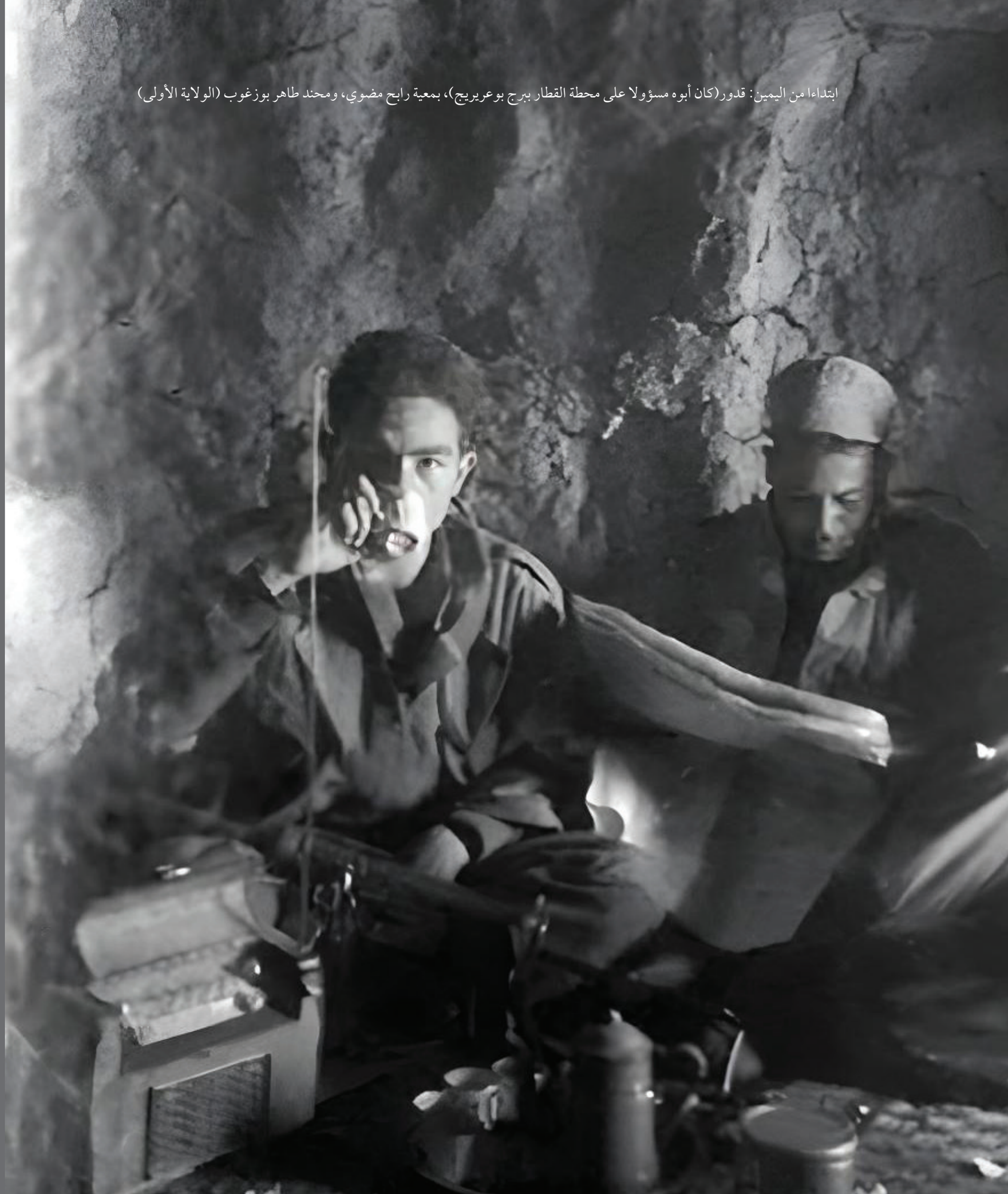

ابتداءا من اليمين: قدور(كان أبوه مسؤولا على محطة القطار ببرج بوعريريج)، بمعية رابح مضوي، ومحند طاهر بوزغوب (الولاية الأولى)

# 6 -المقاتل المثالي
# سي علي النموشي

قام المسؤول سي علي، الذي يتمتع بخبرة في قيادة الرحلات في جبال الأوراس، بإشارة واضحة من خلال بسط يده اليمنى في لفتة حازمة لتوجيهنا نحو الغرب مرفقا الأمر بابتسامة عريضة. تحركت المجموعة وعلى رأسها سي علي، المعروف بصفة المقاتل الدؤوب، والذي يتمتع بصفات إنسانية عالية لا يمكن إنكارها. كان يرحب كثيرا بالمجندين الجدد، خاصة أولئك الذين ينحدرون من مناطق أخرى من بلدنا الشاسع. بصفته مسؤولا كفؤا ودليلًا واسع الاطلاع، قدم لنا نصائح قيمة حول الموقف الذي يجب مراعاته خلال مسيرتنا الطويلة، وحول الاحتياطات الواجب اتخاذها في كل مرحلة من مراحل رحلتنا المحفوفة بالمخاطر في هذه المنطقة، حيث كانت الحرب قد بلغت ضراوتها.

لم يكن لدينا خيار سوى الانصياع حرفيا لإرشادات وتوصيات هذا المقاتل المتميز. كان وجود هذا الرجل، بإيماءاته، وإشاراته الدقيقة وتوجيهاته، فرصة لنا للنجاة، والتقدم في السير نحو وجهتنا. إن معرفة هذا الرجل الكاملة بالمنطقة ويقظته حالتا دون وقوعنا في كمائن العدو، والمطبات الكثيرة التي كانت تتربص بنا في الطريق. ما كان على المجموعة سوى أن تكون حذرة وتتبع تعليماته وتنتبه لتحركاته. كان يعرف مدى السرعة التي كان يجب السير وفقها في كل مرحلة.

من غرب «جبل لبيض»، سلكنا الطريق إلى الجنوب الشرقي من «سطح قنطيس»، على طريق خالية من الغطاء النباتي والتي توفر مناظر طبيعية تشبه تلك المناظر الجرداء التي التقطت من سطح القمر. ولكونه كان معتادا على هذا النوع من الرحلات، كان المجاهد سي مخلوف على الدوام في ذيل القافلة.

مع توغلنا في الجبل متجهين إلى الغرب، بدأ الأمل في الوصول أخيرًا إلى الأوراس يتغلغل الى أنفسنا. كان سي علي النموشي منشغلاً بتجنب أي فخ قد يضعه العدو في طريقنا. بعد أن قطع هذا الطريق عدة مرات، كان على دراية بالمخاطر التي تواجهها دوريته. قرر التوقف ليراقب المنطقة بغية تحديد الأماكن المفضلة لأخذ قسط من الراحة. كان يقوم باختيارها بناء

على معرفته الواســـعة بكل تفاصيل الأمكنة، ويقوم تقديـــر مدة التوقف، حســـب المناخ والتضاريس والمسافات المقطوعة.

ومع ذلك، أثناء رحلـــة العبور هذه، كان عليّ أن ألاحظ بشـــكل عام الوضع السائد في هذه المنطقة من الولايـــة الأولى التاريخية. وفي الوقت الذي كنا نعبر فيه المنطقة، لم يكن تنظيم جيش التحرير الوطني قد وصل الى حد التغلغل الـــى جميع الجهات عبر المنطقة. الا انه كان يبدو واضحا النشاط الذي كان يقوم به المناضلون الوطنيون القدماء. اذ كانوا يثابرون على الاســـتمرار على العمل في الأوســـاط الشعبية، ويجتهدون لتوسيع نطاق انتشار جبهة التحرير الوطني، ويعملون على تنظيم السكان لصالح الثورة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكثر العمليات العســـكرية جرأة، حدثت في هذه المنطقة بين عامـــي، 1955 - 1956م . فمنها معركة «الجرف» الشهيرة ، ومعركة «أم لقماقم»، ومعركة «ارقو» الشهيرة التي جرت تحت قيادة لزهر شريط، في جويلية ، بعد فترة وجيـــزة من عبوري في ذلك المكان، حيث كاد أحد أشـــهر ضباط الجيش الاستعماري أن يموت. فقد أصيب فيها العقيد مارســـيل بيجار إصابة قريبة من القلب، ونجا بأعجوبة من موت مؤكد في ذلك اليوم.

وقد فهمت على وجـــه الخصوص، أثناء عبوري للنمامشة، أن البريد لم يكن يمر بسهولة بين طرفي هـــذه الولاية؛ فقـــد انقطع الاتصال بشـــكل تام تقريبًا بين الأجزاء الشرقية والغربية من الأوراس-النمامشـــة. وســـيصبح الأمر واضحا بالنسبة لي عند تعييني سكرتيرا لعباس لغرور لفترة قصيرة، لأنه سيضطر للمغادرة الى تونس اسابيع فقط بعد وصولي الى المنطقة.

بوزغوب على اليمين، سعيد،(مكلف بالاتصالات بين الولاية 1 و الولاية 3 ) سنة 1956

# 7 -التوقفات وقصص المعارك

كان المجاهد سي علي النموشـــي حكواتيا ممتازا. اذ كان في كل محطة نتوقف فيها يخبرنا بملاحم المقاتلين خلال المعارك والاشتباكات مع الجيش الفرنسي. وروى لنا بطريقة جذابة عمليات تحضير وتنفيذ الهجمات الأولى، المعلنة عن انـــدلاع الثورة الجزائرية، مثل الهجوم داخل مدينة خنشلة على عدد من الأهداف الأمنية الإستعمارية تحت إشراف عباس لغرور . كما كان يسهب في الحديث عن حالات محددة أعطت لمحة عامة عن اتســـاع صفوف الثورة ووصول نيرانها الى كل المنطقة، بينما كان اندلاع العمل المســـلح في البداية على يد حفنة من الرجال. أصـــر على رواية القصص التي عـــززت الالتزام والتضحية بالغالي والنفيس من أجل تحرير الـــبلاد التي خضعت لأكثر من قرن لاستعمار بشع.

كان الشعور بالتضحية بالنفس، بالنسبة له، هو السلاح الأكثر فاعلية للمجاهدين والذي لا يمكن للعدو أن يفعل شيئًا ضده على الإطلاق.

غالبًا ما كنت أقف خلف ســـي علي النموشي في رحلتنا الطويلة لأراقب كل تحركاته. لقد كانت له قدرات على المشـــي مدهشـــة. اذ كان يسير دون كلل لمسافات طويلة. كان كذلك مقاتلاً شجاعًا وخبيرًا قيِّمًا لجغرافيا منطقة الأوراس-النمامشـــة، حيث كان على دراية بأدق تفاصيل دروب المنطقة. كان يباشر بالمشي من دون توان، له سمع حاد ونظرة ثاقبة، وبعيدة؛ يمكنه أن يرى أدق الأشكال المتحركة في الأدغال. كان يتوقف في كل مرة لمسح وادٍ أو تل أو قطعة أرض كثيفة بعيدة، مما يتيح له حرية التصرف، قبل أن يقرر التوقف عند هذا الحد لقضاء فترة راحة منعشة. ذهب اختياره بشكل شبه طبيعي إلى أعشاش ذات نباتات كثيفة. كان هذا هو حال آخر ليلة توقفنا فيها قبل البدء في مرحلة السير نحو الجنوب الغربي من منطقة خنشلة، التي كانت بمثابة الملجأ الذي تحتمي اليه الكتائب التي كانت تحت قيادة البطل عباس لغرور.

كانت تلك الليلة فرصة لسي علي لإعطاء نظرة عامة على هذه المنطقة الغابية الكثيفة الأشجار (الواقعة بخنشلة)، ذات التضاريس الوعرة، وتعتبر من أوائل معاقل جيـــش التحرير الوطني. لا يغامر الجيش الاســـتعماري في تلك المنطقة الا بتجمعات كثيرة الأفراد مدججة التســـليح، ومعززة بطائرات حربية. لقد تعلم المجاهدون، مع مرور الوقت، التمييز بين أنواع الطائرات من خلال الأصوات التي كانت تحدثها المحركات. لقـــد كانوا يعرفون جيدا كيف يتفرقون، وينتشرون في ساحة المعركة، ويتمركزون فوق التلال لانتظار العدو.

بالنسبة لسي علي، لم يكن استخدام القوة الجوية يقصد قصف معســـكرات جيش التحرير الوطني فحســـب، بل كان يهدف أيضًا إلى ترويع الســـكان لمنعهم من دعم الثوار. وكان يكرر ان طلعات المراقبة الجويـــة كانت متكررة في المنطقة وذلـــك لإعدادنا لهذه المرحلة الأخيرة من عبورنا.

كما كان قائد دوريتنا يردد إن المجاهدين يعرفون المنطقة جيداً وتضاريســـها وكل زاوية وركن منها. كانوا يعرفون كيف يتنقلون في هـــذا الفضاء ويتماهون مع الطبيعة. وهكـــذا كانت تقوم الطائرات بدورات عبثية في السماء. فأي شخص يعرف التضاريس ويتقن كيفية استخداما يكون بالضرورة له السبق في القتال.

انطلقنا في صباح اليوم التالي في المحطة الأخيرة لعبورنا وذلك في ظروف جيدة. كنا متحمســـين للوصول أخيـــرًا إلى الأوراس، وجهتنا النهائية، والانتهاء من رحلة شـــاقة بدأت من تونس. كنت سعيدًا لمعرفة أنني سألتقي بمقاتلين ذوي خبرة، كنت سأتعلم منهم الكثير عن الكفاح المسلح. كما كنت فرحا لفكرة انني سأتمكن من تقديم مساهمتي المتواضعة إلى جانب اخواني في الحرب التي كان يخوضها شعبنا من أجل الاستقلال.

أعربنا جميعنا علـــى رغبتنا في التضحية بـــفترة الراحة، لكن مسؤولنا ســـي علي رفض هذا الاقتراح. وبحسب شروحاته، كان من الضروري أولاً إخطار مضيفينا بوصولنا، وكذلك اختيار أوقات المشي بعناية لتجنب فترات الحرارة المرتفعة.

مجاهدين من الولاية الأول في إستراحة

# 8 - المرحلة الأخيرة قبل الأوراس

بـــدأت المرحلة الأخيرة من رحلتنـــا، في منطقة اشتهرت بمعاركها العديدة، والعنيفة، بنفس التصميم، والعزيمة وفي احترام تام للتوصيات. أخبرنا مرشـــدنا أننا كنا في منطقة عباس لغرور المشـــهورة بنشـــاطها العســـكري المكثف. وجدت نفسي أتفحص المكان لأحدد الأماكن أو المعالـــم التي يمكن أن تخبرنا عن وجود المجاهدين.

وقع بصري على منظر هذا المكان الذي يتناقض تمامًا مع المنظر القاحل الشبيه بسطح القمر في الجبل لبيض. كانت هذه المرحلة من رحلتنا احسن بكثير من المراحل التي ســـبقتها. غالبًا ما كنت أتيه في أفكاري اذ كنت سعيدا لكوني ســـأتمكن أخيرًا من الانضمام إلى وحدة قتالية. على الرغم من المسافة الطويلة والطرق الوعرة إلا أنني لم أشعر بالتعب. حرص دليلنا على إتباع التعليمات وعرّفنا أيضًا على المشي في ظروف الحرب.

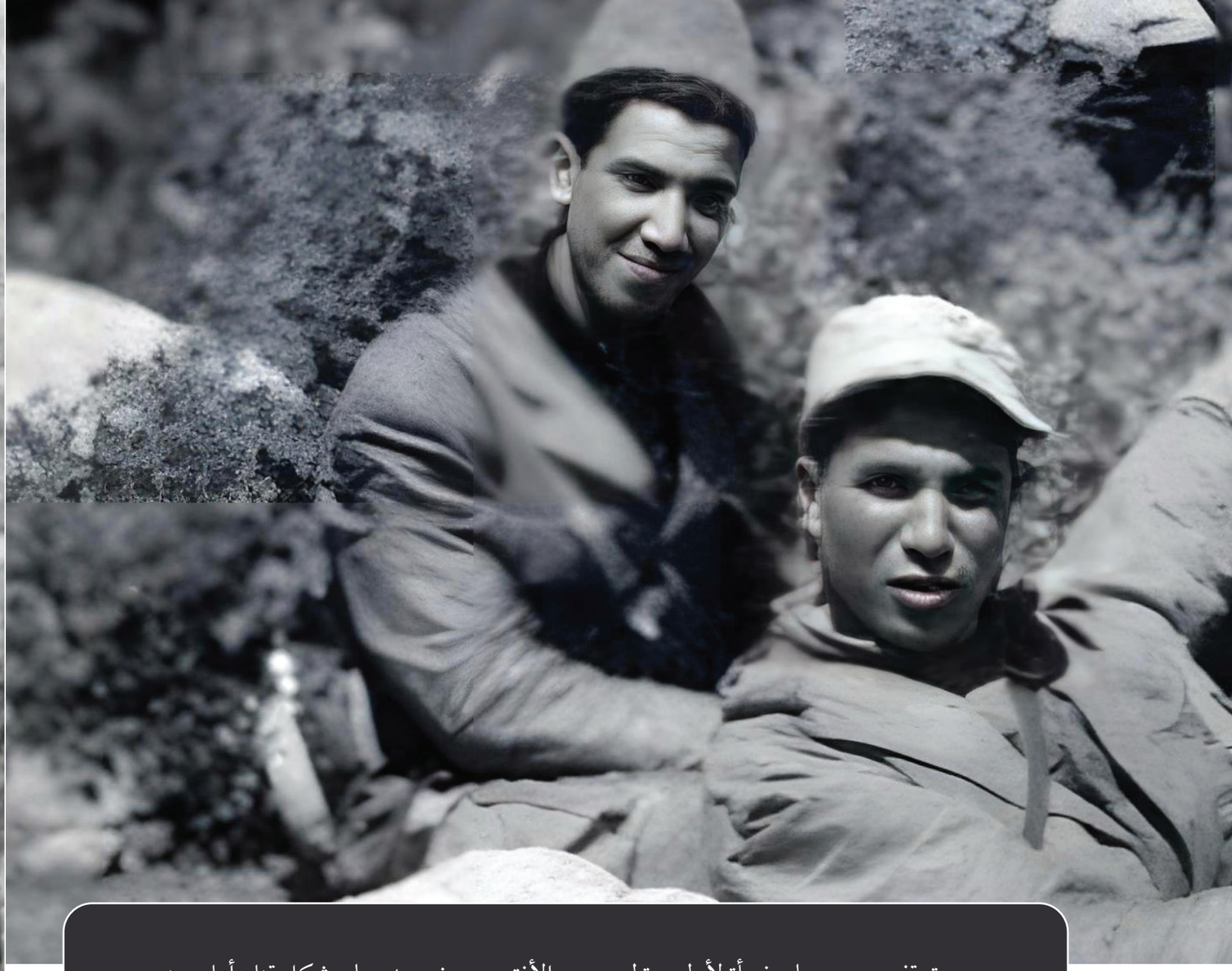

توقف ســـي علي فجأة لأول مرة لمســـح الأفق وهو يضع يده على شكل قناع أمام عينيه لحماية نفسه من أشعة الشمس الحارقة. في المرة الثانية، تأكد من أن ما رآه من قبل لم يبرح مكانه. كان الوحيد القادر على رؤية الأشكال من مسافات بعيدة. اتضح في النهاية ان ذلك الشكل كان خيمة. وعند اقترابنا منها، صادفنا رجل عجوز يرقد تحت سقف من القش. عند رؤيته لنا، نهض متكئًا على عصا أو ما كان يستعمله كعكاز.

طلب منه مســـؤولنا إبلاغنا بمكان وجود معسكر للمجاهدين في الجوار. أوضـــح له الرجل العجوز أن رجال عائلته غائبون وأنه لا يمتلك مثل هذه المعلومات. ثم دلنا بأقصر طريق للذهاب إلى منطقة مأهولة قريبة، حيث كان الســـكان على اتصال بالمقاتلين. لقد أظهر اهتمامًا شديدًا بمعرفة المزيد عن مغامراتنا منذ مغادرتنا تونس وأصر على بقائنا لفترة أطول. لكننا غادرنا دون تأخير كبير لربح الوقت.

# 9 - عطر الأوراس

سارعنا في ســـيرنا على طول الطريق الذي أشار إليه الرجل العجوز. أثارت النكهات الأولى للأوراس حاسة الشم لدينا والشعور بأن هدفنا يكاد أن يتحقق أخيرا. كانت جبال الأوراس تتراءى لنا عندما وصلنا بالقرب من قرية صغيرة مكونة من منـــازل ريفية. كان رجلان يراقباننا بفضول للتعرف علينا، ومعرفة هويتنا وفهم أســـباب مرورنا عبر دوارهم الضائع وسط هذه الجبال. لقد اســـتقبلنا بحفاوة كبيرة بعدما عرّف مرشدنا عن نفسه وأوضح أننا أتينا من جبل «ارقو» بناءً على أوامر القائد لزهر شريط.

لقد دعونا لقضاء الليـــل في ديارهم وبذلوا قصارى جهدهم لإطعامنا، قبل الانضمام إلينا للاستماع إلى قصص سي علي عن معارك جيش التحرير الوطني والمناوشات في جبل «ارقو» والجبل «لبيض». كان اهتمامهم بهذا النوع من القصص جليا. كانت ذكرى معركتـــي «أم لقماقم»، و«الجرف» لا تزال حية. كما كانوا فضوليين لمقابلـــة المجندين القادمين من تونس. وأخبرونا بمزيد من التفاصيل حول التحضير لهجمات نوفمبر في منطقتهم، لا سيما الهجوم الذي نظمه عباس لغرور في قلب مدينة خنشلة.

بعد أمسية ممتعة، ونوم هادئ والنهوض في الصباح بعد ان استكنا الى الراحة، شـــكرنا أهالي القرية على كرمهم. وعندها عين رئيس «الدشرة» مرشدًا يأخذنا إلى نقطة تواصل مع جنود جيش التحرير الوطني. على طول الطريق، استمعنا إلى مسؤولنا سي علي، الذي أنقذتنا خبرته في الأحراش، والأدغال من عدد من أفخاخ الجيش الاستعماري، على طول هذه المنطقة الشاسعة من النمامشة. كانت القوة العسكرية الفرنسية المنتشـــرة في منطقة العبور هذه باتجاه تونس هائلة. جعلت الشمس الناعمة التي ارتفعت عاليًا في السماء مسيرتنا في هذه المرحلة ممتعة للغاية، لدرجة أننا شعرنا وكأنها رحلة استجمام.

كانت هذه المرحلة قصيرة مقارنة بالمراحل الســـابقة، ومليئة بالمناظر الطبيعية.، وكانت للروابط القوية بين القاطنين بالجبال، وجيش التحرير وقعا في نفســـي، حيث عززت الفكرة الإيجابية التي تكونت لدي حول كفاحنا المســـلح. كنت منغمسا تماما في أحلام اليقظة، عندما ناداني مسؤولنا سي علي النموشي، ودعاني للنظر إلى الأمام. كانت المفاجأة مذهلـــة. على طول ضفاف الوادي الجاف، ازدهرت صفوف لا نهايـــة لها من نباتات الدفلى. كنا ننظر الى هذه اللوحة الطبيعية بكثير من الدهشـــة. كان منظر الشجيرات بألوانها الزاهية يتناقض تمامًا مع التضاريس

بثينة العابد (الأوراس )، بعد عودة العقيد عميروش إلى الولاية 3 -محند طاهر بوزغوب، الأول من اليسار.

الصخرية الجرداء المجاورة له. كان هذا المنظر المتناقض في ان واحد اول مرة تصادفه أعيننا، ويتمثل في وادي مغطى تماما بشجيرات الدفلى يخترق جغرافيا صخرية قريبة من المناظر القمرية الجرداء.

لم أستطع التركيز، خلال هذه المرحلة، على موضوع واحد. كان ذهني يعج بالأفكار المتباينة والمربكة. كنت تقريبًا في حالة ثانية، بعيدًا عن الواقع، بسبب ما كنت أتخيله حول سير كفاحنا وتمجيدي له. كان على سي علي، مرة أخرى، أن يهزني ليريني نقطة من نقاط تمركز جيش التحرير على مدى مسافة من موقعنا. عندما وصلنا، كان اثنان من المسؤولين واقفين ويبدو أنهما كانا منهمكان في حديث مطول. لقد دعوانا لأخذ قسط من الراحة، قبل عقد اجتماع والاستماع إلى تقرير قائد ا لدورية. بعد الإجراءات المعتادة، أخبرانا أنه من المنتظر ان يمر عباس لغرور بهذا المكان هذه الليلة.

# 10 - لقاء مع عباس لغرور

كنا متحمسين للقاء عباس لغرور، أحد أشهر قادة جيش التحرير الوطني في الأوراس-النمامشة. كان هذا القائد في مهمة تفتيش في المنطقة. وقفنا في تشكيل عسكري وسط المعسكر، عندما ظهر عباس لغرور، والابتسامة على وجهه. كان صاحب جاذبية بالرغم من ملامحه الجدية. استمع إلى التقرير الشفوي لسي علي الذي سلمه الوثائق المتعلقة بنا. شرع في استجوابنا واحدا تلو الآخر. قدمني له مسؤولي سي علي النموشي، ثم سألني لغرور عن وضع عائلتي، ودراستي، وأسباب التزامي، والدواعي التي دفعتني للانضمام إلى جيش التحرير الوطني في الداخل. أجبته عن جميع اسئلته، وقدمت أيضًا أسماء المقاتلين الذين كانوا وراء انخراطي في التنظيم، مثل جمال قنان وعبد الرحمن شريف وسعيد عبد الحي، الذي كان مسؤول جبهة التحرير الوطني في تونس.

بعد التعرف علينا وتفقد الصفوف، ألقى كلمة ترحيب ترقى إلى سمعته كخطيب جيد، عاد خلالها إلى أسباب اللجوء إلى العمل المسلح. بالنسبة له، يجب على جميع الناس الالتزام بها، لأنها تمثل الطريق الوحيد الكفيل بتمكينهم من تحرير أنفسهم من النظام الاستعماري المسلط عليهم. بعدها انسحب ليتركنا مع جنود من المخيم. بعد فترة قليلة صاح مسؤول بصوت عالٍ: «أين الطالب من جامع الزيتونة؟ ». دعاني لمرافقته لأجد نفسي أمام سي عباس، الذي سألني بصراحة إذا كنت أرغب في البقاء معه، وبالتالي البدء في تنظيم شؤون السكرتارية (الأمانة) لديه.

أعربت له عن امتناني لاختياره لي لهذه المهمة. ثم طلب مني أن أستعد دون تأخير للمغادرة معه إلى وجهة أخرى. وبذلك اكتشفت سمة أخرى في شخصية هذا المحارب الاستثنائي. لا يمكث أكثر من ليلة واحدة في مكان واحد. كان دائم الحركة، كما كان يثابر في بحثه الحثيث للصدام مع العدو.

أمر رئيس المركز أن يجد لي لباسًا وحذاءً. بعد مرور بعض الوقت، وجدت نفسي بجوار مسؤول كبير في جيش التحرير الوطني، وكنت فخوراً بزي المجاهد. كان ينبغي أن أبدى قدرات على التحمل للانضمام إلى مجموعته، التي غالبًا ما تكون في حالة تنقل دائم عبر

الولايـــة. بدأت أقدر صفات الرجـــل، اذ كان يمتلك شـــخصية قوية وصاحب إرادة فولاذية. لقد كان قاسيًا عند الحاجة، مثل صخرة الأوراس، ورائعًا وودودا في تعاملاته مع الســـكان. كان محاربًا بالفطرة، وقد أولى اهتمامًا خاصًـــا بالمجندين، الذين كانوا يبادلونه نفس الاهتمام، ويكنون له احتراما شديدا.

عباس لغرور

انطلقت مجموعتنا تحت قيادة لغرور للتوغل في أدغال غابـــة كثيفة. كان ذلك بمثابة الاعلان عن مســـيرة شـــاقة. عند وصوله إلى مكان اكتشفه للمرة الأولى، أمر بالإقامة هناك قبيل استئناف الطريق المؤدية إلى «واد جديدة» في اليوم التالي. كان من الواضح أن ســـي عباس كان معتادًا على هذه الأماكن وكان يعرفها بأدق تفاصيلها.

في «واد جديـــدة»، أوى ســـي عباس إلى ركن لتفحص وثائقه. كنت غارقا حينها في أفكاري، عندما طلب منـــي الذهاب إلى جواره. أعلمني أنه يتحدث الفرنسية وأنه بحاجة لي لكتابة تقاريره باللغة العربية. قال لي «ســـوف تقوم أولاً بإعداد أمـــر بمهمة باللغة العربية». كان هذا أول عمل كلفني به عباس لغرور، ويتعلق الأمر بإعداد أمر بمهمة يحمل اسم أحد مساعديه الذي كان سيذهب إلى منطقة تبسة للاستفسار عن الوضع هناك.

جاءت مجموعـــة من خمســـة مجاهدين، كان لباســـهم نظاميا، بقيادة المسؤول بابانا ساعي (واسمه الحقيقي علي بن أحمد) لمقابلة سي عباس. كان بابانا ساعي مساعد عباس لغرور المكلف بالمنطقة المتاخمة للحدود الجزائرية-التونسية. تم تنظيم اجتماع لمناقشة الوضع في منطقة النمامشـــة وموقـــف قادتها من عدم الاعتراف بقيادة الولاية، وبالتالي حول الأسباب التي دفعتهم إلى قطع الاتصال مع الأوراس.

بمجـــرد الانتهاء من كتابة الأمـــر بالمهمة، أقبل على قراءته لمرتين. كان معجبا بشـــكل خاص بخط الكتابة. كان عباس معتادًا على الخط الكوفي الشرقي، بينما كنت أكتب بالخط الرقعي وبأحرف متناســـقة. كانت هناك جملة لفتت انتباهه. فســـألني، ماذا تقصد بكلمات تواصل وزيارة؟ فقلت: «أعني أن حامل الأمر بالمهمة مدعو إلى الاتصال بالمسؤولين وزيارة الجنود والمرضى والجرحى والاستفســـار عن الحالة العامة لمعســـكرات جيش التحرير الوطني». من الواضح أن هذه الإجابة نالت رضاه.

خلال تنقلاتي معه، لاحظت أنه غالبًا ما كان ينعزل مع نفسه، وأنه كان قلقًا بشأن تطور الوضع في النمامشة. كما أراد تعويض الوقت الضائع في تنظيم الســـكرتارية والقيادة (الإدارة). كان يفكر بالتأكيد في ذلك الوقت أنه قد حصل للتو على عنصر جيد ليشكل أخيرًا سكرتاريته. المجموعة التي يقودها بابانا ساعي استقبلها سي عباس بعد صلاة العصر، لتســـتأنف الطريق نحو وجهتها أي منطقة النمامشة.

منذ هـــذه الزيارة المفاجئة لهـــذه المجموعة من منطقة النمامشة، وحتى يوم لقائه مع عجول، سوف

يتنقل عباس لغرور بين أرجاء منطقته للاستعلام عن حالة كتائب جيش التحرير واستكشـــاف إمكانية مقارعة قوات العدو. طـــوال الوقت الذي قضيته معه، لاحظت أنه كان مشغولاً بالعمل العسكري أكثر من أي شيء آخر.

-خلال تجمـــع بالنـــارة (الأوراس 1956) محند طاهر بوزغوب يخاطب جمع من سكان أحد الدواوير.

على عكس عجال عجول، لم يعط سي عباس أية أهمية تقريبًا لقضايا السلطة، ولمدة شهر، كان يسير من مكان إلى آخر للتواصل مع الكتائب التابعة له ويخاطب السكان من أجل إبقائهم مجندين خلف جيش التحرير الوطني. كان يقول لهم ان الثورة قد وصلت إلى مرحلة النضج وأن أي عودة الى الوراء أصبحت مســـتحيلة الآن. «مع الانخراط الواسع للطلاب وتلاميذ المدارس الثانوية، يمكنكم أن تطمئنوا لكونكم لم تبقوا وحدكم، لأن هذه نخبة متعلمة، وهي التي ستعزز نضالكم »، كان يكرر ذلك بلا كلل امام سكان الدواوير والمشاتي.

بمرور الوقت، أدركت أهمية هذا القائد وخصاله. كنـــت في جواره، وبجانبـــه وكان رجلا يلتزم بكلمته. كان دوما حريصا على ان يكون متســـقًا مع التزاماته. لقد كان متواضعـًا، لدرجة أنـــه أراد مني أن أقوم فقط بتدويـــن ملاحظاته وتوصياته وأوامـــره فقط لا غير، دون كتابة خطاباته.

من الواضح أنـــه كان يمقت الاعتبارات المتعلقة بالقيادة والســـلطة. أخبرني أحد الحراس المقربين من عباس ذات يوم أنه لم يره يستريح أو يختبئ في المآوي لتجنب العدو. كان دائمًا يبحث عن المناوشات وعن المواجهات مع جيش الاستعمار. قال لي أنه «في الآونة الأخيرة، كثـــف العمليات العســـكرية، وكأنه يعطى انطباعًا بأنه كان يفعل ذلك كأنه يودع رفاقه للذهاب إلى مكان آخر».

بعد أن غادر عباس لغـــرور إلى تونس، أصبحت ســـكرتيرًا لعاجـــل عجول وتمكنـــت أن ألاحظ من وضعيتي الجديـــدة الصعاب التي كان يعرفها التنظيم ، الذي جعل وضع الولاية بأكملها في حالة غير جيدة.

بالمقارنة مع ســـي عباس، الذي اضطر إلى القيام بكل شيء من الصفر لتنظيم إدارته، كان عجول متقدمًا بخطوات عديدة. لقد كان مقـــر القيادة الخاص به في «كيمل» يعمل وفق تنظيم قوي على جميع الجبهات، وذلك نتيجة عمل متواصل ومضني يمتد لفترة ما قبل اندلاع الثورة الجزائرية.

عباس لغرور، الذي أدرك تأخره في هذا المجال، أسر لي ذات مرة قائلا: «مهمتكم هي إيجاد أفضل إطار لوضع أسس متينة لإدارة قادرة على تحمل احتياجات كتائب جيش التحرير الوطني، وقبل كل شيء إحصاء عائلات الشهداء والمجاهدين لدعمهم».

خلال جولتنـــا مع لغرور، تم عقـــد لقاء كبير مع عجول للنقـــاش حول وضع الولايـــة وإيجاد طريقة للاتصال مع قيادة الثورة. أدرك لغرور وعجول أن عمر بن بولعيد وأتباعه لـــم يكونوا موافقين مع حضورهم مِؤتمر الصومام

خلال تجمع بالنارة (الأوراس 1956) محند طاهر بوزغوب يخاطب جمع من سكان أحد الدواوير.

محند طاهر بوزغوب، الثالث ابتداءا من اليسار، بجانبه سعيد
(مكلف بالاتصالات بين الولاي1، والولاية 3)، جنديان من العاصمة.

# الفصل 4

# أوراسيون بمنطقة القبائل

الرائد الحاج لخضر على يسار العقيد أعمر أوعمران بمنطقة القبائل

# 1 -لقاء بين لغرور وعجول

بعد استشهاد العقيد مصطفى بن بولعيد في 22 مارس 1956، عادت المسؤولية الفعلية للولاية إلى الثنائي لغرور وعجول. كان هذان الرجلان اللذان يعتبران من رعيل الفاتح من نوفمبر 1954. وقد فرض كل منهما شرعيته على الأرض كما صاغ في الميدان كل واحد منهما صورته.

على الرغم من الدعوات التي وردت للمشاركة في مؤتمر الصومام، لم يتمكن عجول ولغرور من الذهاب إلى هناك. كان من المستحيل عليهما الانتقال الى الولاية الثالثة. وفي سعيه الحثيث لتولي قيادة الولاية، وقف عمر بن بولعيد ضد أيّة محاولة لتنقل القادة الأوراسيين إلى المؤتمر.

بعد الموافقة على إرسال مبعوث إلى تونس، واجه المسؤولون مشاكل في اختيار هوية الشخص الذي سيتم تعيينه. كان خطاب عجول حاسمًا، على الرغم من أنه من الواضح أن القيادة الفعلية كانت في يد لغرور. لكن حجج مسؤول مقر القيادة الخاص في كيمل كانت قوية.

وتتمثل الحجج التي تقدم بها عجول أن لغرور كان يتمتع بالاحترام في تونس، وكان سيقدم بشكل صحيح الوضع السائد بالمنطقة (الولاية بعد مؤتمر الصومام) وأن لديه معرفة كاملة بمنطقة النمامشة، من خلال علاقاته المتميزة مع لزهر شريط، وأنصار صالح بن يوسف وسعيد عبد الحي (مسؤول جبهة التحرير الوطني في تونس).

ومكنني هذا الاجتماع، الذي حظرته بصفتي سكرتيرا، من المقارنة بين شخصية لغرور وعجول، كان هذا الأخير رجلاً ذا قناعات وطنية راسخة رغم أنه كان أكثر هدوءا من لغرور، أراد منتقدوه تصويره على أنه رجل عنيف متعطش للدماء، بينما لم ألاحظ مطلقا هذا الجانب فيه، رغم شدته مع رجاله.

عجال لعجول و عباس لغرور

كان منظمًا بارزًا، كما يتضح من حالة مركز قيادته في كيمل، التي تضم مستشفى يديره الدكتور محفوظ سماعيلي، ثم عثامنية وباديس، وأمانة يديرها عبد العزيز زرداني ومصطفى دوبابي وعلي النمر وحيحي المكي.

فيما يتعلق بشخصيته العنيفة المزعومة، أتذكر الحديث الذي دار بيني، وبين طاهر زبيري والذي يمكن أن يلقي الضوء على تصور الآخرين لعاجل عجول. ذات يوم في مقر القيادة الخاص، بحضور زبيري، وزرداني، ولرغبتي في تلطيف الجو، قمت برسم كاريكاتوري حيث تم تمثيل عجول على شكل «وحش». وسلمت الورقة إلى عجول. كان قيامي بهذا السلوك قد تسبب في فرض سكون تام على المكان شبيه بصمت القبور.

توقع الحاضرون رد فعل عنيف من القائد، لكن بدلاً من إلقاء محاضرة علي، وتأنيبي، ابتسم عجول ابتسامة من لا يبالي بالأمر، ليوجه لي سؤاله: «هل هذا كل ما تعلمته أثناء دراستك؟»، وكان ذلك كل ما علق به على فعلتي. توضح هذه الحكاية شخصيته بشكل جيد. لم يكن عجول عنيفًا كما زعم خصومه أوذلك الشخص المتوحش، كما حاول البعض تقديمه.

قبل رفع الجلسة، اقترح عجول تبادل أمناء السر اوالكتاب مع لغرور، بحجة أنه هونفسه يتقن اللغة العربية وأنه بحاجة إلى من يكتب بالفرنسية، بالإضافة إلى سكرتيره مصطفى دوبابي، الذي كان عارفا باللغة العربية، وكان قد درس من قبل في الزيتونة سابقًا، معللا اقتراحه بكون دوبابي يمكنه أن يساعد لغرور جيدًا عند وصوله إلى تونس.

من خلال هذا التبادل، ورثت مذياع «الترانزستور» من دوبابي. هذا الأخير، الذي التقيته بالفعل مرة أخرى في تونس، اذ كان معي ضمن الفريق الذي أرسل في عام 1957 للتدريب في مدارس الطيران في حلب في سوريا، وفي ووهان في الصين.

بالإضافة إلى دوبابي، كان محمد منتوري، وهوطبيب من الولاية الثانية يمر عبر أوراس-النمامشة، ضمن رحلة لغرور إلى تونس.

أراد لغرور الاتصال بالقيادة الوطنية الجديدة للثورة المنبثقة عن مؤتمرالصومام، وهوالتأكيد الذي حصلت عليه من مولود قايد، بعد سنوات من الاستقلال. فمولود قايد الذي كان عضوا في وفد جبهة التحرير بتونس كان معروفا بقربه من عبان رمضان.

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة جبهة التحرير الوطني في تونس كانت تتألف، بعد إعادة تنظيمها، من أحمد محساس وسي إبراهيم (مزهودي) عمار بن عودة ومولود قايد[1].

التقى قايد بالفعل مع لغرور في مقر الاتحاد العام التونسي للشغل (UGTT)، حيث كان لديه مكتبه. لم يكن وصول القائد العسكري للأوراس إلى تونس سهلا، فقد كان عليه أن يواجه العديد من العقبات على طول الطريق. ثم كلف قايد برسالة لتسليمها إلى عبان أوكريم بلقاسم أوإلى أي مسؤول آخر من القيادة الجديدة، هذا ما اسر لي به مولود قايد بعد الاستقلال.

(1) اقرأ حول هذا الموضع كتاب مبروك بلحسين المنشور باللغة الفرنسية : Mabrouk Belhocine, Le courrier Alger-Le Caire, 1954-1956. Le Congrès de la Soummam dans la Révolution. Casbah Editions, document 47, p 208.

في رســـالته، يكون عباس لغرور قد قام بتقديم عرض حال عـــن منطقته وطلب مقعـــدًا لأوراس النمامشـــة في لجنة التنسيق والتنفيذ (CCE)، كانت الفكرة هي تمثيل ولايته للتعامل بشـــكل أفضل مع مشـــاكلها. لكن مولود قايد لم يســـتطع إنجاز هذه المهمة لأنه كان مطلوبًا من قبل العدو. وبحســـب شـــهادته دائما، فقد وجه لغرور بعـــد ذلك للالتقاء بمحمد الميلي الذي يمكنه الســـفر دون متاعب إلى الجزائر العاصمة. الميلي بدوره، نقل الرســـالة إلى أخيه عبد الحميد ابراهيمي، على أمل تسليمها لأحد قادة الثورة.

وكان لغرور قد منح لنفســـه فـــترة انتظار لمدة ثلاثة أشـــهر قبل الحصول على إجابة لرسالته. لقد كان انتظارًا عبثًيا في تونس وكان دور محساس بدون فعالية. لم يتنقل، كمـــا كان متوقعا، أحمد بن بلة إلى تونس كما وعد. تم اعتقال محســـاس من قبل العقيد أعمر أوعمران. ثم رحل عن تونس، ليستقر في ألمانيا، حتى اســـتقلال البلاد، حيث عـــاد وزيرا للزراعة في حكومة أحمد بن بلة.

# 2 - محنـــة السجـــن

كلاهما كانا معزولين بالفعل بعد رحيل بن بولعيد.

كلاهما وصل إلى طريق مســـدود، بحيث أنهما وصلا إلـــى نقطة لم يتمكنا فيها مـــن الذهاب لمقابلة كريم بلقاســـم، في حالة حدوث مشاكل خطيرة، كما أوصاهما بن بولعيد في حياته. اشتد إحباطهما عندما لم يتمكنا من تلبية الدعوات التي وجهت لهما للمشاركة في مؤتمر الصومـــام. ومنعت مجموعة عمر بن بولعيد ومسعود بن عيســـى رحيلهما عن طريق إغلاق طريق الوصول إلى جبل بوطالب عمداً.

فقد لغرور وعجول الاتصال، لقد وصلت بالفعل مراسلات من لغرور إلى المنطقة الحدودية (تبســـة)، لكنها لم تصل أبدًا إلى المرسل إليه، أي عجال عجول. زاد هذا الوضع من شعور عجول بالعزلة. انتهى به الأمر إلى إرسالي إلى تونس للاتصال بلغرور ومعرفة ما الت اليه الأمور.

وعن مغادرتي، أعطاني عجول خريطة بإحداثيات مكان مناســـب كما أوضح لي لهبوط طائرة هليكوبتر. كان توفير السلاح مصـــدر إزعاج حقيقي للثورة حتى الاســـتقلال. كان عجول مســـؤول الأوراس الأكثر اهتمامًا بمسألة التسليح. وبصفته منظمًا دؤوبًا، استثمر معظم جهوده في «الإدارة». وتمكن من تنفيذ العديد من عمليات شراء الأسلحة حتى قبل اندلاع الثورة الجزائرية الوطنية. كانت لديه معرفة كاملة بشـــبكات الشـــراء لممارسته مهنة تجارة الأسلحة في جنوب الأوراس من قبل، وكان يتردد بانتظام على الأسواق السرية في خنقة ســـيدي ناجي وزريبة الوادي. بفضل عجول وكفاءته، كان بن بولعيد الأكثر تقدمًا من حيث التسلح بين رفاقه في مجموعة الـ22، بما في ذلك مجموعة الستة.

كان تفكيـــره عـــام 1956 المنصب علـــى كيفية جلب الأسلحة بواســـطة طائرة مروحية وذلك قبيل قيام العدوببناء حواجز مكهربـــة ملغمة على الحدود يشـــير إلى الاهتمام الذي أبداه مسؤولوجيش التحرير الوطني للطيران. وقد نوقش هـــذا الموضوع بالفعل خلال مؤتمر الصومام.

أعطـــاني عجول مليـــون فرنك فرنســـي قديم، وعرضت عليه تعيين عز الدين ملاح ليرافقني في الرحلة إلى تونس، لأنه كان من بين مجموعة الخمسة لسيدي حني، الذين عينهم مصطفى بن بولعيد في منطقة تبســـة (تم عزلهم لاحقًا من قبل النمامشة). على الرغم من أنه من عين البيضاء، إلا أن ملاح من مواليد تونس.

قسمت المبلغ إلى قسمين، أحدهما لملاح، الذي سلمت له النصف أي 500 ألف فرنك قديم، والنصف الآخر احتفظت به معي. تـــم توقيفي من طرف رجال مسعود بن عيسى.

ظللت مقيدًا لمدة شـــهر يراقبنـــي أحد الجنود باستمرار. كنت عمليا في حالة يرثى لها، غير قادر على الغسيل وغير قادر على فعل أي شيء. لقد تحملت الى حد معين هذا الموقف الصعب بفضل مقاتل شـــاوي

قديم يُدعى سي محمد المصري الذي كانت الصفة التـــي لقب بها ترقى فعليا إلى وضعه. فقد كانت لديه بالفعل معرفة تامة بمصر حيث مكث لفترة طويلة بعد عودته من فلسطين عام 1948. وقد كان يســـتأنس لرفقتـــي اذ كان يتبادل معي النقاش حـــول العديد من القضايا. كان ذومســـتوى تعليمي لابأس به، ويحب النقاشات حول نضالنا.

أثناء أحد لقاءاتنـــا، أراد أن يعرف ما إذا كنت أعـــرف عميروش. أدركت على الفور أن القائد المستقبلي للولاية الثالثـــة قد تجاوزت ســـمعته منطقته. فأجبت بالإيجاب. وحتى يومنا هذا، لا أستطيع أن أشرح لنفسي أسباب كذبي علـــى المدعوالمصـــري. لقد أضفت إلى الحكاية المختلقة تفاصيل أخرى، مـــن خلال التأكيد علـــى أنني كنت أنا وعميروش من نفس القرية.

أخبرني هـــذا المجاهد، الذي جاء خلاصي عن طريقه، أنه يجري في كوخ على بعد 200 متر منا، أحد الاجتماعات مع مســـؤولين مـــن الأوراس. بعد أن لاحظ تـــرددي في القيـــام بالمغادرة نحوذلـــك اللقاء، أخذ زمـــام المبادرة لإبعاد الحارس، وبالتالي ترك لي الطريق مفتوحا. ركضت بكل قوتي لأندفع فجأة إلى داخل هذا الكوخ المكون من غرفة واحدة بلا أبواب.

فاجأ ظهـــوري التجمع الذي كان منعقدا بحضور كل من يوسف يعلاوي، حسين بن معلم، مسعود بن عيسى، عبد الرحمن العمراني وعميروش الذي كان يجلس في وســـط الكوخ. ناداني صوت مستفهما «من أنت؟». كان صوت علي بن مشيش المعروف بسي علي مشيش. وبدون تردد، رحت أشير إلى بن عيسى

من اليمين إلى اليسار :
محمد طاهر عبيدي المدعوالحاج لخضر، اعمر أوعمران، محمد لعموري،ضابط من الولاية III، علي النمر بمنطقة القبائل نهاية 1956 وبداية 1957.

الجالس بجانب عميروش. وقلت له إسأل هذا! هويعرف هويتي جيدا. ثم لم أعد أتذكر بقية المشـــهد. صارت ذاكرتي مثل الثقب الأسود بسبب حالتي المؤسفة، أصبت بالإغماء، وفقًا لما أخبرني به حسين بن معلم في اليوم التالي.

لم أكن أعرف سكرتير عميروش هذا، رغم كوننا ننحدر من نفس المنطقة. هومـــن مواليد قلعة ناث عباس، على بعد أربعة كيلومترات من قريتي.

بتكليف من قبل لجنة التنســـيق والتنفيذ للقيام بمهمة في الأوراس، ربما أنقذ وجود عميـــروش حياتي، بعد أن فقدت الأمـــل عند وقوعي في الأســـر. لقد كنت اعتقـــد أن نهايتي كانت قريبة.

تمكنت من إخبار عميروش بمشاكلي، وبكل ما تعرضت له، وهوالذي طلب مني تســـليم رسالة إلى عجول الذي عزل نفسه في منطقة كيمل.

# 3 - عميروش في الأوراس

كلفت لجنة التنسيق والتنفيذ العقيد المستقبلي للولاية الثالثة التاريخية عميروش[1] بالسفر إلى جبال الأوراس لتنفيذ قرارات مؤتمر الصومام. كان حينها برتبة رائد. كما عينت العقداء يوسف زيغود وعلي ملاح وأعمر أوعمران لهذه المهمة. تأخر وصول ملاح وأوعمران من الولاية الرابعة. كان الأمر يتعلق بملاح، قائد الولاية السادسة المعين حديثًا، والذي كان من المفروض ان يذهب إلى جنوب أوراس، وهي منطقة يسيطر عليها سي الحواس (اسمه الحقيقي أحمد بن عبد الرزاق حمودة) الذي بدأ يبتعد عن تنظيم الحركة الوطنية الجزائرية بزعامة مصالي الحاج.

أما الرائد إبراهيم مزهودي[2]، العضوالسابق في جمعية العلماء الجزائريين، فاقترحه عبان للذهاب إلى الأوراس-النمامشة. ولكنه عوض ذلك اختار كملاذ أخير الذهاب إلى تونس؛ أما زيغود الذي كان يتمتع بمعرفة تامة بمنطقة الأوراس، فقد استشهد في 23 سبتمبر 1956 في الولاية الثانية، لدى عودته من سيدي مزغيش في طريقه للذهاب إلى الولاية الأولى. باختصار، كان عميروش هوالوحيد الذي استطاع الوصول فعلا إلى الأوراس.

غادر وادي الصومام (قطاع أقبو) في الفاتح من سبتمبر متجهًا جنوبًا ليصل في 3 سبتمبر 1956 إلى جبل بوطالب. لإنجاز مهمته، مكث في الأوراس لمدة 50 يومًا (من 3 سبتمبر إلى 23 أكتوبر 1956). في جبل بوطالب، وهومكان عبور بين الولايات الأولى والثانيةوالثالثة والسادسة، استقبله عمر بن بولعيد، الحاج لخضر، (إسمه الحقيقي محند طاهر عبيدي)، والطاهر نويشي، وأحمد نواورة، وأحمد عزوي، وعبد الحفيظ طورش، ومصطفى رحايلي، محمد بوعزة عرار وعلي بن مشيش في المعاضيد.

عقد الاجتماع الأول في الموقع ذاته، وأراد عميروش الاستفسار عن حالة الولاية،

وقبل كل شيء تم استجواب الموقعين على التوكيل المعطى لعمر بن بولعيد لتمثيل الولاية أمام لجنة التنسيق والتنفيذ.

بعد هذا اللقاء وحتى انفصال عمر بن بولعيد عن المجموعة قبل المحاولة الفاشلة للسفر إلى تونس برفقة عاجل عجول، لم ألاحظ

(1) الرائد عميروش ايت حمودة سيصبح فيما بعد قائدا للولاية الثالثة برتبة عقيد بعد خروج العقيد محمدي سعيد الى تونس. لقد تم تعويض هذا الأخير في البداية بالعقيد يازوران سيعيد المدعوبريروش الذي سيلتحق به بعد فترة وجيزة بتونس ليعوض بعميروش

(2) أنظر في الملحق رقم 1 ترخيص أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام لابراهيم مزهودي بالذهاب الى منطقة النمامشة في الولاية الأولى .

في منطقة القبائل، قبيل اجتماع موكا، من اليمين إلى اليسار:-عميروش، ضابطان من الولاية الثالثة، أوعمران، ومحمدي سعيد.

أي اهتمام من عميروش تجاه عمر بن بولعيد. فهم عميروش جيدا الوضعية التي كانت تعيشـــها الولاية، لذلك تعامل بحذر مع الصعوبات التي واجهته.

لقد تصرف بطريقة لا تُظهر أي تفضيل لشـــخص واحد من بين العديد من المسؤولين في الأوراس.

بمجرد إطلاق سراحي من الأسر، أمرني عميروش بتسليم رســـالتين، إحداهما إلى عجول والأخرى إلى محمد بوعزة. اضطررت للذهاب إلى عجول الذي كان معزولًا في معقله، في واد البرج بالقرب من الدرمون، في انتظار عودة لغرور ليرى بشكل أفضل ما يجب أن يفعله.

لقـــد وجدته داخل حاميته علـــى بغلته المعتادة. كان من الواضح أنه كان يكتفـــي بالتحرك في المنطقة الواقعة تحت سيطرته. عند رؤيتي، أعرب عن ذهوله، وقال بنبرة المندهش «هذا ليس صحيحا ! هل أنت حقا بوزغوب؟!». على الرغم من دهشـــته الظاهرة، كنت متأكدًا من أنه كان على دراية بما وقع لي، حيث كان من بين أكثر الناس خبرة في المنطقة،

بعد هذه المهمة، كلفني عميروش بمهام أخرى. ومنـــذ إطلاق ســـراحي، كنت على الـــدوام من بين المجموعة التي تتحرك معه. لقد لاحظت أنه لم يتخذ قرارًا ضد عجول، وكان مصرا على إشراك جميع قادة الأوراس الذين كانوا معه منذ اجتماع جبل بوطالب في الحلول للازمة التي كان يقترحها. لقد سعى منذ البداية إلى فهم ما يحدث قبل أن يتخذ أي قرار. وإدراكًا لحدود صلاحياته، لم يسع قط الى تحديد هوية القائد الجديد للولاية، وهي المهمة التي تقع أيضًا ضمن اختصاصات لجنة التنسيق والتنفيذ.

في كل مناسبة عندما يمر عميروش بمنطقة ما، كان مهتمًا بمعرفة المزيد حول تقارير تخص معاملة جيش التحرير الوطني، وعلاقتهم مع السكان.

على ســـبيل المثال، وجد أن المبالغ المخصصة للجنود وعائلات الشهداء ســـخيفة. لذلك أمر بزيادة أرصدة الجنود من 1200 إلى 2000 فرنك فرنســـي كما كان معمولا به في الولاية الثالثـــة، بينما وعدهم ببذل قصارى جهده للحصول على مســـاعدة مالية أكبر من لجنة التنســـيق والتنفيذ. وهوالوعد الذي سيفي به اثر عودته الى الولاية الثالثة.

كما أظهر عميروش اهتمامًـــا بالمنطقة الجنوبية من الأوراس والتي كان من المفترض أن تدمج ضمن الولاية السادســـة، حســـب قرارات مؤتمر الصومام. أرســـلني مع علي بن مشـــيش كمبعوثين إلى ســـي الحواس. لكن المهمة لم تتـــم لأن المعني الأول بها سافر إلى منطقة القبائل،

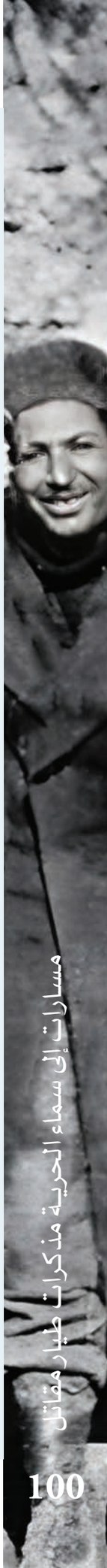

العقيد عميروش

# 5 - الأوراسيون في منطقة القبائل

## 1956

بالقبائل نهاية سنة: 1956 – العقيد أعمر أوعمران في الوسط. على يساره حيحي المكي، وعلى يمينه وابراهيم كابويا.

من خلال دعوة قادة الأوراس إلى الولاية الثالثة، أراد عميروش أن يظهر لهم على أرض الواقع تطبيق المخطط التنظيمي لـ جيش التحرير الوطني الذي تم تحديده في مؤتمر الصومام، وأن يستكمل معهم تقرير المهمة الذي سيتم تقديمه إلى لجنة التنسيق والتنفيذ(1). لقد سبقنا العقيد سي الحواس ومحمد لعموري (عقيد الولاية الأولى فيما بعد) وآخرون في منطقة القبائل. وعبر الحاج لخضر عن إعجابه بالمظهر المعماري في المنطقة وتنظيم القرى خاصة تخطيط البيوت على شكل سلالم. كان كثير الاهتمام بالأطفال، فقد كان يحمل دائمًا حلويات في جيوبه يقدمها لهم أثناء مرورنا عبر القرى.

بالقرب من قرية تاسلنت في أقبو، اضطررنا إلى الانحراف نحوقرية آيت أحسن، بسبب التمشيط الذي كان الجيش الفرنسي قد خطط له. لذلك كان من الحكمة الابتعاد عن محيط شبكة العدو. في الليل في آيت أحسن وجدنا أنفسنا، أنا وعميروش وحارسه المقرب مهدي في غرفة متواضعة. أعطانا عميروش السرير الوحيد واكتفى بالنوم على حصيرة مهترئة على الأرض. كانت قرية أوزلاغن المحطة الأخيرة بالنسبة لي في هذه الجولة، والتي كنا سنصلها في اليوم الموالي.

لقد منحني عميروش الإذن بزيارة عائلتي التي لم أرها منذ مغادرتي إلى تونس، كان يرافقني اثنان من الحراس الأشداء، الذين جاءا مع مجموعة الأوراس، كانا يرتديان زيًا عسكريًا جديدًا ومسلحين ببنادق Garand شبه الآلية. كما أعطاني عميروش حقيبة مغلقة، علمت لاحقًا أنها تحتوي على نسخ من وثيقة مؤتمر الصومام ومبلغًا كبيرًا من المال مخصصًا للمسؤولين عن الأوراس.

(1) أنظر الملحق رقم 2 .

للوصول إلى قرية إلماين التي غادرتها منذ ما يقرب من عامين، مررت عبر تاشوافت، بوحمزة، تنساوت، تيزي عيدل وسيدي إيدير. وجدت عائلتي متأثرة بالحرب، أخبروني بمجرد انتهاء مفاجأة اللقاء، بوفاة اثنين من أعمامي، الذين استشهدا.

بعد يومين، فقدت عمي الثالث، محند أرزقي، الذي كان مسؤولًا عن الشؤون اللوجستية للمنظمة الثورية في المنطقة. لقد قُتل في نفس اليوم الذي كنت أتأهب فيه لمغادرة القرية والالتحاق بمجموعة القادة الأوراسيين في منطقة موكا، بالقرب من جعافرة.

لقد قضت عليه رشقة من طلقات الأسلحة الآلية أثناء خروجه للاستفسار عن وميض أضواء مصدره موكب شاحنات كان متجها نحوقريتنا. لا شك أن فوج الجيش الاستعماري المتمركز في منطقة آث حافظ القريبة من إلماين، قد تنبه إلى وجودنا في القرية بوشاية من أحد المخبرين. كان عمي هوالشخص الوحيد الذي قُتل في ذلك اليوم؛ سكان القرية كانوا يتعرضون للترهيب ويضربون بوحشية. من الواضح أن أنشطة عمي كانت معروفة للعدوالذي انتهز فرصة مرورنا عبر المنطقة ليقرر تصفيته.

تركت عائلتي على عجل، وتوجهت مع اثنين من حراسي الشخصيين للانضمام إلى جعافرة حيث أخذني المرشد إلى موكا، مكان الاجتماع، الذي خطط له عميروش مع الأوراسيين، قبل أن أتمكن من الذهاب بعد ذلك إلى تونس.

كانت غابة موكا مثالية لهذا اللقاء. والجدير بالذكر أنه تم بمشاركة الشيخين الطاهر آيت علجات وبوشامة وسي الحواس والحضور الكبير للعقيد أعمر أوعمران

الذي كان في طريقـــه إلى تونس بهدف مواصلة عملية هيكلة الولاية الأولـــى التي بدأها عميروش. كان ذلك هوالمكان الذي أنهى فيه عميروش كتابة تقريره الموجه للجنة التنسيق والتنفيذ.

ذكرت الشـــهادات رحلة المسؤولين الأوراسيين إلى واســـيف في قلب كتلة جبال جرجرة الصخرية، لمقابلة العقيد أوعمران، تحسبا للاجتماع الكبير الذي يجب أن يترأسه في تونس بحضور مسؤولي النمامشة. من المفترض أن هذا اللقاء جرى خلال الفترة التي كنت فيها في إلماين.

قبل التحاقه بمنطقة موكا، توقف عميروش بالفعل في جعافرة ليقوم بتغيير مسؤول الناحية الذي أخل بواجباته، وقبل عودتنا إلى الولاية الأولى، أبقى عميروش الطاهر نويشـــي ومحمد لعموري إلى جانبه. تم اســـتدعاء هذين المســـؤولين لمرافقته إلى تونس، مروراً بالشمال الشرقي لتجنب منطقة النمامشة، التي لم يعد مسؤولوها يتعاونون مع النظام.

للوصول إلى تونس، ســـلك عميروش ونويشي ولعموري نفس الطريق التي ســـلكها العقيد أوعمران وكمال شـــيخي وناصر وبن خوشة من الولاية الرابعة، وقد عبروا بتراب الولاية الثانية.

القول بأنه كان بمقدور العقيد عميروش أن يتجاوز الصعوبات التي تلقاهـــا في الولاية الأولى، يعتبر قول مبالغ فيه. كان على لجنة التنســـيق والتنفيذ المشاركة في إيجاد حل، من خلال تعيين شـــخص مسؤول ودفع قادة منطقة النمامشة لتغيير موقفهم ووضع حد للعمل الفئوي الذي كانـــوا يقومون به على الحدود الجزائرية التونســـية. باختصار، كان من الضروري جعل الولاية الأولى تلتزم بقرارات مؤتمر الصومام.

عندما وصل عميروش مع بعض القادة الأوراسيين إلى تونس، كان عباس لغرور ولزهر شريط وسعيد عبد الحي، بالإضافة إلى رفاقهم، قد ســـجنوا بالفعل من طرف بورقيبة. وكان ذلك بعد عملية إطلاق النار خلال اجتماع في فيلا تقع في منطقة «ماتيلد فيل»، والتي تدخل إثرها التونسيون.

كانـــت مهمة الحـــاج لخضر، المعيـــن من قبل عميروش، تنفيـــذ القرارات التي تـــم اتخاذها خلال اجتماع موكا في منطقة القبائل. تم تثبيت سي الحواس قائدا للولاية السادســـة ومحمود الشريف على رأس الولاية الأولى لوضع حد لاستياء النمامشة.

لم يخـــف عميروش نيته في إعـــادتي إلى الولاية الأولى واتخذ قـــراره في موكا. عدت إلى هناك بالفعل مع مجموعة الأرواســـيين، كمساعد لعلي بن مشيش، في المنطقة التي أنشـــأها عميـــروش جنوب الأوراس (منطقة مشـــونش). لقد قمت بالفعل بتسليم الحقيبة التي تحتوي على 70 مليون فرنك إلى علي بن مشيش وأحمد نواورة. كما تم تسليم مبلغ آخر بقيمة 30 مليون من طرف عميروش إلى مســـؤولين لا أعرف هويتهم. كانت إقامتي في مشـــونش قصيرة الأمـــد لأننا تلقينا، أنا وعلي بن مشـــيش، اســـتدعاءً من طرف عميروش للالتحاق به بتونس يوم 13 أفريل 1957، والذي ســـلمنا اياه الحـــاج لخضر. هذا الأخير كان شـــغوفا وهاويا للتصوير الفوتوغرافي، فأعطاني 7000 فرنك لأشتري له الة تصوير، لكنني لم أســـتطع إرسالها إليه، لكوني قد وجهت الى الخارج لمتابعة تكوين في الطيران.

لم ننجح في الوصول إلى تونس عبر منطقة النمامشة بالرغم من محاولاتنا المتكررة، فقد استمر المسؤولون عن هذه المنطقة الحدودية في تبني موقفهم تجاه التنظيم الثوري في الأوراس. اثر ذلك، قررنا تجاوز هذه المنطقة

من اليمين إلى اليسار:
أحمد نواورة، العقيد أعمر أوعمران، علي بن مشيش، خلال إجتماع قادات الولاية الأولى بمنطقة القبائل.

والمرور بقســـنطينة ثم ســـوق أهراس ثم غار الدماء بتونس. لدى وصولنا الى غار الدماء، تم توجيهنا إلى مواطن جزائري قدم لنا واجب الضيافة وأعطانا ملابس مدنية قبل مواصلة رحلتنا.

وصلنا إلى تونس مع نهاية اجتماع الولاية الأولى، ثم حجزنا غرفًا في فندق العياشي. شعرنا على الفور أن سلطة العقيد أوعمران بدأت تفرض نفسها.

علي بن مشـــيش هوالذي جعلني أفهم أن الأمور عادت إلـــى طبيعتها مع تعيين محمود الشريف على رأس قيادة جديدة للولاية، يساعده عبد الله بلهوشات ومحمد لعموري. وقد حل هذا الأخير محل العقيد محمود الشريف عندما تم استدعاؤه لتولي إدارة التسليح.

علمت لاحقًا أنه تم الابقاء على بن مشيش في تونس ليصبح، بفضل عميروش، قائدا لجهاز الشرطة التابع للجنة التنسيق والتنفيذ. بالنسبة لي، كنت على وشك العودة إلى الأوراس، لكن الصدفة قررت خلاف ذلك مرة أخرى؛ فقد وجدت نفسي من بين المجموعات الأولى التي تم إرسالها للتدريب في تخصص الطيران الحربي.

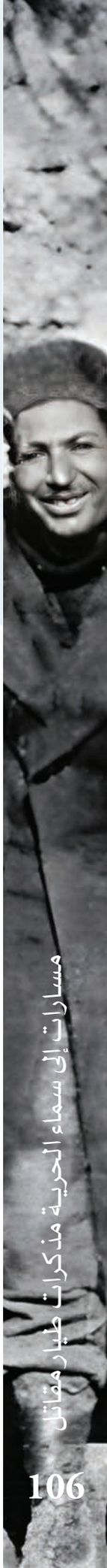

من اليمين إلى اليسار: الحاج لخضر برفقة أعمر أوعمران، وأحمد نواورة الذي يظهر الأول في الصورة.

# الفصل 5

# الحلم في السماء

# 1 - إقامة قصيرة في القاهرة

اجتمع مسؤولون من الأوراس والقبائل ومندوبو لجنة التنسيق والتنفيذ، الذين تم استضافتهم في فندق العياشي وفي فيلتين بتونس، لمواجهة الصعوبات ومواصلة العملية التي أطلقها عميروش داخليًا. هذا الأخير، الذي كان، من بين مهام أخرى، مسؤولا عن التحضير لإرسال طلاب من ولايته للتدريب في الخارج، على وشك العودة إلى الجزائر عندما طلبت منه لجنة التنسيق و التنفيذ التنقل إلى المغرب للمشاركة في تسوية المسألة المزعجة المتمثلة في تسليم الأسلحة إلى الثوار في الجبال. وكان من المقرر أن يرافقه سكرتيره حسين بن معلم. لكن انتهى به الأمر لترك الموضوع، ليقرر العودة مباشرة الى الولاية الثالثة. فقام بشطب جوازي السفر المزورين اللذين سلما لهما وتركهما لدى مولود قايد. لكن بن معلم استفاد من وثيقة سفر سيستخدمها خلال رحلته إلى القاهرة ثم سوريا. أما أنا، فقد كنت أشكّ في إمكانية أن أكون ضمن هذا الوفد؛ لأنني لم أكن امتلك أي وثيقة هوية.

ومن فندق العياشي، تم نقلي إلى فيلا الولاية الأولى الواقعة في حي سان هنري (ضاحية تونس العاصمة). في بداية شهر ماي 1957، كنت بصحبة علي بن مشيش وكنا على وشك النزول إلى المدينة، إلى فندق العياشي لقضاء بعض الوقت. على طول الطريق، سألت رفيقي عن خططه بعد اجتماع الولاية الأولى. قاطعني وطلب مني أن أذهب إلى فندق العياشي وأنتظره هناك، لأنه سيزور عميروش ويودعه.

ولدى وصوله إلى فيلا الولاية الثالثة حيث كان عميروش، وجد علي بن مشيش أن حسين بن معلم كان يعد أمتعته لرحلة إلى مصر من أجل الدراسة. ثم عرضني بن مشيش بشكل عفوي على عميروش لأكون جزءا من المجموعة التي سيتم تشكيلها. بعد حصوله على موافقته، عاد مسرعا إلى فندق العياشي الواقع في باب سويقة، ودون أن يمنحني

طرابلس (ليبيا): محند طاهر بوزغوب (جالس) برفقة طالبين جزائريين، قبيل الانطلاق إلى القاهرة (سنة 1957).

وقتا للتفكير أو لحزم حقائبي، حتى لا أضيع هـــذه الفرصة التي لا تعوض، طلب مني الذهاب للانضمام إلى حسين بن معلم. لقد عبرنا الحدود دون وقوع أي حادث. ولدى دخولنا الى الأراضي الليبية، اكتشفت كل التقدير والاحترام اللذيـــن كانت تتمتع بهمـــا ثورتنا بين إخواننـــا الليبييـــن. وفي مكتب جبهة التحرير الوطني في طرابلس، الذي كان يديره محمد الهـــادي، التقيت بطالبين كانا ينتظران أيضًا الذهاب إلى القاهرة. مكثت لمدة أســـبوع مع عائلة جزائرية من وادي ســـوف لديها علاقة قرابة مع المؤرخ الشـــهير أبو القاسم سعد الله. ثم أخرجت جواز ســـفري وتوجهت إلى القاهرة مع جولاح، الســـائق الذي كان يقود المســـؤولين في التنظيم بين العاصمتين (طرابلس والقاهرة).

وفي القاهرة، استقبلني القائد رباح نوار، الـــذي كان علـــى رأس مكتب التدريب، وكان تحت ســـلطة العقيد أوعمران. كانت عملية التكوين لا تزال في مرحلة النضج. قد وجد القائد نوار، الذي لم يبخل بالوسائل من أجل إنشاء هيكل حقيقي للإشـــراف على التكوين لجبهة التحرير الوطني، يد المســـاعدة لدى ســـكرتيره محمـــد معارفية. وقد اعتنـــى الرائد نـــوار كثيـــرا بالطلاب المتوجهين نحو المســـار العســـكري أو للدراســـة في جامعات الشرق. كان رجلا مفعما بالنشاط ومخلصا جدا في علاقاته. كما أدى مهمته بجدية وتفاني، ونكـــران للذات. لقد نجح في إنشـــاء مكتب لاختيار الطلبة وتوجيههم حسب التخصصات المتوفرة حينها.

وبعـــد خروج كريم بلقاســـم من وزارة الحـــرب، ورث عبـــد الحفيظ بوصـــوف، رئيـــس دائـــرة الاتصال والاتصالات العامة، مديرية التســـليح التي كان يرأسها محمود الشريف. قام بربط المديريتين، وأرسل الحاج عزوط إلـــى القاهرة لمســـاعدة الرائد نوار في مهامه. هذا الأخير، الذي كان مسؤولا عن مكتـــب التدريب، قام بإيوائنا، وكنا حوالي خمس عشـــرة طالبا، في فندق «الاكســـترادي»، في انتظار إيجاد البلد المضيف. مع مرور الوقت، بدا انتظارنا سيطول أكثر وسيكون بلا جدوى. وكان لا بد من الاعتماد علـــى اصرار الرائد نوار الذي تمكن من إلحاقنا بســـوريا. وكان يرأس هذه الدولة الشقيقة في ذلك الوقت شكري القواتلي (1955-1958)

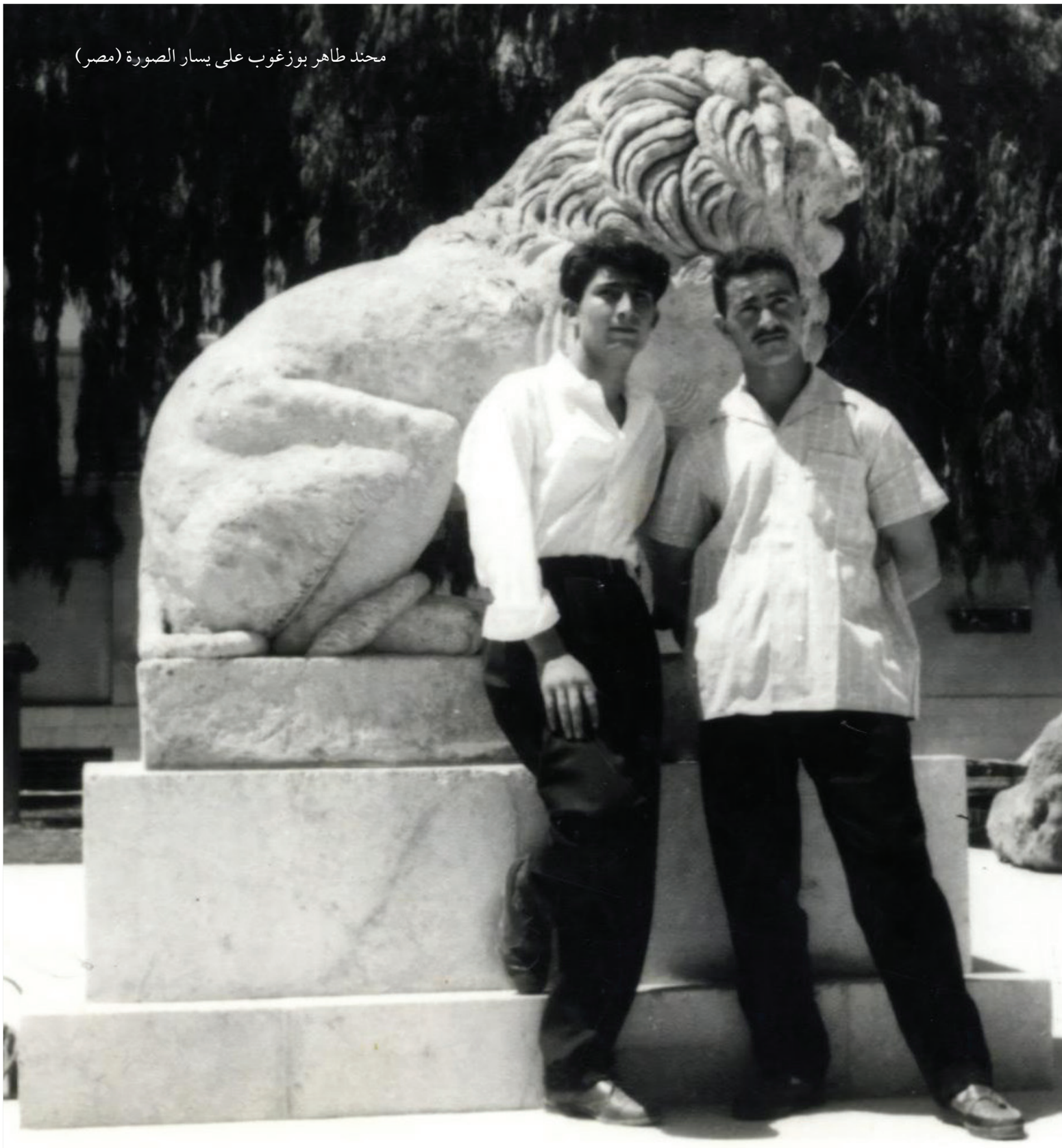

محند طاهر بوزغوب على يسار الصورة (مصر)

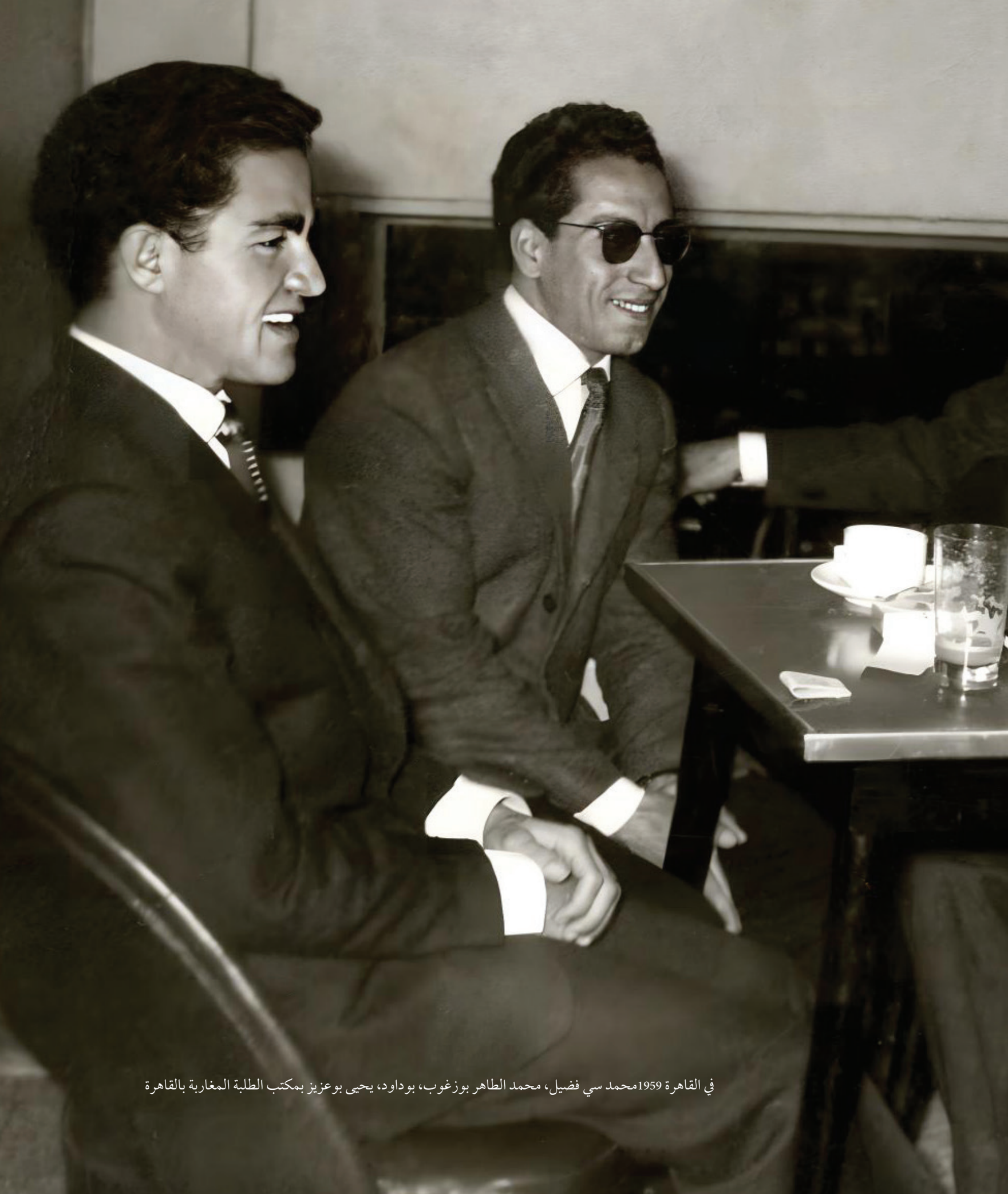

في القاهرة 1959محمد سي فضيل، محمد الطاهر بوزغوب، بوداود، يحيى بوعزيز بمكتب الطلبة المغاربة بالقاهرة

الجمهورية الجزائرية
وزارة الخارجية
REPUBLIQUE
ALGERIENNE
MINISTÈRE DES AFFAIRES
EXTERIEURES
رخصة مرور
LAISSEZ-PASSER

REPUBLIQUE ALGERIENNE
MINISTERE DES AFFAIRES
EXTERIEURES
LAISSEZ-PASSER
الجمهورية الجزائرية
وزارة الخارجية
رخصة مرور
رقم No.
الإسم Nom
طاهر Tahar
اللقب Prénoms
بوزغوب Bouzeghoub
اسم الزوجة
Nom de l'épouse
عدد الأبناء
Nombre des Enfants
الجنسية Nationalité
جزائرية Algérienne
Ce Laissez-Passer contient
32 pages non compris la
Couverture
تحتوى هذه الرخصة على اثنان
وثلاثون صفحة دون الغلاف

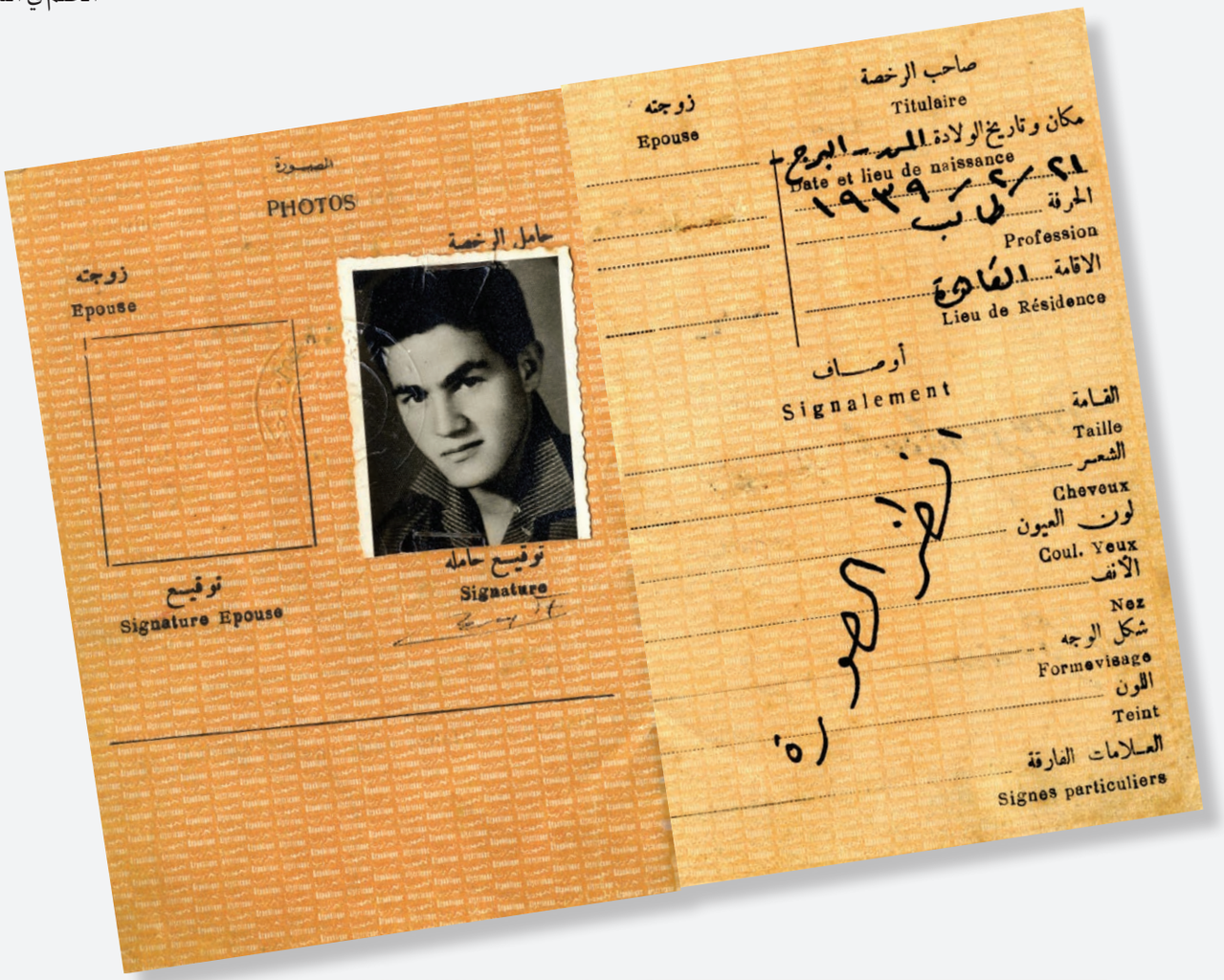

رخصة مرور بإسم محند طاهر بوزغوب أصدرتها الحكومة المؤقتة.

حلب (سوريا) سنة 1957، من اليسار إلى اليمين:

- واقفون: العربي سي لحسن، صحراوي زوغلامي، محند طاهر بوزغوب، حسين بن معلم، لوناس بوداود، كمال شيخي، دوبابي مصطفى.
- جالسون: يحي رحال، عبد الرزاق بوحارة، محمد علاق، إسماعيل أويحي.

# 2 - أول دفعة طيارين في سوريا

تم استقبالنا في سوريا استقبالا حسنا من قبل السلطات السورية، وتم إيواؤنا، الرائد نوار ومجموعة الطلبة، في فندق اليرموك في حي المرجة بدمشق. واستجابة لاحتياجاتنا وطلباتنا، قام مضيفونا بإخضاع الطلاب للفحوصات الطبية في مستشفى دمشق، وبعد ذلك تم إرسال جميع الطلبة الضباط إلى حلب للتدريب الأساسي في المدرسة العسكرية لتكوين ضباط الاحتياط قبل أن يتم توجيههم، بحسب قدراتهم، إلى المدارس والأكاديميات المتخصصة الأخرى.

بالنسبة للتدريب على الطيران، كان الضباط السوريون يطالبون بمستوى تعليم مرتفع وقدرات بدنية لا بأس بها.

وصلت متأخراً الى حلب، ووجدت زملائي الخمسة أي لوناس بوداود ويحيى رحال و مصطفى دوبابي و رابح شلاح واسماعيل أويحي في الفئة الأولى من الدفعة الثالثة والعشرين، بينما وجدت نفسي في الفئة الثانية المكونة حصرياً من الطلاب السوريين. لقد عاملتنا سلطات هذا البلد الشقيق بنفس المعاملة التي تعامل بها أبنائها. نور الدين الأتاسي، رئيس الجمهورية السورية المستقبلي (1966-1970)، أدى خدمته الوطنية معنا في حلب. يتضمن التدريب مجموعة أساسية مشتركة مدتها ستة أشهر، يتم في نهايتها توجيه الطلاب، كل حسب قدراته واستعداداته. وهكذا تم توجيه حسين بن معلم، عبد الرزاق بوحارة، عبد الحميد الإبراهيمي، العربي سي لحسن، كمال الورتسي إلى الأكاديمية العسكرية بحمص. وتم توجيه المجموعة الثانية إلى مدرسة قرب دمشق، لتلقي تدريب قصير، قبل الالتحاق بالحدود الجزائرية التونسية. وهم عبد العزيز قارة، محمد علاق، كمال عبد الرحيم و نور الدين صحراوي. أما عبد الوهاب بنيني وبشير بومهدي فقد تم إرسالهما إلى إحدى جامعات ألمانيا الشرقية. أما المجموعة الثالثة، المكونة من يحيى رحال، الوناس بوداود، إسماعيل أويحيى، مصطفى دوبابي، كمال شيخي، عز الدين ملاح وأنا، فقد بقينا في حلب على مستوى أكاديمية الطيران[1].

وفي الواقع، قبل أن يتم إدراجي على قائمة المرشحين لمدرسة الطيران في حلب، استقبلني مسؤول جبهة التحرير الوطني في دمشق، عبد الحميد مهري، في مكتبه. لقد أصر على توجيهي نحو الدراسة الجامعية وأراد أن يجعلني أعيد النظر في قراري. حجته هي أنني كنت صغيراً وأنني سأكون مفيداً للبلد إذا ذهبت إلى الجامعة.

أصريت على اختياري وأعربت له عن رغبتي الشديدة في اجراء تدريب عسكري مختص ثم العودة لمواصلة الكفاح التحريري ضد الجيش الاستعماري حتى الحصول على الاستقلال. غادرت مكتبه بخيبة أمل، وكنت في حيرة من أمري، و لا أعرف ماذا أفعل. لم أفهم نية مهري ورغبته في فرض الدراسة الجامعية عليّ. كان رفاقي يستعدون للذهاب إلى حلب في شمال سوريا، وكنت في حيرة من أمري وأبحث عن الحل.

(1) أنظر الملحق رقم 3.

لكن الحظ سيبتسم لي مرة أخرى. فبعد نزهة طويلة في العاصمة السورية، أردنا الجلوس أنا وإبراهيم بسطانجي (الذي كان ينتظر رداً من إحدى الجامعات في الكويت للحصول على منحة دراسية) في مقهى للراحة وارتشاف فنجان قهوة. على عتبة مقهى مغاربي، أشار بسطانجي إلى شخص كان يجلس على نفس الطاولة مع عبد المالك بن حبيلس (المدعو سقراط) وهو يحتسي القهوة ليسألني اذا كنت أعرفه. أجبته بانني لا أعرفه فأسر لي أنه عبان رمضان الذي كان في زيارة الى سوريا.

كنت مقتنعا بأنه من المنطقي أنه سيقوم بزيارة لمهري في مكتبه. لذا أسرعت إلى مكتب جبهة التحرير الوطني. ودون أن أنتظر طويلا، رأيت عبان يجتاز عتبة المكتب. تكلمت معه بسرعة للتعبير عن قلقي. لكنه دعاني هو الاخر إلى التفكير مرة أخرى في مزايا الالتحاق بالجامعة. ولما أدرك إصراري، التفت إلى مهري قائلا له: «خليه اروح» أو دعه يلتحق بزملائه بحلب. يبدو أنني ولدت تحت نجم محظوظ، فقد تمكنت من الانضمام إلى مجموعة الجزائريين المقبولين في مدرسة تدريب ضباط الاحتياط في حلب، قبل أن يتم توجيهي إلى المدرسة المختصة في الطيران.

كانت الدروس تعطى باللغتين الفرنسية والعربية. كما سمحوا بالإجابة على الامتحانات باللغة الفرنسية لمن يريد ذلك. ولدهشة المشرفين الكبيرة، حصل يحيى رحال على المركز الأول في فئته، وهو الطالب السابق في المدرسة العادية ببوزريعة، وأنا في المركز الثاني في الفئة الثانية المكونة حصرا من طلاب-ضباط سوريين. كما أبدى الوناس بوداود الرضا، مثل الآخرين، لأنه جاء أيضًا من جامعة ليون حيث كان يدرس في كلية الطب. وقد التقى بوداود بأفراد من عائلته، كانوا يعيشون في دمشق منذ فترة بعيدة جدًا.

استمر التدريب لمدة عامين. تضمنت السنة الأولى التدريب العسكري الأساسي ودورات نظرية، في حين تم تخصيص السنة الثانية لمواصلة الدورات النظرية و التدريب الأساسي للقوات الجوية في مطار صغير. وبمجرد الانتهاء من التدريب، كان من الضروري بعد ذلك ايجاد أكاديمية متخصصة لمواصلة الدورة التدريبية وتعلم قيادة الطائرات. عادة ما كان يذهب السوريون، الذين لم يحصلوا بعد على طائرات التدريب، إلى الاتحاد السوفييتي.

حصلنا على جوازات سفر سورية، لكننا لم نتمكن من الذهاب إلى الاتحاد السوفياتي. بالإضافة إلى ذلك، قررت مصر، التي شكلت الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا[1]، إغلاق مدارس المشاة (حمص)، ومدارس الطيران في سوريا (حلب)، وحتى مدرسة حماة. عرض علينا المصريون حينها الاقامة في القاهرة للتدريب على الطيران. خضعنا مرة أخرى لامتحان القبول في أكاديمية الطيران الحربي بالقاهرة. ولا أدري أي معجزة جعلت الممتحنين يؤكدون قبولي. فقد فشل رفاقي الخمسة الآخرون في المجموعة. لقد فهمنا بعد ذلك أننا غير مرغوب فينا في هذه الأكاديمية. لم يكن لدى يحيى رحال أي فرصة لاجتياز الاختبار التجريبي في القاهرة، حيث تم تقديم التدريب باللغة الإنجليزية. كما رفض شلاح الخضوع للامتحان الذي طلبه المصريون.

تم إبلاغ قرار الرفض الأول إلى مسؤول جبهة التحرير الوطني عن التدريب في مصر عندما وصلنا اول مرة إلى القاهرة عام 1957. وأراد المصريون ثنيه عن اقتراح مرشحين لأكاديمية الطيران من خلال تقديم حجج التكلفة الباهظة للتدريب، ووجود مدربين ناطقين باللغة الانجليزية مما يشكل مشكلة لغوية للطلبة الضباط الجزائريين.

بقينا في الثكنة ننتظر الحل.

(1) الجمهورية العربية المتحدة ظهرت هذه التسمية مع اعلان اتحاد مصر مع سوريا (1958-1961) والذي انضمت اليه اليمن لفترة وجيزة.

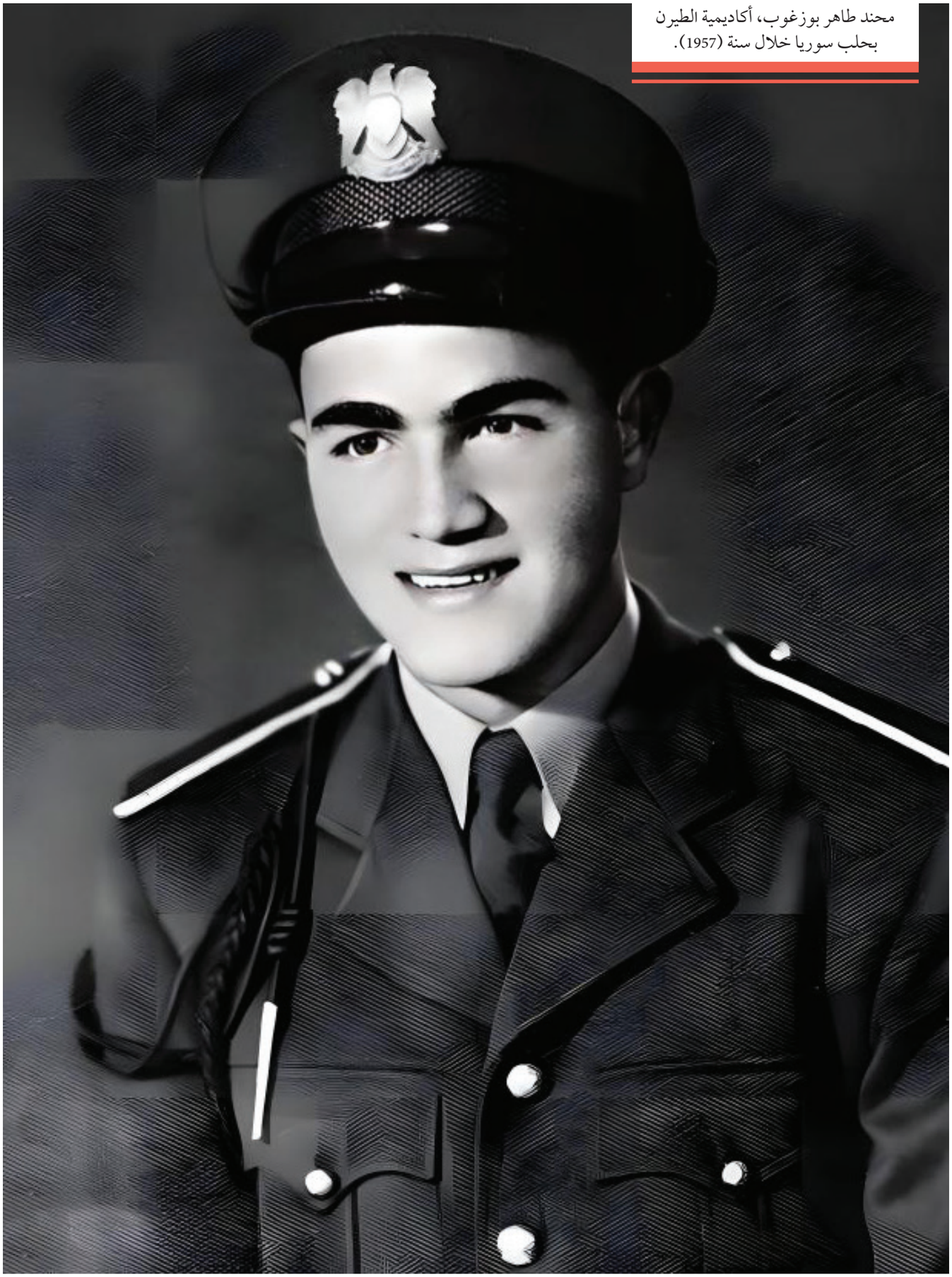

محند طاهر بوزغوب، أكاديمية الطيران بحلب سوريا خلال سنة (1957).

واضطررنا إلـــى تنظيم احتجاج لدفع مســـؤولي الأكاديمية إلى النظـــر في تلبية مطالبنا التي كانوا يتجاهلونها. وكلّفنا يحيى رحال بإبلاغ الرائد نوار بما قمنا به. ورغبة منه في ربح الوقت، اذ لم تكن بحوزته أجوبة جاهزة لمطالبا، دعا رحـــال وأعطاه مبلغا من المال، للبقاء في الإســـكندرية للراحة، وفي نفس الوقـــت، لزيـــارة الجزائريين المقبوليـــن في مركـــز تكويـــن الضفادع البشرية (سبَّاحي القتال).

وأخيراً جاء الحل من كريم بلقاســـم. وبنصيحـــة مـــن الرائد نـــوار، تمكن من إيجاد أماكن لنـــا في الصين. عندما وصلنا قرار مغادرة مصر، اكتشـــفنا أن سعيد آيت مســـعودان ســـيكون ضمن الرحلة. فهو طيار متمرس، هـــرب من صفوف الجيش الفرنســـي للإنضمام إلى جيـــش التحرير الوطني في تونس. اتصل به لأول مرة منصور بوداود، المسؤول عن التسليح والخدامات اللوجســـتية في وزارة التسليح والعلاقات العامة (مالغ) في المغرب، وكانت محاولته الأولى للهروب من القاعدة العســـكرية بالرباط سلا، حيث كان يتدرب، فاشـــلة. وبعدها تم نقله إلى فرنسا.

نجـــح في محاولته الثانيـــة والتحق بصفوف الثورة مـــروراً بألمانيا. لعب آيت مســـعودان دورًا كبيرًا في تشـــكيل سلاح الجو الجزائـــري. وكان هناك أيضًا ضمن هذه البعثة بلقاسم موســـوني. وقد درس هذا الأخير بالمدرســـة الفرنسية لتكوين تقنيي الملاحة التي تقـــع «بكاب ماتيفو»

بالقرب من الجزائر العاصمة. وسيتم تعيينه قائدا للقوات الجوية الجزائرية خلفا لعبد الحميد لطرش.

في اليوم السابق للمغادرة إلى الصين، دعانا الرائد نوار إلى منزله لتناول كسكس الوداع.

أكاديمية حلب، أمام طائرة تدريب، السنة الثانية من التكوين (سنة 1958).
من اليسار إلى اليمين: الوناس بوداود، محند طاهر بوزغوب، مصطفى دوبابي، يحي رحال.

أول دفعة طيارين في سوريا

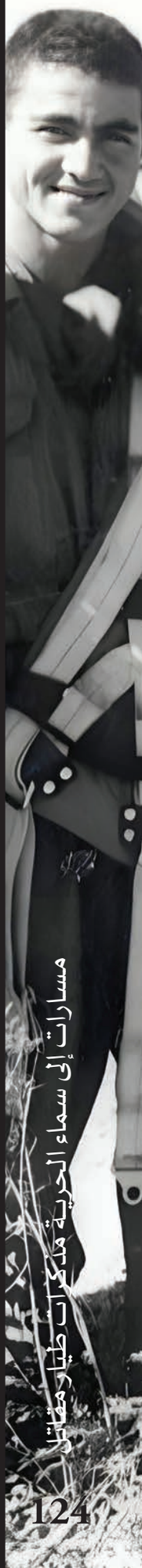

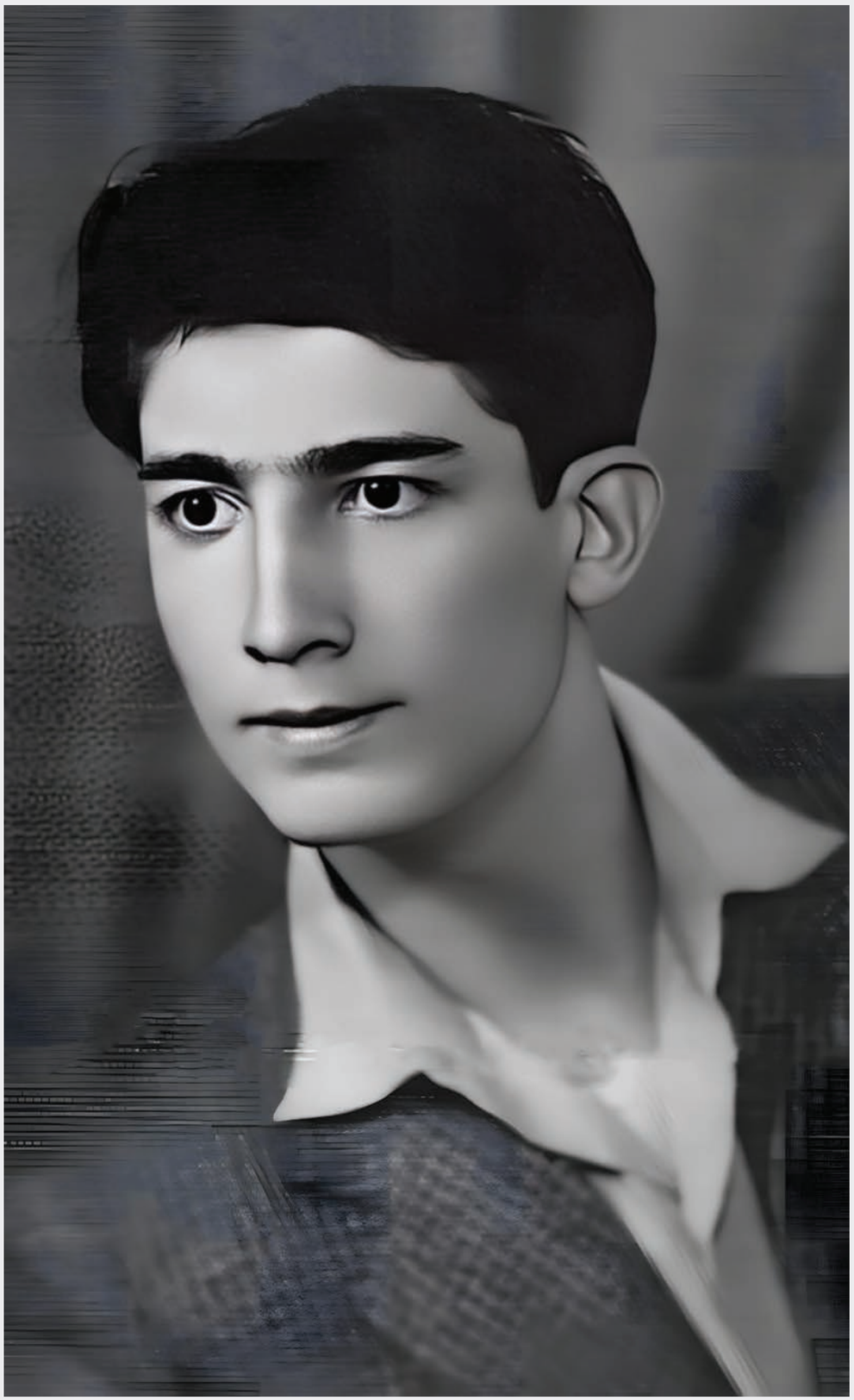

بسطنجي إبراهيم، طالب جزائري التقاه محند طاهر بوزغوب بسوريا.

أكاديمية حلب (سوريا)، من اليسار إلى اليمين: واقفون: مصطفى دوبابي، عبد اللطيف قنيفي، لوناس بوداود، جالسون: محند طاهر بوزغوب، عبد الرحمن سري، يحي رحال.

سوريا

من اليسار إلى اليمين: الوناس شيخي، العربي سي لحسن، الوناس بوداود، محند طاهر بوزغوب

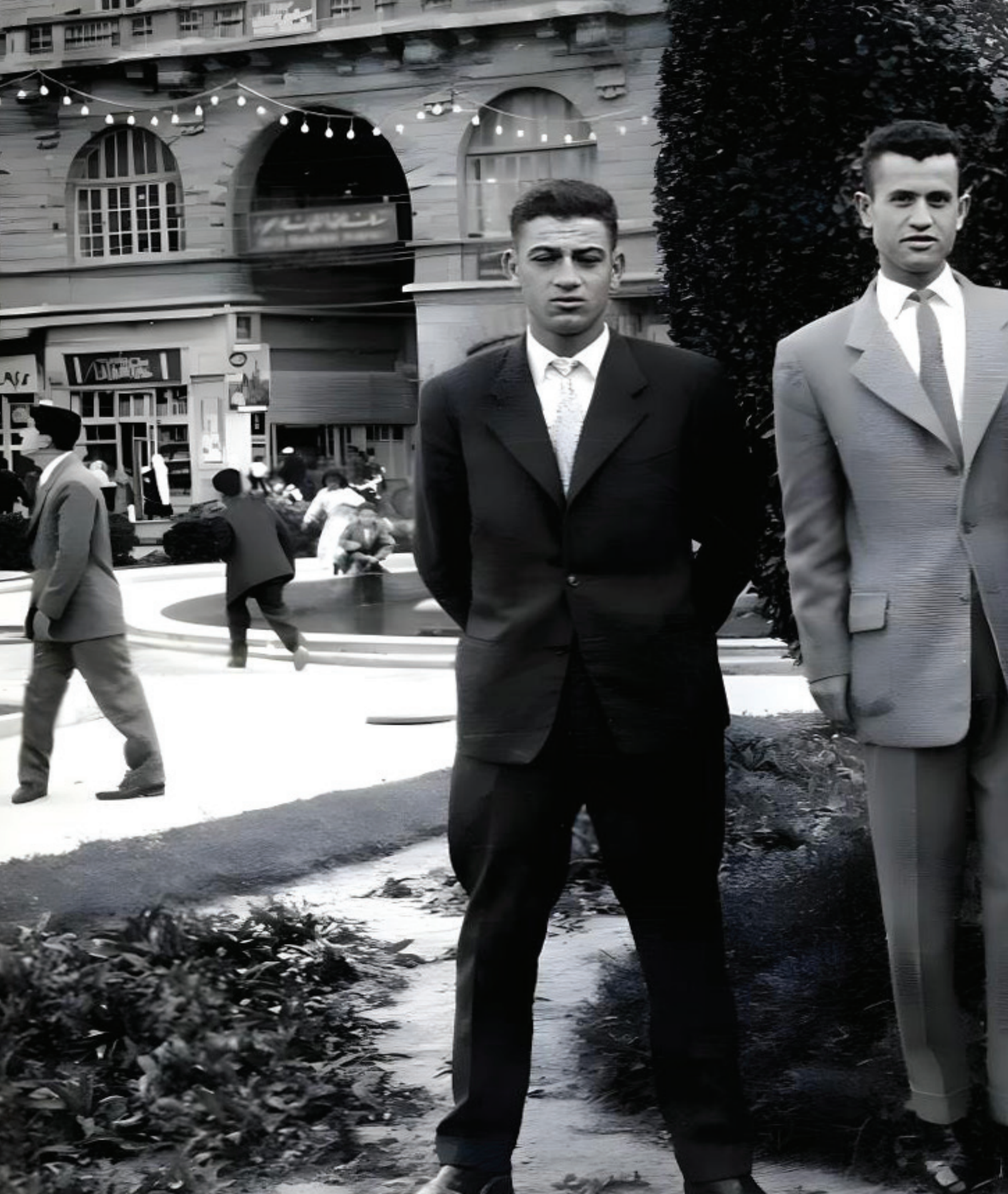

دمشق (سوريا) العقيد أعمر أوعمران على اليسار برفقة الشيخ الغاسيري.

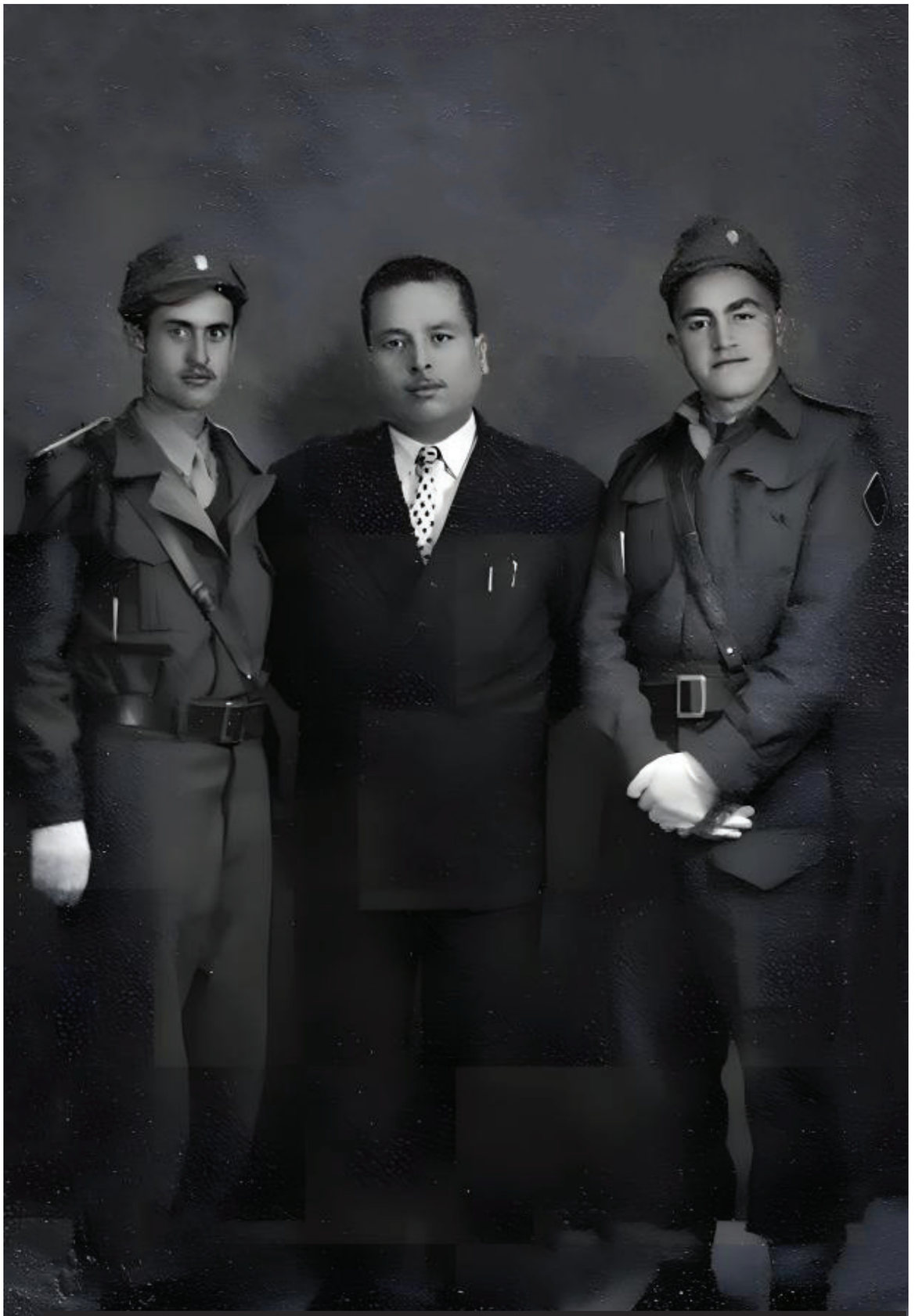

حلب (سوريا 1959): العربي سي لحسن على اليسار، ومحند طاهر بوزغوب على اليمين ويتوسطهما العقيد أوعمران.

عبد المجيد حمودة، طالب ضابط بكلية الطيران بحلب (سوريا)، وهو صديق لمحند طاهر بوزغوب

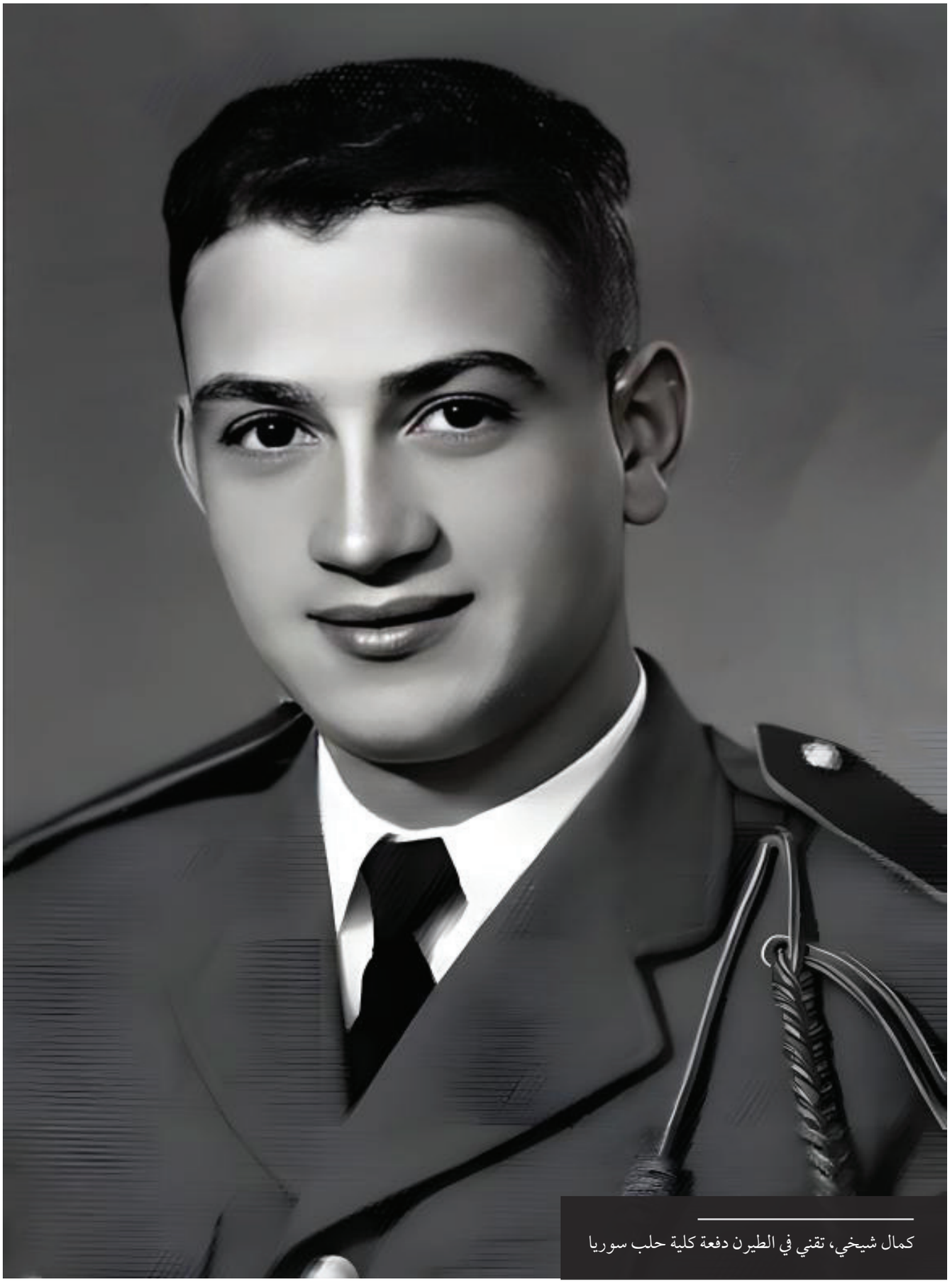

كمال شيخي، تقني في الطيرن دفعة كلية حلب سوريا

من اليمين إلى اليسار: محند الطاهر بوزغوب – سي العربي لحسن – ملاح عز الدين – Tronc commun حلب سوريا 1957

من اليسار إلى اليمين: لوناس بوداود – محند الطاهر بوزغوب – اسماعيل أويحيى – طيار سوري

محند طاهر بوزغوب وعلى يساره سليم العربي

الوناس بوداود وسط سوريين من أصول جزائرية، كلاهما من عائلة بوداود هاجر أجدادهم من منطقة القبائل إلى الشام.

في الوسط، اليسار محند طاهر بوزغوب و على يمينه لوناس بوداود برفقة صديقين لهما من سوريا (سوريا)

سوريا

# 3 - أكاديمية الطيران الصينية

للوصول إلـــى بكين، توقفنـــا في محطتين، براغ وموسكو. وفي تشيكوسلوفاكيا السابقة، هبطت الطائرة بعد محاولة أولى فاشلة وعدة لفات أثناء انتظار الإذن بالهبوط، بسبب ســـوء الأحوال الجوية. ثم اضطررنا لقضاء الليل هناك. ومن خلال رحلة للإشراف على أول دفعة كانت الصين تستقبلها، اكتشفنا سمة أخرى لدى الرائد نوار. فقـــد كان متفتحا وينحو دائما للابتعاد عن الغلو في المواقف. ففي المطعم لتناول العشاء، اقترح النادل أن يقدم لنا الجعة (البيرة)، بدلا عن الماء الذي كان مفقودا، الامر الذي لم يعر له أي اهتمام، تاركا لنا حرية الاختيار. وعلـــى الرغم من ذلك، لم يجرؤ أحد بقبول اقتراح النادل.

وفي اليوم التالي، كانت وجهتنا الى موسكو. كان في اســـتقبالنا في عاصمة الاتحاد السوفياتي مسؤولون جزائريون. لا أتذكر ســـوى اســـم جعفر إينال. وبعد عودة الرائـــد نوار إلـــى القاهرة، تولى ســـعيد آيت مسعودان المســـؤولية. لقد ترك لنا حرية اختيار وسيلة النقل للذهاب إلى بكين. اخترنا القطار وذلك بغرض اكتشـــاف هذا البلد الشاسع والرائع. استغرقت الرحلة تســـعة أيام. قمنا بتغيير القطار مـــرة واحدة فقط على الحدود الصينية-الروسية.

كان القطار الذي يســـير بالفحم البخاري يتوقف في كل المحطات للســـماح للمسافرين بالنزول للراحة والسير لتسريح حركتهم و/ أو تناول الطعام. مررنا بعدة مدن مهمة في روســـيا، بما في ذلك قازان و أومسك. في محطة إيركوتسك، المدينة الملقبة بـ «باريس سيبيريا»، الواقعة في نهاية بحيرة بايـــكال، نزلنا هناك لنأخذ بضع خطوات علـــى الرصيف. وحـــدث أن عبد الرحمن

سـعيدي، وهو عضو في المجموعة، كان طالب-طيار متخصص في مجال الملاحة، قد نسـي نفسـه هناك، اسـتأنف القطار سيره بدونه. لدهشـتنا وجدناه على رصيف محطة «تشيتا» التالية، اذ قام الروس بنقله على متن طائرة تابعة لنـادي هاوي للطيران للحاق بالقطار بمدينة «تشيتا».

وصلنا أخيرا إلى بكين في ديسمبر 1959. وانقسمت المجموعة إلى قسمين. تم توجيه طلاب ضباط الطيران

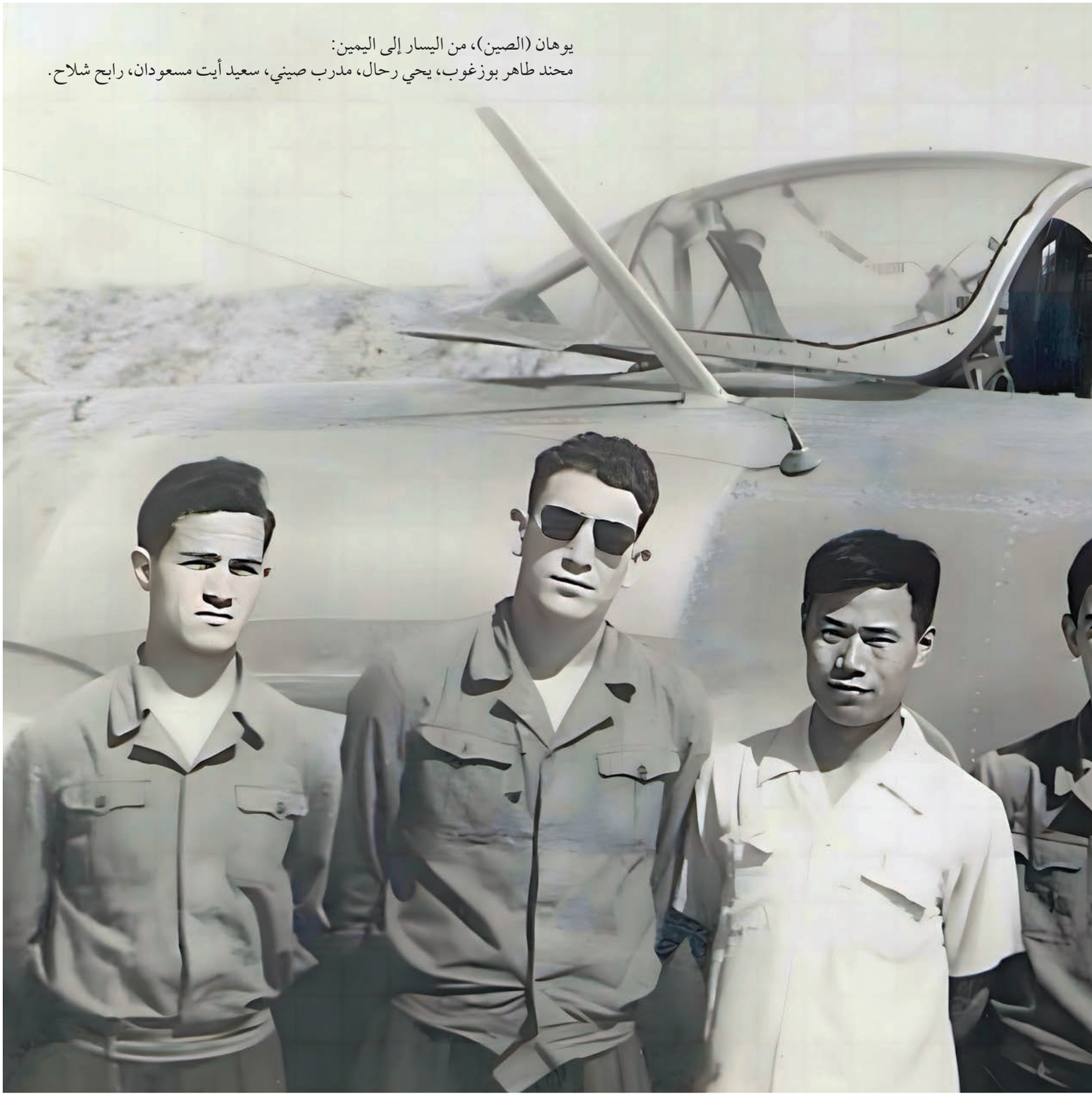

يوهان (الصين)، من اليسار إلى اليمين:
محند طاهر بوزغوب، يحي رحال، مدرب صيني، سعيد أيت مسعودان، رابح شلاح.

زيارة كريم بلقاسم إلى يوهان (الصين)، كريم بلقاسم في الوسط يراقب تمرين في الطيران بواسطة منظار.
عبد الحفيظ بوصوف، الثاني ابتداءا من اليسار.

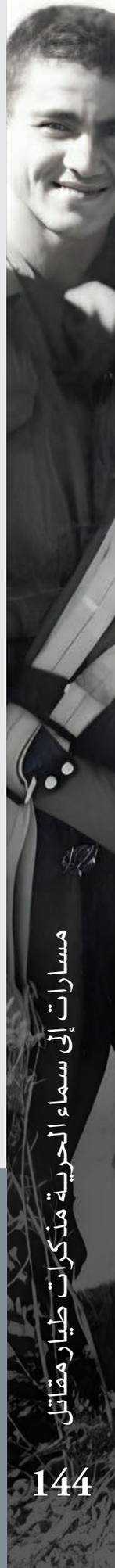

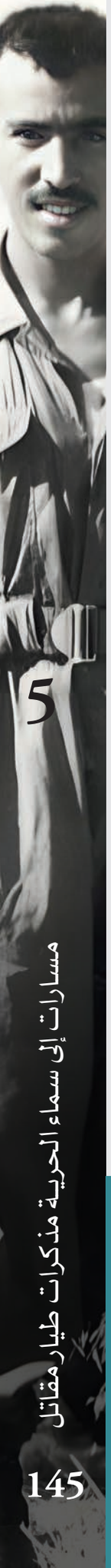







يتم تدريب الفنيين الذين ينضمون إلى مجموعتنا أولاً في مركز متخصص لمواصلة تدريبهم الأساسي. في ووهان، يشـــرف على كل طالب جزائري طيار صيني أثبت نفسه من خلال مشاركته في الحرب الكورية. ولم يبخل المشرفون بوســـائل نقل خبراتهم ومعرفتهم إلينا. كانـــت الصين حريصة علـــى تزويدنا بتدريب جيـــد وإعدادنا لظروف مماثلة تقريبًا لحرب حقيقية.

من فترة الإقامة تلك بالصين، أتذكر زيارة كريم بلقاسم الذي أراد الاستفسار عن جـــودة التدريب وعن مســـتوى الرعاية. وكان يقـــوم بجولة في المنطقة برفقة وفد مهم من الحكومة الجزائرية المؤقتة. وقد رحبت الصين في عهد ماو تســـي تونغ، وهي من أوائل الدول التي اعترفت بالحكومـــة الجزائرية، ترحيبا حارا بكريم بلقاســـم وعبـــد الحفيظ بوصوف والوفد بأكمله. ولدى وصوله إلى ووهان، اســـتقبل كريـــم والوفد الجزائري بطلعة «ترحيبية» بطائرة كان يقودها آيت مسعودان وزميله الصيني.

ولم يتردد بوصوف طويلا في اتخاذ قرار بشأن مغادرتنا الصين، على الرغم من المساعي الفاشلة للصينيين لإبقائنا لفترة أطـــول من أجل الاســـتفادة من تكوين أفضل.

وبعد عام، غادرنـــا الصين في عام 1960. وكان هـــذا التدريب مفيدًا حقًا، وعالي الجودة، ومتينًا. لقد حضينا بنفس المعاملة التـــي كان يتلقاها الطلاب-الضباط الصينيون. سارت إقامتنا بشكل جيد. بدأنا في هذه الكلية في التدرب على الطيران على متن مقاتلات سوفياتية من طراز ميغ 17.

زيارة كريم بلقاسم إلى يوهان.

زيارة كريم بلقاسم إلى يوهان.

كريم بلقاسم بيوهان

كريم بلقاسم عبد الحفيظ بوصوف زيارة وفد الحكومة المؤقتة إلى الصين

محند طاهر بوزغوب mig 15 (الصين)

زيارة كريم بلقاسم إلى يوهان.

مدرسة يوهان الصين 1959 محند طاهر بوزغوب، واقف هو الثاني ابتداعا من اليسار.سعيد ايت مسعودان، جالس وهو الأول في الصورة ابتداء من اليسار.يحي رحال، واقف وهو الاول ابتداء من اليمين شلاح رابح، جالس وهو الثالث في الصورة ابتداءا من اليسار

في الصين، محند طاهر بوزغوب، الثالث في الصف الأول ابتداءا من اليمين

في الصين، محند طاهر بوزغوب، جالس الأول من اليمين و محمد سعيد ايت مسعودان جالس الرابع من اليمين

محند طاهر بوزغوب، الأول من اليمين (الصين)

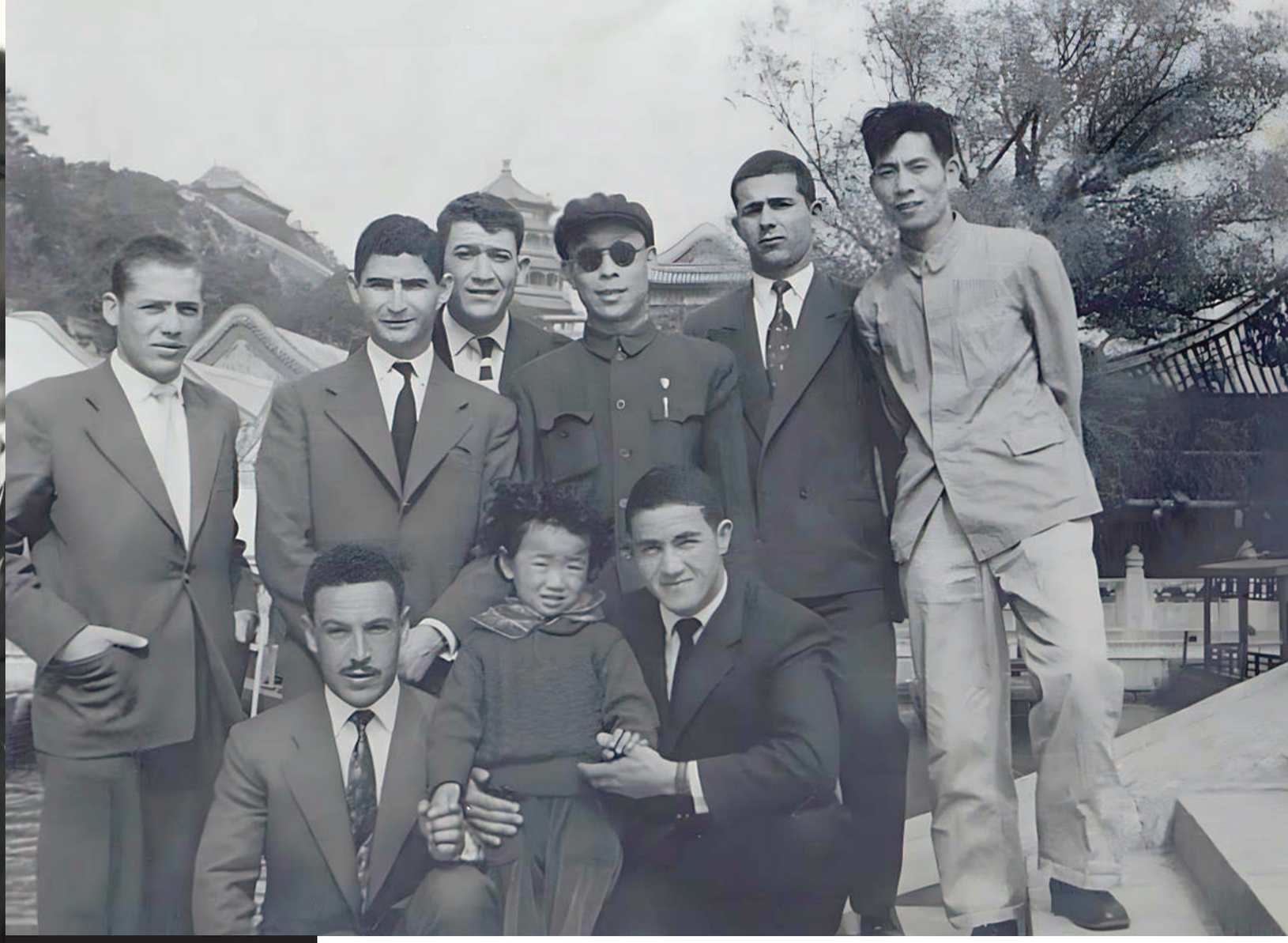

سعيد ايت مسعودان، واقف الرابع ابتداءا من اليمين ومحند طاهر بوزغوب جالس الأول من اليمين

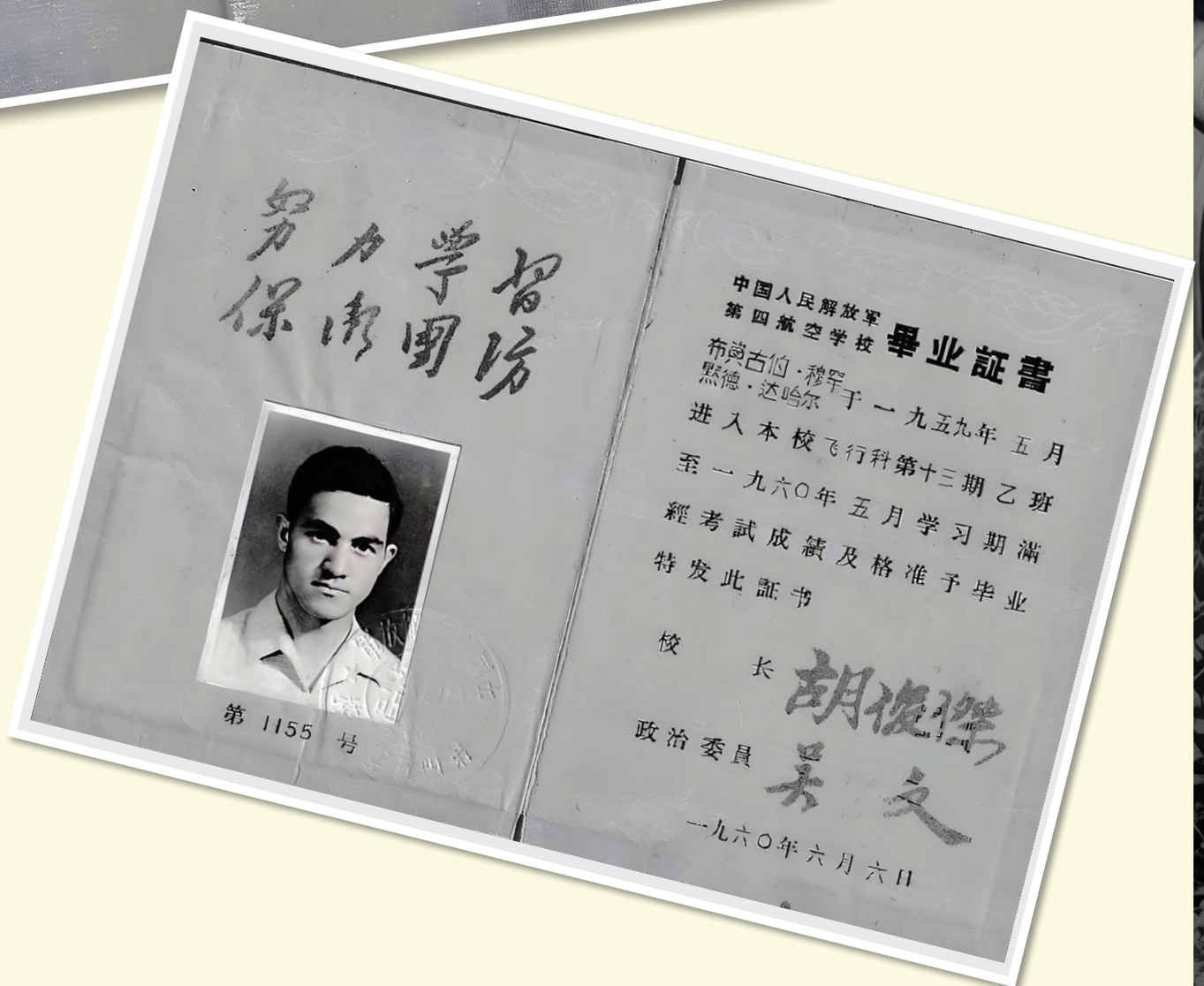


بطاقة طالب ضابط
محند طاهر بوزغوب الصين (1959)

يحي رحال، واقف الأول من اليمن و مجند طاهر بوزغوب، واقف الثالث من اليمبن

# 4 - الوجهة نحو الـ

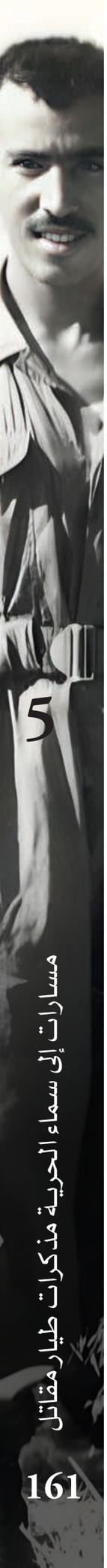

# ـعراق ثم روسيا

دفع الصينيون كل تكاليف إعـــادة المجموعة بأكملها إلى العراق، بما في ذلك تكاليف إقامتنا لمدة أسبوع في فندق ببغداد. انضممنا إلى قاعدة الرشـــيد الجوية، والتي تسمى أيضًا «معسكر الرشـــيد» واتبعنا نفس الدورة التعلمية التي اتبعها العراقيون. كنت الطيار الجزائري الوحيد المرخص له بالطيران على متن طائرات مقاتلة. إنضم إلينا عناصر الدفعة الثانية من الطيارين والفنيين، التي تم قبولها أخيرًا في أكاديمية القاهرة للطيران عام 1958 بفضل إصرار الرائد نوار، في قاعدة الرشـــيد. وقد ضمت، من بين آخرين، حســـين سنوسي، ومحمد بن شرشـــالي، ونور الدين بن خوشـــة، ومصطفى الدواجي، ومحمد بلمشري. وفي نهاية تدريبها وقبل إرسالها إلى العراق، استقبل كريم بلقاسم عناصر هذه الدفعة. وبقي لوناس بوداود لفترة في بغداد لا يفعل شيئا لعدم وجود طائرة قاذفة، بينما ذهب الطيارون الآخرون كل في طريقه.

مكثنا أربعة أشهر في العراق قبل أن تتم دعوتنا للذهاب إلى الاتحاد السوفياتي بعد اعترافها بالحكومة المؤقتة لتلقي تدريب إضافي.

لقد تعامل معي العراقيون بأخـــوة تامة، وعلاوة على ذلك، منحوا لي راتبًا مماثلا للذي كان يتلقاه طياريهم.

أخذنا تدريب آخر، عشية الاســـتقلال، وتوجهنا إلى قيرغيزيا، وهي جمهورية ســـوفيتية تقع في آسيا الوسطى. تم توجيهنا الى قاعدة لوجوفايا الجوية، لنتعلم كيفية قيادة

الطائرات المقاتلة من طراز ميغ 19، فبعد ميغ 15، و17 كان من الضروري إتقان قيـــادة طائرة جديدة من سلسلة ميغ.

إن مناورة طائرة ميغ 19، وهي طائرة أســـرع من الصوت، أكثر تعقيدًا من طائـــرات ميغ 17، ولم تكن بتاتا بسيطة كبقية المقاتلات من نفس الطراز. وتتكون مجموعة المتدربين مني أنا، رابح شلاح، نور الدين بن خوشة، يحيى رحال، بن شرشالي محمد، ولخضاري محي الدين. وكان هذا الأخير طيارا ممتازا، تدرب في فرنسا قبل أن يهرب وينضم إلى جبهة التحرير الوطني في دمشـــق. غير أنـــه كان غير قادر علـــى التكيف مع طائرة ميغ 19 التي اعتبرها صعبة، فتخلى عن التدريب وغادر القاعدة[1].

وفي قيرغيزستان علمنا بخبر التوقيع على اتفاقيات إيفيان. وفي يوم وقـــف إطلاق النار، ذهبنا بالقطار إلى بيشـــكيك (فرونزي بين عامي 1926 و1992) للاحتفال بالاســـتقلال الوشـــيك. كان الإعلان عن الاتفاقيات بمثابة نهاية إقامتنا. عدنا بسرعة إلى القاهرة على أمل أن تطأ أقدامنا أخيرًا أرض الوطن.

تسليم شهادة نهاية الدراسة الدبلوم بلوقوفايا الإ تحاد السوفياتي–1961

(1) انظر الملحق رقم 5.

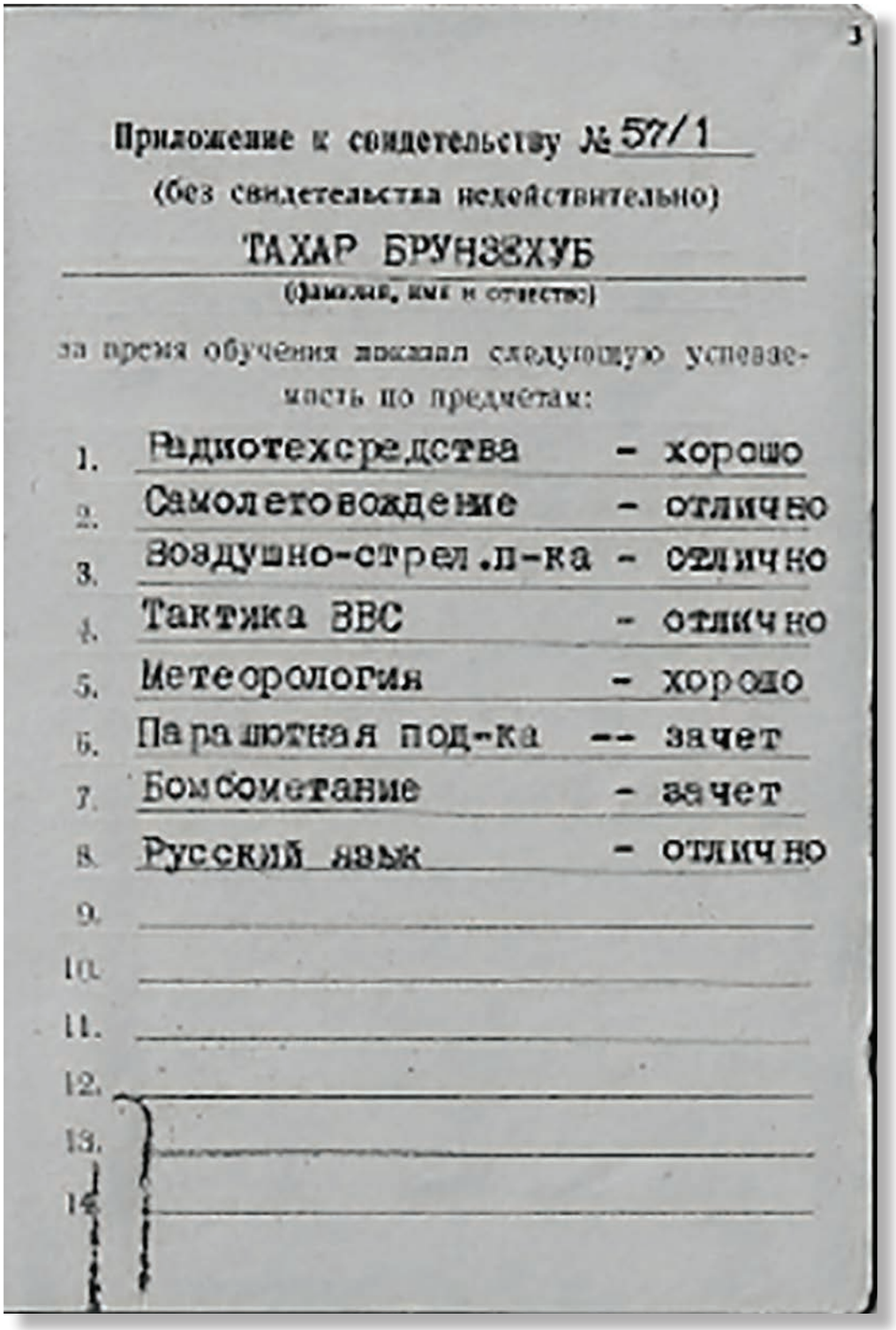

Приложение к свидетельству № 57/1

(без свидетельства недействительно)

ТАХАР БРУНЗЕХУБ

(фамилия, имя и отчество)

за время обучения показал следующую успеваемость по предметам:

| | | |
|---|---|---|
| 1. | Радиотехсредства | - хорошо |
| 2. | Самолетовождение | - отлично |
| 3. | Воздушно-стрел.п-ка | - отлично |
| 4. | Тактика ВВС | - отлично |
| 5. | Метеорология | - хорошо |
| 6. | Парашютная под-ка | -- зачет |
| 7. | Бомбометание | - зачет |
| 8. | Русский язык | - отлично |
| 9. | | |
| 10. | | |
| 11. | | |
| 12. | | |
| 13. | | |
| 14. | | |

كناش الطالب الضابط محند طاهر بوزغوب الإ تحاد السوفياتي .1961

روسيا

من اليمين إلى اليسار بوزغوب، لخضري، بن شرشالي بن خوشه، شلاح، رحال، بلوقوفايا الإ تحاد السوفياتي–1961

الفصل 6

# المشاركة بعد الاستقلال

# ميلاد القوات الجوية الجزائرية

كانـــت فرحة الوصول إلى القاهـــرة لا توصف. اســـتقبلنا مديرنا والقائم على تكويننا وسلامتنا الرائد نوار، الذي نصحنا بالبقاء في مصر حتى يســـتقر الوضع في الجزائر. ضاعف تنظيم الجيش السري الاستعماري المتطرف من شراســـته لإطالة أمـــد الحرب بتكثيف هجماته الإرهابية التي اســـتهدف بها العديد من المدن الجزائرية. كما أن الأزمة السياسية التي نشبت بين قادة الثورة أخرت كذلك من عودتنا الى أرض الوطن.

بمجرد أن هدأ الوضع قلـــيلا، وتم تنصيب أول حكومة للجزائر المستقلة، هبطنا في الجزائر العاصمة في 27 ســـبتمبر 1962. اســـتقبلنا في المطار سعيد ايت مســـعودان الذي ســـيعين في منصب مدير الطيران. قـــام بتوجيهنا على التـــو الى مـــكان إقامتنا في فندق ريجينا، الواقع بالقرب من البريد المركزي في الجزائر العاصمة. بعدها ذهبنا لزيارة الأهل. بعد إقامة قصيرة بالقرب من عائلاتنا، اســـتقرينا في الجزء العســـكري من مطار الدار البيضاء.

كانت الصين في عهد ماو تسي تونغ أول دولة تقدم للجزائر المســـتقلة ثلاث طائرات نقل سوفيتية الصنع من طراز أنتونوف كمساهمة في إنشـــاء النواة الأولى للطيران العسكري الجزائري. وفي الخطوة الثانية، قدم الاتحاد الســـوفييتي بقيادة نيكيتا خروتشوف للجزائر طائرة إليوشـــين إيل 28، لتكريم الرئيس أحمد بن بلة

وطائرة أنتونوف للجيش الوطني الشـــعبي. ولم تضيع مصر بقيـــادة جمال عبد الناصـــر، بدورها، الوقت اذ سارعت للتبرع بست طائرات من طراز ميغ 15، بما في ذلك طائرة تدريب ذات مقعدين من طراز ميغ15– UTI . وجرى تطوير وتهيئة قاعدة الدار البيضاء لاســـتقبال جميع تلك الطائرات.

قام سعيد آيت مسعودان، وهو من الرواد الأوائل لما ســـيصبح فيما بعد مديرية الطيران بوزارة الدفاع، بتعيين مصطفى دوبابي قائدا للقاعدة الجوية العسكرية بالـــدار البيضاء، وتـــم تكليفي أنـــا لإدارة الطائرات المقاتلة. وعند اســـتلام قاعدة بوفاريك تم تخصيصها لأنواع أخرى من الطائرات.

لدى زيارة الرئيس هواري بومدين للقاعدة الجوية لعين وسارة. محند طاهر بوزغوب في الصورة يقدم له طياري القاعدة

ذهب وفد من الطيارين والفنيين، بما فيهم أنا، إلى مصر في أكتوبر 1962 لجلب الطائرات المقاتلة الســـت الممنوحة من طرف مصر. واغتنمنا هذه الفرصة لاختيار نماذج الألبسة والنياشين لاعتمادها في سلاح الطيران الجزائري. لقد كلف المصريون مجموعة من حوالي عشرين جنديًا ومدربًا طيارًا وفنيًا لدعمنا في هذه المرحلة الأولى والصعبة من تشـــكيل سلاح الطيران من طرف الجيش الوطني الشعبي[1].

غادرنا مصر على أمل المشاركة في الجزائر في استعراض عسكري بمناسبة الأول من نوفمبر 1962. وكانت رغبتنا أن نصل في نفس وقت وصول المروحيات الأربع التي اقتنتها الجزائر قبل الاستقلال وتم تجميعها في المغرب. لكن سوء الأحوال الجوية قررت خلاف ذلك، وفوتنا فرصة المشاركة في الاحتفال بالذكرى الســـنوية الأولـــى لاندلاع الثورة في الجزائر المستقلة.

لقـــد انطلق المصريـــون بالفعل على متـــن طائرات الأنتونوف التي قدمها الســـوفيات والطيارون الجزائريون على متن طائرات الميغ 15 الخمس، وطائرة التدريب ذات المقعدين (الميغ 15 –UTI) الممنوحة من قبل مصر. توقفنا في مرسى مطروح في مصر وبنغازي وطرابلس بليبيا، ووجدنا أنفســـنا مضطرين للبقاء في طرابلس بســـبب سوء الأحوال الجوية وغلق المطار أمـــام الملاحة. ولم نتمكن أخيرًا من التحليق فوق سماء الجزائر العاصمة إلا في 2 نوفمبر 1962. لقد فوتنا فرصة المشـــاركة في العرض، وعوضنا عن ذلك بالقيام أنا ويحي رحال بالتحليق بشـــكل دائري في ســـماء الجزائر العاصمة، وهي طريقة رمزية أخرى للاحتفال بأول عيد لاندلاع الثورة.

احتلت مديرية الطيران الجديدة في البداية مكتبا في مقر هيئة الأركان العامة للجيش الوطني الشعبي، الواقع بالقرب من فندق الجزائر. بالنسبة لتنقلاتنا، كان علينا الاكتفاء بسيارة رينو 4. وبعد ذلك، نقل آيت مسعودان مقرنا الرئيسي إلى «لابيرين»، وهو المكان الذي تم التنازل عنـــه لاحقًا لكلية الطب بالجزائر العاصمة. ولم يدم المكوث في قاعدة الـــدار البيضاء طويلاً وذلك تطبيقا لاجراء أمني بسبب قربها من المطار المدني.

(1) بعد اعلان الاستقلال بدأت عملية تحويل جيش التحرير الوطني الى الجيش الوطني الشعبي.

محند طاهر بوزغوب لدى نزوله من الطائرة بالقاعدة الجوية لعين وسارة

انتقلنا بعدها إلى مطار عســـكري صغير في البليدة. لم تكن طائـــرات ال»ميغ» الأولى التـــي كانت بحوزتنا تتطلـــب نوعا مميزا من المهابـــط لاقلاعها أونزولها. وتمركزت طائـــرات الأنتونوف في قاعـــدة بوفاريك الكبيرة والمجهزة بمدارج مناسبة الحجم.

# 2 - أول تجربة في السماء

# على الحدود الجزائرية-المغربية

مع استقلال الجزائر، استدعي سلاح الطيران الناشئ لمواجهة عدوان الجار المغربي في عام 1963. ولمواجهة الاطماع غير المشـــروعة للمغرب في المنطقة، اضطرت الجزائر إلى وضع جيشها في حاسي البيضاء في مهمة الدفاع عن الوطن. تلقيت تعليمات بنقل الســـرب الذي كان تحت مسؤوليتي إلى جنوب غرب البلاد. كانت القوة الجوية الناشئة تعمل بمساعدة فنيين مصريين. وكان الفرنسيون الذين بقيوا في الجزائر بموجب اتفاقيات إيفيان، يسيطرون على مطار بشار وقاعدة المشرية المتواضعة.

على الرغم من احتجاجات الضباط الفرنسيين، هبطنا رفقة سعيد ايت مسعودان في مطار المشرية القريب من الحدود المغربية. تمركزنا هناك ومكثنا لفترة، ثم ذهبنا إلى بشار. شكلت فريقا مع محي الدين لخضاري خلال الرحلة، ودخلنا الى الأجواء المغربية وحلقنا فوق سوق أسبوعي في بلدة حدودية. بعد مكوثنا لمدة خمسة عشر يومًا في بشار، عدنا إلى المشرية، ثم إلى السانية في وهران للعودة أخيرًا إلى الجزائر العاصمة.

لقد كانت السنة الأولى لاستقلالنا، وكان علينا أن نظهر للعدو أن لنا القدرة والعزيمة للرد على أي عدوان وباستعمال كافة الوسائل المتاحة بما في ذلك القتال الجوي.

كان سلاح الطيران تقريبًا معطل على الأرض، بسبب نقص الخدمات اللوجستية، ومع ذلك قمنا بتنفيذ الأمر الصادر عن القيادة وتمكنا من اختبار قدرتنا على الرد. في هذه الفترة من بناء سلاح الطيران العسكري وبعد تجربة عام 1963، طلبت مصر من الجزائر بأن تعيد إليها طائرات ميغ 15 المتهالكة الخمس، والطائرة التدريبية ذات المقعدين. جاء هذا الطلب بعد فترة ما سمي حينها ب»التصحيح الثوري» في 19 جوان 1965.

استرجاع مصر لهداياها لم يؤثر كثيرا على مسيرة بلادنا لبناء قوات جوية، وذلك بمواصالة تزويدها للجيش الوطني الشعبي، وبمرور الوقت بطائرات مقاتلة سوفياتية من طراز ميغ – 17 وأول طائرة من طراز ميغ – 21. هذه الأخيرة سيكون لها دور لا يقدر بثمن خلال الاشتباكات العنيفة مع طيران الكيان الصهيوني في سماء مصر في أكتوبر 1973. فقد تم نقل الطائرات المتعددة المهام في عام 1965 إلى قاعدة ورقلة. لم تكن قواعد الدار البيضاء والبليدة قادرة على استيعاب الطائرات التي تم الحصول عليها من عند السوفيات. بدأنا في ورقلة اتخاذ استقلاليتنا ببناء السلسلة اللوجستية وإقامة القواعد.

لم تكن عملية تزويد بلدنا بالطيران الحربي سهلة على الاطلاق. فقد بذل من أجلها جهدا مكثفا وسط الكثير من الألم، بالنظر إلى الطاقة المستهلكة والخسائر البشرية. وكان من الضروري المضي قدما لإنشاء قاعدة عسكرية جوية أولى حقيقية.

ويجب الاعتراف بأن برنامج التدريب، الذي بدأ خلال الثورة الجزائرية الوطني، مكن القوات الجوية الجزائرية الناشئة، منذ الاستقلال، من أن يكون لديها 136 اطارا، بين طيارين وفنيين وملاحين وميكانيكيين. ومن 1957 إلى 1962، أرسلت الجزائر ثماني بعثات متتالية إلى مصر وسوريا والصين والاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا والعراق. عند الاستقلال، كان لدينا 56 طيارًا (18 على طائرات مقاتلة، 14 على قاذفات قنابل، 21 طيارًا على طائرات نقل و3 ملاحين)، مقابل 80 فنيًا. وكانت تمتلك الجزائر عشية الاستقلال عددا من الإطارات في مجال سلاح الجو يفوق بكثير العدد الموجود لدى الدول المجاورة بالرغم من أنها كانت تتمتع بالاستقلال منذ سنوات.

# 3 - جوان 1967، أسطول جزائري
# شاب يدعم مصر

يوم السبت 5 جوان 1967، يوم العدوان الإسرائيلي على مصر، أعلن الرئيس هواري بومدين عبر الراديو بأن الجزائر ستقدم فورا يد المساعدة لمصر. استقبلت بقاعدة ورقلة التي كانت تحت مسؤوليتي في ذلك الوقت آيت مسعودان والملاح عبد الله قنيفي، للاطلاع على التحضيرات وتسليمنا الخرائط الجغرافية وموجات الراديو.

في اليوم الموالي، أي الأحد 06 جوان 1967، كان الطيار سليم بن عبدالله مبرمجا لأن يكون الأول من يقلع على متن طائرة انتونوف لنقل التقنيين لكنه عاد ليخبرني بأن زوبعة رملية كبيرة تمنعنا من الإقلاع.

ابلغني آيت مسعودان بالانتقادات الحادة التي تلقاها من جلول الخطيب، الأمين العام لرئاسة الجمهورية، الذي عاتبه بشدة عن عدم خروج السرب الجوي، وعليه اقترحت عليه المرور على تونس.

مصر، التي كانت تخطط لإعلان الحرب يوم الأحد 6 جوان 1967، تجاوزها الكيان الصهيوني أخيرًا وأقدم على تدمير أسطولها الجوي القديم. بعد خمس سنوات فقط من استقلالنا، وجد جيشنا الناشئ نفسه في مصر ليشارك في حرب بشروط مفروضة. تم نقل الطائرات إلى مصر في مثل هذه الظروف الجهنمية، بحيث كان الوصول إلى الوجهة يعتبر معجزة في حد ذاته. كانت عملية نقل طائراتنا مجازفة حقيقية، لكن تلك الظروف الصعبة كانت تستحق ذلك، خاصة وأن مصر فقدت منذ اليوم الأول للهجوم الإسرائيلي المفاجئ غالبية طائراتها المقاتلة.

لقد طمأنت القيادة بانه بمقدورنا ضمان اقلاع فوري للسرب إلى تونس. كما أبلغت آيت مسعودان ببدء العملية في تحد لظروف الطقس غير المواتية وعدم صلاحية موجات الراديو.

على رأس سرب أول من طراز ميغ- 17، قمت بتوجيه الطائرات من مقصورتي بالتنسيق مع سليم بن عبد الله الذي كان يتواصل مع برج المراقبة. لقد هبطنا في مطار تونس دون مساعدة فنية من المطار مما أثار دهشة التونسيين الذين قطعوا حركة المرور لإخلاء المدرج وتجنب الحوادث المحتملة. كنا تسعة طيارين على متن طائرات من طراز ميغ 17: أنا، زبير حمري، مصطفى سوكر، عمار إيغر، رشيد بايلة، فريد عمران، بشير واعلي، محمد لوناس وشريف بن شيكور[1].

بسبب نقص «الكيروزين»، اضطرت طائرتان للهبوط بعيدًا عن المطار. هبط زبير حمري بنجاح على مدرج مؤقت دون صعوبة. كان محمد لوناس الأقل حظًا، لأنه وجد نفسه بالقرب من بئر في قطعة أرض خالية وتسبب في ضرر لطائرته؛ ويجب الاعتراف أن الحادث استطاع ان يثبت سمعة المقاتلة ميغ- 17 كطائرة قوية ومقاومة.

جاء سفير الجزائر في تونس عبد المالك بن حبيلس للقائنا والاستفسار عن الوضع. تم إرسال فريق من الجزائر العاصمة لإعادة الطائرة المتضررة إلى ورشة الإصلاح في الدار البيضاء. تم سحبها براً بعد إزالة الأجنحة من جسم الطائرة.، وتم تزويد طائرة حمري

(1) أنظر الملحق رقم 6.

بالوقود وإعادتها إلى المطار بواسطة مصطفى سوكر. قضينا الليلة في حظيرة طائـــرات داخل المطار قبل أن نستأنف الرحلة إلى مصر في اليوم التالي.

أعطانا ســـفيرنا، بناءً على طلبي، مبلغًا من المال تركناه للوناس محمد من أجل نقل الطائرة المعطلة.

كان الطقس ملبدًا بالغيوم في ذلك اليوم. وبالقرب من الســـاحل الفاصل بين تونس وليبيا، واصلنا التنقل باســـتخدام البوصلة كأداة لحســـاب الاتجاه وإيجاد طريقنا. وبينما كنت أراقب المسار وجهت نظري الى الأسفل لأكتشف مشهدا يشبه الثقب. أدركت أننا كنا نطير فوق جزيرة جربة في تونس. وعند وصولنا الى طرابلس، اكتشفنا التقدير الكبير الذي يكنه الليبيون للجزائريين. فقد رحبوا بنا، ورافقونا الى غاية الحدود المصرية.

ســـافرنا على خط مباشر على مسافة 800 كيلومتر فوق ســـطح البحر لنصل إلى بنغازي. كنا على ارتفاع 9000 متر وكانت الســـماء صافية لدرجـــة أن زميلي الشاب فريد عمران تســـاءل بصوت عالٍ، إن لم يكن البحر فوق الطائـــرة! طلبت منه ألا يرفـــع عينيه عن أضواء لوحة العدادات وأن يظل على نفس المســـار. اضطررنا لتلبية احتياجاتنـــا من الوقود، وكان من مهم إنزالنا في مطار بنغازي، ثم واصلنا الطيران إلى مرســـى مطروح ثم القاهرة.

مصر، خلال حرب أكتوبر 1973من اليسار الى اليمين:
زبير حمري، اقر عمار، عقاد رابح، قوبا سعيد، لعروسي طاهر، موساوي عبد الرحمن، راضي أحمد

كانت الظروف المناخية مؤذية وبالرغم من ذلك وصلنا بالفعل الى القاهرة. ولحسن الحظ، تعرفت على الأهرامات عندما كانت الرؤية شبه معدومة. بدون هذا المعلم، كان من الممكن أن نضل طريقنا، ونسلك بذلك طريقا مباشر إلى إسرائيل، وذلك بسبب الرياح القوية التي كانت تهب من الاتجاه الخلفي للطائرات، والتي جعلت وقت الطيران أقصر مما كان مبرمجا.

عند الهبوط في القاهرة، اكتشفنا أن المصريين لم يكونوا يتوقعون مجيئنا. لقد كان حظنا كبيرا لبقاء هذا المطار في الخدمة، لأن سلاح جو الكيان الصهيوني كان قد قصف أغلب المطارات المصرية. قبل الخروج من طائرتنا، فوجئنا بتدفق الناس وهم يركضون لمقابلتنا ويطلبون منا أن نشغل المحركات فورا ونخرج من المدرج في أسرع وقت ممكن بسبب خطر الغارات المحتملة. أبلغناهم حينها بنفاذ الوقود من طائراتنا وباننا لا نعرف الى أين يتعين علينا الذهاب. بعدها اتصلوا على جناح السرعة بطيارين مصريين الذين حولوا طائراتنا الى وجهة أخرى. وبعد نصف ساعة فقط حلقت طائرات إسرائيلية فوق المطار.

أدى وصول الجزائريين إلى إراحة المصريين الذين فقدوا جزءًا كبيرًا من طائراتهم. تم نقلنا إلى نادي الضباط، ثم إلى حي مصر الجديدة، علمنا أننا كنا أول طيارين عرب وصلوا إلى القاهرة. في اليوم الثالث من وجودنا تم التوقيع على اتفاق وقف إطلاق النار. خلال إقامتنا التي استمرت لمدة شهر على الأراضي المصرية، كنا نقيم في القاهرة في فندق يديره يونانيون، كما كان الطيارون المصريون يقيمون هناك، ولكن في الطابق السفلي.

تركنا سربًا من الطائرات المقاتلة (ميغ- 17)، بعد عودتنا الى الجزائر. كما نقل المصريون قاذفاتنا الست من طراز إليوشن إل 28- إلى بلادهم. كما تم إرسال حوالي 15 من طراز ميج 21، قمنا بتركيبها بالقاعدة الجوية ببوفاريك، إلى مصر بعد وقف إطلاق النار. لقد عرفت تلك الترسانة من المقاتلات، التي كانت تشكل النواة الأولى للقوات الجوية للجيش الوطني الشعبي، رحلة في اتجاه واحد إلى مصر ومن دون رجوع.

في مصر، التقيت حسني مبارك، الذي كان على رأس سرب من القاذفات الثقيلة، من طراز توبوليف تو – 16، وطلب منا نقلها إلى الجزائر لتأمينها. وكان مبارك نفسه هو الذي رافقها إلى قاعدة الأغواط في شمال الصحراء الجزائرية، ومكث هناك لفترات متقطعة للإشراف والوقوف على صيانتها. وبقي الفنيون المصريون هناك لمدة عام لأغراض الصيانة حتى يوم استعادة الطائرات القاذفة.

خلال إحدى فترات إقامة حسني مبارك في الأغواط، حدث أنه لم يتم تقديم طعام الفطور له، كما كان معتادا على تلقى إفطاره في غرفته. والحادثة تعود الى تدخل طيار جزائري، يدعى مقران مناد، لدى تقني مصري كان في خدمة قائده. عمل مناد على ثني هذا المرؤوس من إحضار الطعام لمبارك في غرفته. لقد أقنعه أن على قائده النزول من غرفته وتناول الإفطار في المطعم مثل كل الطيارين. تطور الحادث وبلغ مسامع السفير المصري الذي احتج رسميًا لدى السلطات الجزائرية.

برفقة عبد الكريم بوقصة سنة 1963 بقاعدة البليدة. توفي بوقصة الذي يبدو عليسار الصورة في نفس السنة اثر حادث طيران بقاعدة بوفاريك

محمد عبد الغني بدمشق (سوريا)، خلال حرب الإستنزاف 1974

# 4 - أكتوبر 1973، العودة
# إلى المرجل المصري

كا ن الرئيـــس بومدين في زيارة الى ليبيا على رأس وفد كان من ضمنه وزيـــره للخارجية عبد العزيز بوتفليقة. أدرجت ضمن هذا الوفد الحكومي لدواعي ســـأعرفها فيما بعد. عند وصولنـــا، علم بومدين في مطار طرابلس أن الرئيس الليبي معمر القذافي لم يكن حاضرا في المطار. طلب حينها أن يأتي شـــخصيا لاستقباله. وعند ابلاغه يطلب الرئيس الجزائري، ســـارع الزعيم الليبي للحضور إلى المطار. تحدث الزعيمان على انفراد. كان بومدين قد سأل القذافي عما إذا كان الليبيون يحتاجون مساعدة في تدريب طياريهم.

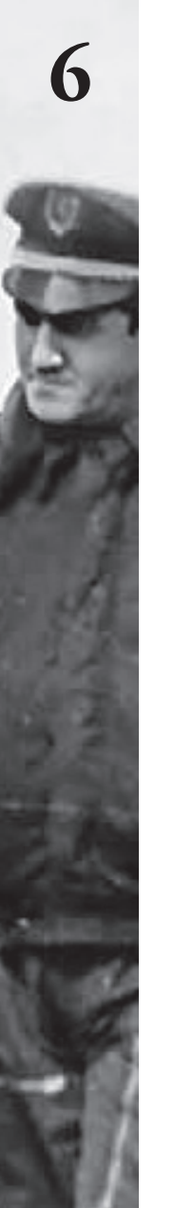

عند العودة إلـــى الجزائر، أخبرني آيت مسعودان بضرورة أن أســـتعد للقيام بمهمة طويلة الأمد الى ليبيـــا. وتتمثل تلك المهمة في نشر سرب من الطيران الجزائري في قاعدة بنغازي. عندها فهمت فحوى ادراجي ضمن الوفد الذي انتقل قبلها الـــى طرابلس. كما فهمت على الفـــور أن القذافي كان في حاجة إلى مســـاعدة لتوفير الحماية الجوية لمنطقة بنغازي – ســـرت، التي تضم معظم منشآت النفط والغـــاز الليبية. وبالموازاة مع ذلك تم نشر سفن من أسطولنا البحري الوطني بقيادة نور الدين بن قرطبي على الســـاحل الليبي. لقد نسقت القوتان الجزائريتان عملهما على أكمل وجه في ليبيا.

بمجرد اســـتلام أمر المهمة، تم إرسال فريق من المستكشـــفين إلى بنغازي لتفقد المنشآت. لقد وجدوا القاعدة مهجورة وفي وضع يســـتدعي إعادة تأهيلها. كان الليبيون يأتون إلـــى القاعدة لمعاينـــة طريقة عملنا. ثم قارنوا بيننا وبيـــن الصينيين. جاء القذافي وممثله في بنغـــازي، وهي المدينة التي تضم نصف المؤسســـات الليبيـــة، لزيارتنا ومن دون الاعلان المســـبق على ذلك. أرادوا تفتيش المكان ومعرفة احتياجاتنا. أبلغت الرئيس الليبي أن مسؤول الخدمات الفنية أخذ إجازته وتوجه إلى الجزائر لإجراء امتحان نهاية الدراسة في اللغة العربية. كانت التوجيهات في ذلك الوقـــت تلزم الطيارين تعلم اللغة الرسمية.

«إذن سنعلمكم التاريخ!» قال لي القذافي

لم أرد أن أخبره أن جميع الطيارين الجزائريين المتواجدين في قاعدة بنغازي هم من خريجي المدارس الكبرى، وأنهم يعرفون تاريخ بلدهم عن ظهر قلـــب وبكل تفاصيله. في اليوم التالي جاء رجل مســـن لإعطاء دروس التاريخ لطيارينا. لم يتم اســـتخدام الســـبورة المعدة في القاعة لذلك مطلقًا. المعلم المعين كان يأتي إلى القاعدة ليســـتعمل المطعم ويركن الى الراحة. كما اقترح الزعيم الليبي أن يأخذ كل طيار جزائري زوجة ليبية وأن نســـتقر في هذا البلد. ســـارع نائب قائد كتيبة الدعم محمد هنين الملقب ب «حمـــة» بالرد عليه بالقول بأن عليه استشـــارة الرئيس بومدين في هذه المسألة.

جـــاء الطيارون الليبيون الشـــباب إلى القاعدة لرؤيـــة المقاتلة الفتاكـــة ميغ – 21 ولمشاهدة ألعابنا البهلوانية في السماء. أثناء الإقلاع والهبوط، كان هناك فاصل زمني مدته دقيقة واحدة فقط بين كل طائرة وأخرى. لقد تم بالفعل أثناء تواجدنـــا بتلك القاعدة من تحسين التدريب ومستوى ادائنا على مستوى الطائرات، وعلى مدار الأيام.

ذات يوم كان الشريف بلقاسم ببنغازي وكان في مهمة للقاء القذافي. وفي انتظار اللقاء، فضل زيارتنا بقاعدة «بينينا» الجوية.

عشية يوم 6 أكتوبر 1973، كان العقيدان محمـــد بن أحمـــد عبد الغني وهاشـــمي هجرس، قـــد توقفا في بنغـــازي لتبليغنا أمر الذهاب إلى مصر. كانا يحملان رســـالة إلى أنور الســـادات تتضمن ابلاغه بأمر الرئيس الجزائري بإرسال طائرات الى مصر. في نفس اليوم، وعلى الساعة 11 صباحًا، سافرت الى طبرق برفقة رئيس الطيران العسكري الليبي الذي وضـــع طائرة نقل في خدمتنا. ســـارع المصريون لدى علمهـــم بتنقلنا الى بلدهم بمنحنا الإذن بالدخول.

في قاعـــدة جويـــة تقـــع جنـــوب الإسكندرية (جانا كليس)، طالب المصريون بمحو الإشـــارات إلى بلد منشأ الطائرة. تم إرسال الطيارين الجزائريين إلى القاعدة

دمشق (حرب الإستنزاف 1974)، مع محمد عبد الغني واقف الأول ابتداءا من اليسار خلال زيارة رسمية الى سوريا. محند طاهر بوزغوب (الرابع ابتداءا من اليسار).

الجوية لوادي قنا. وتقع هذه المنشـــأة العسكرية في أرض جـــرداء وقاحلـــة، على بعـــد 800 كيلومتر جنـــوب القاهرة، والتـــي تواجه أخطـــر قاعدة جوية لسلاح الجو الصهيـــوني. بعد ذلك قمـــت بتحويل القاعدة الجويـــة ببنغازي إلى قاعـــدة انتقالية خلفية مختصة في اللوجستيات.

لقد شـــمل أمـــر التعبئة جميع طياري الســـرب المتمركزيـــن في قاعدة بنغازي. تم اســـتدعاء الطيار ســـليمان خمري، الذي كان في إجازة في عين وســـارة مع أســـرته، على وجه السرعة للذهاب إلى مصر. طار بمفرده على متن طائرته التي كانت تنتظره في بنغازي، متبعًا نفس المسار الذي سلكناه للانضمام إلى السرب الذي كان ينتمي اليـــه والمرابط بوادي قنا. إلى جانب ســـرب ميغ- 21 بقيادة أحمد بن حريقة، وصل سرب آخر من اطائرات ميغ - 17، بقيادة أحمد لخضر دريد، إلى بنغـــازي. نقلته على الفور إلى مصر. أقام في قاعدة كوكوشـــيم خلف الأهرامات غرب القاهرة، بينما تم توجيه السرب الثالث من طائرات ميغ 17 بقيادة عثمان بن ميمون نحو قاعدة حلوان جنوب القاهرة.

كان المصريون هم الذين يقررون الوجهة النهائية لطائراتنـــا بمعداتها. إلى أســـراب الميغ الثلاثة، تمت إضافة سرب من طراز سوخوي في 11 أكتوبر بقيادة صادق بن مبارك والـــذي وجه الى قاعدة بلبيس. كانت الأسراب الأربعة تحت قيادتي، لكنها تتلقى التعليمات مـــن هيئـــة الأركان العامة المصرية. وتوجـــه إلى مصر مـــا مجموعـــه 50 طائرة و55 طيارا يرافقهم عـــدد كبير من الفنيين. لم يقدم أي جيش عربي هـــذا القدر من العتاد والأفراد. فعلى المستوى العربي، كنا بعد مصر القوة الجوية الثانية المنتشرة خلال هذه الحرب. جاءت بقية أسرابنا الأخرى بعد وقف إطلاق النار في 20 أكتوبر 1973 لتشارك في حرب الاستنزاف.

رفقة حسني مبارك، كنا نقوم بتنصيب أسراب الطائرات الجزائريـــة في القواعد المخصصة لها. انتقلنا بموجب ذلك الـــى واد قنا الموجودة على بعد 800 كلم من القاهرة عـــن طريق الطائرة، في حين كنا نقل السيارات للتنقل الى القواعد الجوية الموجودة قرب القاهرة مثل حلوان وبلبيس.

وبلغت خسائر الأســـراب الأربعة للطيران الجزائـــري، بعد مكوثها لمـــدة عامين في مصر، ثلاث طائرات، منها طائرتان من طراز ســـوخوي

– 7 بي أم كا، وواحدة من طراز ميغ– 21 أم أف. استشـــهد اثنان من الطيارييـــن، أحدهما ظريف محمد، الذي توفي بعد أن أســـقطت طائرته عن طريق الخطأ قوات الدفاع الجوي المصرية وغفور الشيخ، الذي أسقط العدو طائرته من طراز ميغ 21 أم أف.

تمت إصابة طائرة سوخوي 7 أخرى كان يقودها صادق بن مبارك، خلال اشتباك مع العدو. لكن طيارنا رفض القفز من طائرته المصابة وقرر إعـــادة طائرته إلى قاعدة بلبيس، حيث قطع مســـافة حوالي أربعين كيلومترًا. تمكن بالفعل من الهبوط لكن طائرته اشتعلت فيها النيران. أصيب بقرحة في المعدة وتـــم نقله إلى المستشـــفى. كان من الضروري أيضًا التمشـــيط في المحيط بأكمله للعثور على مسدســـه. وفي وقت لاحق، أعيد بن مبارك إلـــى الجزائر وحل محله نائبه عمار قردود[1].

(1) أنظر الملحق رقم 7.

سوريا-خلال زيارة وفد عسكري جزائري. سنة 1974.

منذ الرحلات الأولى، كان طيارونا يتحدثون مع بعضهم البعض بالفرنســـية. وبحسب الرائد أحمد بن حريقة، رئيس الســـرب الذي انتقل إلى بورســـعيد، فإن الإســـرائيليين تجنبوا الانخراط في القتال ضد الجزائريين. عندما وصل الســـرب الجزائري من طائرات ميغ 21 إلى وادي قنا، أخبر قائد القاعدة الطيارين المصريين أنه يمكنهم الآن الذهاب والنوم في ديارهم ووســـط عوائلهم. لم يعجب ذلك الأمر طيارينا، وكانت وراء ردة فعل عمار اقر الذي احتج ضد ذلك بشدة. وللإشارة، فلقـــد كانت في تلك الفترة جـــل القوات الجوية الجزائرية في حالة تأهب قصوى.

بعد مصر، رافقت في نفس السنة محمد عبد الغني خلال زيارته الى دمشق.

كنت قد انتهيت بالفعل مـــن عملية اغلاق القاعـــدة الخلفية في بنغـــازي في 14 فيفري 1974 للعودة إلى الجزائر. لقد قمت بشحن جميع وثائق قاعدة البيانات في طائـــرة من طراز «فوكر». لدى توقفي في طرابلس لتوديع قائـــد القوات الجوية الليبية وشـــكره على الترحيـــب الأخوي خلال إقامتنا في بنغازي، أرادت الجمارك تفتيش طائرتنا، فتدخل قائد سلاح الجو الليبي وهو رجل محترم، لإعادة ضباط الجمارك المتحمسين إلى رشدهم.

تم إرسالي إلى دمشق في 12 فيفري 1974 على رأس وفد يتكون من طياريـــن ومجموعة تقنيين متخصصين في سلاحي الدفاع الجوي والإشارة كمســـاهمة الجزائر في حرب الاســـتنزاف على الجبهة السورية. استقبلنا السوريون بحفاوة، وتم دمجنا في صفوف قواتهم المرابطة بقاعدة الدومير. كانت بعثتنا متكونة من أفراد متمرســـين سخروا خبراتهم لفائدة القوات السورية. وقد تم دمجي، كما كان الحال في مصر، ضمن هيئة الأركان العامة السورية لتنسيق العمليات.

محند طاهر بوزغوب واقف الثاني ابتداءا من اليسار. على يساره الح

جنرال جياب ثم الشاذلي بن جديد.

قاصدي مرباح، الرابع ابتداءا من اليسار، ثم الشابو، بن موسى, محند طاهر بوزغوب في أعلى الصورة (في الوسط)- خلال زيارة إلى الاتحاد السوفياتي

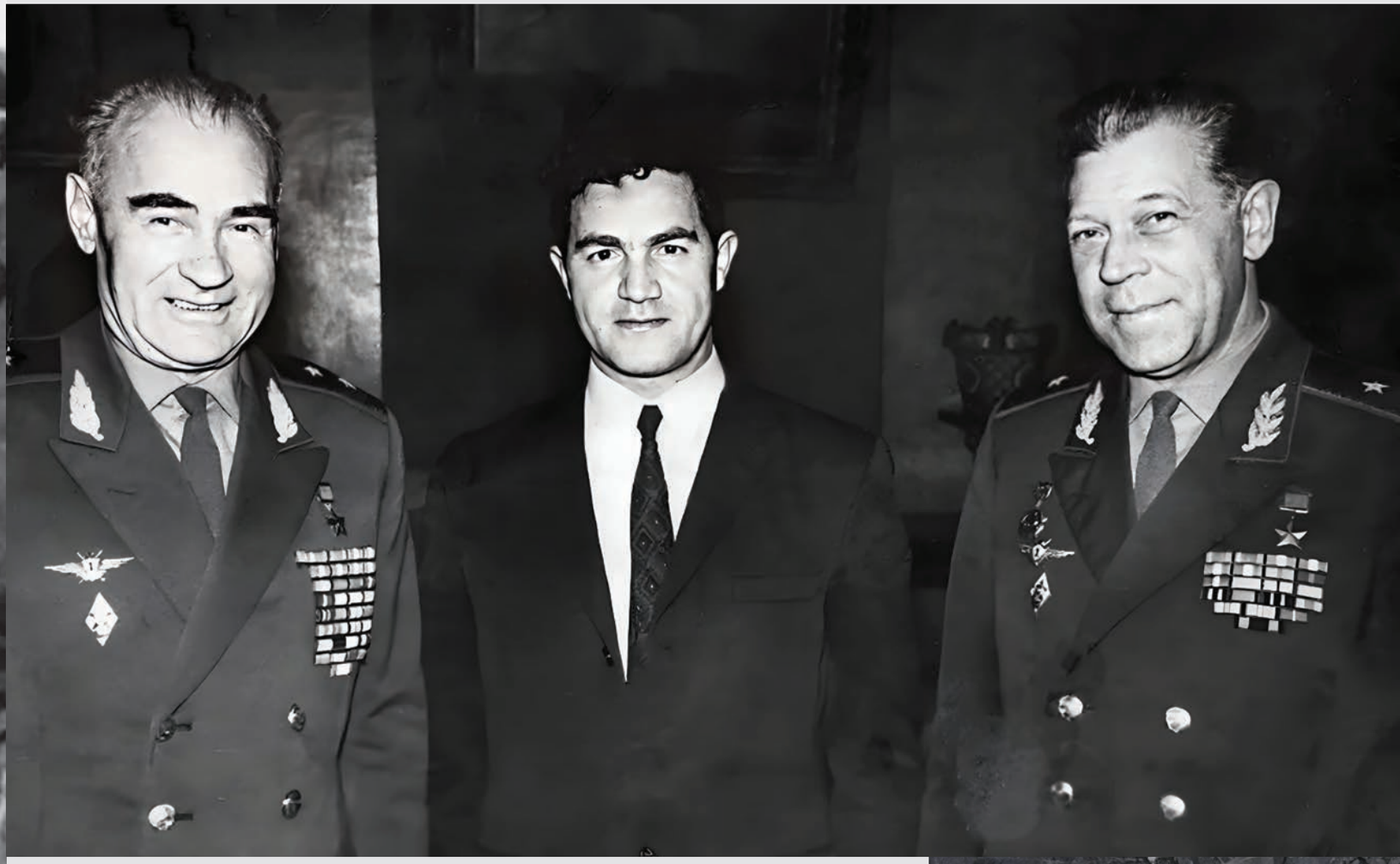

محند طاهر بوزغوب، يتوسط ضابطين ساميين من الجيش الأحمر السوفياتي
-خلال زيارة برفقة الشابو وقاصدي مرباح.

محند طاهر بوزغوب

# الخاتمة

بصفتي عضو في اللجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني، تم تعييني في الفاتح من يناير 1980 على رأس المديرية العامة للشركة الوطنية للخطوط الجوية الجزائرية إلى غاية أواخر ديسمبر 1981 ليتم تعييني من جديد على رأس الشركة الوطنية لمواد البناء، قبل أن أحول على جناح السرعة إلى المديرية العامة للشركة الوطنية للتبغ والكبريت. وقد كرست باقي مسيرتي المهنية في تسيير هاتين المؤسستين العموميتين، وكنت لا أزال في صفوف القوات الجوية. غادرت نهائيا الجيش الوطني الشعبي سنة 1984.

في 09 نوفمبر 1988 عينت كوزير للصناعات الخفيفة في حكومة قاصدي مرباح الى غاية 09 أكتوبر 1989، وبعد العطلة الخاصة، أسست رفقة عسكريين متقاعدين الجمعية الوطنية لمتقاعدي الجيش الشعبي الوطني.

دفعتني الأحداث المأساوية التي وقعت في الجزائر في التسعينيات إلى الخروج من التقاعد لدعم القوى الوطنية في حربها ضد أخطبوط الإرهاب عبر الجمعية الوطنية لمتقاعدي الجيش. وهذا يفسر التزامي بتأسيس التجمع الوطني الديمقراطي. وقد لعب هذا الحزب دور الحصن في مواجهة القوى الظلامية التي حملت السلاح ضد الشعب والجمهورية.

إن التزامي بتحرير بلدي، الذي قادني إلى مغاور ومخابئ جبال الأوراس، ثم متابعة التدريب كطيار مقاتل، لم يتوقف عند الاستقلال. لقد وجدت نفسي بالفعل في معركة أخرى، معركة بناء الجزائر، والتي حسمت مسيرتي المهنية. وخلال تشييد القواعد الأولى للقوات الجوية للجزائر المستقلة، وجدت نفسي في خضم أحداث فرضت علي التزاما تاما.

لا زلت مقتنعا، الى غاية اليوم بكل ما أقبلت على فعله خلال مشواري في الحياة. كما لازالت قناعتي راسخة في أن إعادة البلاد إلى مسارها الصحيح لن يتأتى الا من خلال تجند أبنائها. ان هذه القناعات هي ذاتها التي حفزت كفاحي من أجل التحرير والتي لا تزال على حالها. ما زلت مقتنعا بأن الالتزام الصادق والكامل من مختلف مكونات الشعب الجزائري هو السبيل الوحيد للحفاظ على استقلالنا الذي دفعنا ثمنه غاليا.

# الملاحق

# الملحق 1



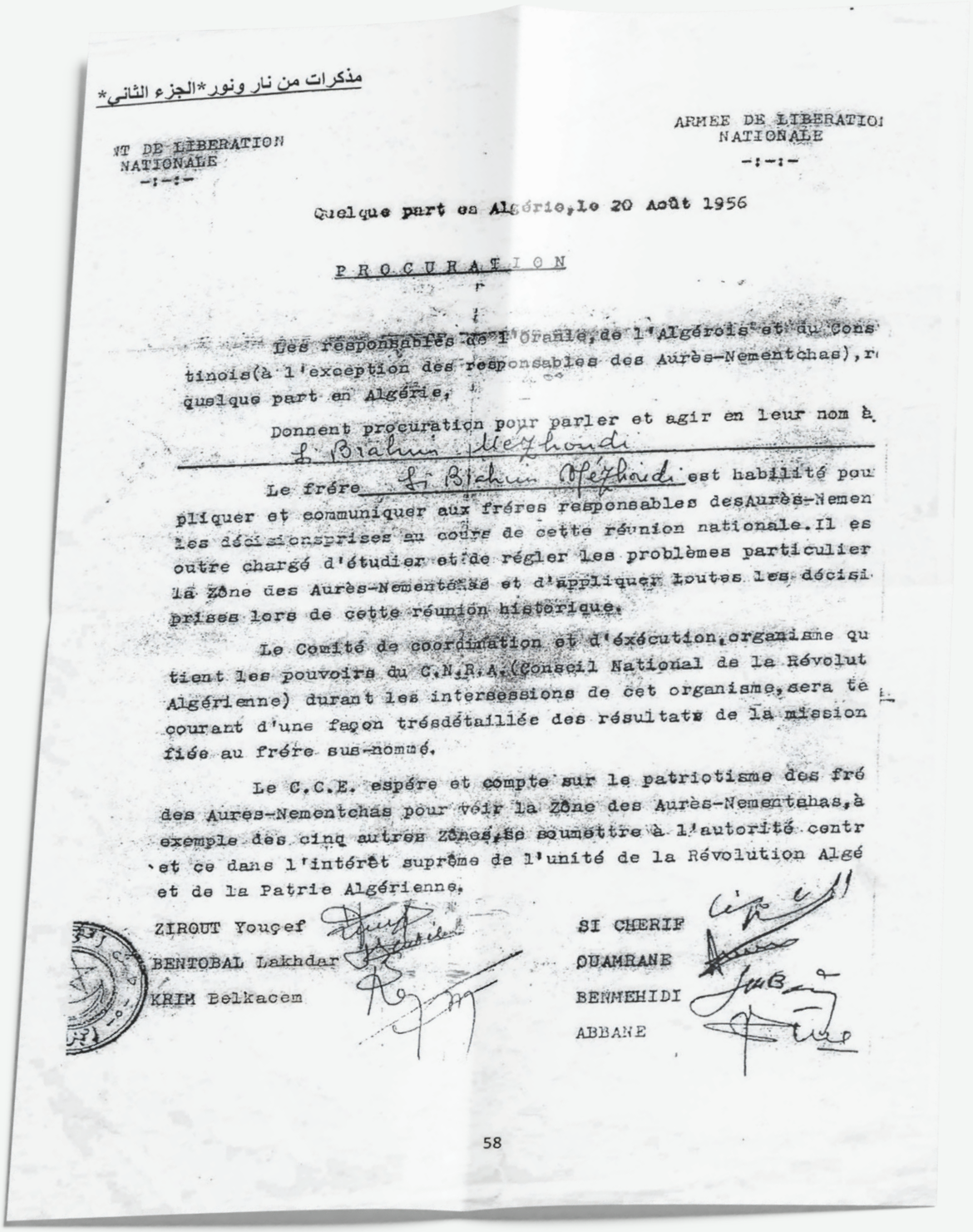

ARMEE DE LIBERATION NATIONALE
-:-:-

ARMEE DE LIBERATIO
NATIONALE
-:-:-

Quelque part en Algérie, le 20 Août 1956

PROCURATION

Les responsables de l'Oranie, de l'Algérois et du Cons
tinois (à l'exception des responsables des Aurès-Nementchas), r
quelque part en Algérie,

Donnent procuration pour parler et agir en leur nom à

Le frère Si Bachir Mezhoudi est habilité pou
pliquer et communiquer aux frères responsables des Aurès-Nemen
les décisions prises au cours de cette réunion nationale. Il es
outre chargé d'étudier et de régler les problèmes particulier
la Zône des Aurès-Nementchas et d'appliquer toutes les décisi
prises lors de cette réunion historique.

Le Comité de coordination et d'éxécution, organisme qu
tient les pouvoirs du C.N.R.A. (Conseil National de la Révolut
Algérienne) durant les intersessions de cet organisme, sera te
courant d'une façon trésdétaillée des résultats de la mission
fiée au frère sus-nommé.

Le C.C.E. espère et compte sur le patriotisme des fré
des Aures-Nementchas pour voir la Zône des Aurès-Nementchas, à
exemple des cinq autres Zônes, se soumettre à l'autorité centr
et ce dans l'intérêt suprême de l'unité de la Révolution Algé
et de la Patrie Algérienne.

ZIROUT Youçef
BENTOBAL Lakhdar
KRIM Belkacem

SI CHERIF
OUAMRANE
BENMEHIDI
ABBANE

58

# الملحق 2

FRONT? ET ARMEE DE LIBERATION NATIONALE.

## RAPPORT.

Nous avons quitté le secteur Akbou le Ier Septembre et le 3 de ce même soir, nous avons rencontré Benboulaid Omar au village El-Ksour (Maadid) avec quelques responsables régionaux qui sont:

| | |
|---|---|
| Hadj Lakhdar | Région de Batna. |
| Tahar Nouichi | Foum-Toub. |
| Ahmed Nouaoura | Arris. |
| Ahmed Azoui | Chef des groupes volontaires. |
| Torche Abdelhafid | Région de Barika. |
| Raili Mostéfa | Boutaleb et Maadid. |
| Araar Mohamed Bouazza | Secrétaire général. |
| Ali Benmaachiche | Officier de Benboulaid Omar. |

A la première rencontre avec Benboulaid Omar le 3 Septembre à 15 H. je lui montré le procés-verbal et il m'a demandé de le lire devant les responsables ci-dessus et c'est lors de cette reunion qu'il me dit que son fréfe est mort par suite d'un accident de mine.

Le 4/9/ au matin, j'ai fait une reunion qui a duré une demi-heure, j'ai lu à tous lexs responsables le procés-verbal et ils étaient tous contents de la nouvelle organisation, ensuite, nous avons ptis le chemin vers le village Talbas et c'est dans ce village que j'ai interrogé à, tour de rôle tous les responsables sur le différend des Aurés.

A ma rencontre avec Benboulaid Omar, celui-ci me déclara que les responsables lui ont signé une procuration pour être leur chef, il m' a demandé s'il l'envois à Alger, j'ai refusé.

Et c'est au village El-Ksour aussi que j'ai recontré le nommé Djabali envoyé par Adjoul apportant avec lui un cachet, une lettre et un paquet de tracts (Ci-joint le rapport N° I de Djabali).

Le courrier qu'il a apporté a été saisi en cours de route pr Benboulaid Omar et lorsque je l'ai demandé à celui-ci, il m'a repondu qu'il était aux Aurés Djabali m'a déclaré aussi qu'il avait avec lui le nommé Bellagoune Messaoud convoqué à la réunion mais Omar l'a arrêté et l'a laissé comme prisonnier dans la région d'Ain-Touta.

Interrogés à toour de rôle, les responsables déclarent:

I°)-Hadj Lakhdar:

Apres l'arrestation de Si Mostéfa, Chaibani Bachir a pris sa place et Benboulaid était son adjoint.

Les membres du comité étaient:

Adjoul, Abbas & Aissi Messaoud.

Comité créé aprés la mort de Si Mostéfa:

Procuration donnée à Ahmed Azoui comme responsable provisoire-Si Md Arnar et Si Ali Machiche comme secrétaires, procuration faite le 3/4/ 1956.

J'ai signé la procuration à Omar exceptionnellement pour nous accompagner en Kabylie.

2°)-Tahar Nouichi Déclare:

Je déclare que le premier État-major est constitué de 5 membres:

I°)-Si Mostéfa.
2°)-Chibani.
3°)-Adjoul.
4°)-Abbas.
5°)-Ghamrassi Tahar Nouichi

Trésoriers: Aissi Messaoud - Azoui Meddour - Bellagoun. Messaoud.

Je déclare que Bellagoun Messaoud convoqué par le comité est venu par l'autorisation de Si Adjoul et Si Abbas, Si Omar l'a arrêté et l'a emprisonné.

Je déclare aussi que Aissi Messaoud a dit: "Nous nommerons un de nos frér comme responsable mieux qu'un autre.

Adjoul a fait un tract dans lequel il a condamné Omar Benboulaid, Aissi Messaoud et Azzedi Meddour.

De son coté Aissi Messaoud a donné l'ordre de combattre sans pitié Adjou et nos djoundis.

Si Mostéfa déclare aprés sa libération que les responsables des difficul créés aux Aurés sont Aissi Messaoud et Adjoul et le porte-parole entre ceux-ci est Messaoud Bellagoun.

Comité organisé aprés la mort de Si Mostéfa:

Le Président Azoui Ahmed.

Adjoint Aissi Messaoud.

Secrétaire: Araar Mohamed Bouazza.

Deux mois aprés le président étant incapable de dirriger l'organisation remit sa confiance à Si Omar en l'absence de Si Hocine, responsable de Boussaada et Mohamed Bemessaoud, responsable de M'Cllouneh.

J'ai signé la procuration à Si Omar rien que pour nous accopagner en Ka lie.

3°)-Ahmed Nouaoura:

J'ai signé la procuration à Benboulaid Omar pour nous accompagneren Kab

4°)-Azoui Ahmed:

Nous avons parlé sur ce qui concerne le courriee saisi par Si Omar à Dj li et nous avons conclu de les apporter à Krim Belkacem. Si Omar m'a dit: "Si vous n signez pas la procuration, je ne quitte pas les Aurés.

Tous les membres du comité ont conclu que nous contacterons Adjoul par et non en personne.

5°)-Torche Abdelhafide

J'ai signé le papier sur la confiance de Si Omar sans savoir ce qui y est écrit.

6°)-Kalli Mostéfa:

Je suis d(accord avec la politique de Omar Benboulaid.

C'est au cours de cette reunion que j'ai découvert que Benboulaid Omar a écrit des lettres de menace avec le cachet de la Kabylie et aux noms de Krim, Ouamra et Amirouche et une lettre envoyée par Maitre Maalem, porte-parole de M. Paye, direct général de la politique algérienne qui dit à Si Mostéfa de choisir librement le jo des négociations franco-algériennes, une autre lettre adressée à Bembella par Omar mois de Mai de la Kabylie lui demandant le copte rendu de tout ce qu'il a fait, tout ces lettres ont été c achetées surle tampon de la Kabylie, déclaration faite par l Secrétaire personnel de Si, Omar, Debbache Abderrahmane-Ci-Joint les copies D. 2.

Benboulaid Omar a nié avoir écrit une lettre à Maitre Maalem et un quart d'heure aprés il l'a a firmé devant les personnes qui l'ont vu.

Le 10/9/ 1958 :Réunion de tous les responsables pour confrontation avec Benboulaid Omar.

La réunion a été présidée par Tahar Nouichi. J'ai donné les directives de l'organisation nouvelle et des actions générales -D.3.

Aprés avoir teminé, j'ai demandé de désigner une commission qui m'accomp dans ma tournée de controle et j'ai demandé à chaque responsable de fournir lors d prochaine réunion un rapport sur l'activité financiére et morale du secteur.

Une commission a été constituée de 7 membres qui m'accompagneront:

1. Benboulaid Omar.
2. Araar Mohamed Bouazza.
3. Si Ali Bennachiche.
4. Tahar Nouichi.
5. Hadj Lakhdar.
6

6.Azoui Ahmed.
7. Si Ali Nemer.

J'ai constitué une autre commission chargée d'aller au Sud sous la responsab
lité de Si Mohamed Chérif Bensakchaf Ain-Tout a).

La réunion est prévue au 20 Octobre 1956.

Le soir de tous les responsables et djoundis se trouvant dans le dit village
où un commissaire politique Si Youcef a pris la parole et puis ce fût moi qui,à mon
tour ai fait coprendre tous les soldats sur le différend.

Le lendemain,j'ai chargé un nommé Kabouya Brahim et Mohamed Bouazza de rédig
ger un tract comme appel à tous les Moudjahidines de L'A.L.N. P.4.

Aprés;quoi,nous primes la direction du Djébel Chélia où nous fumes arrivés l
le 28/9/56.

Et c'est là que j'ai trouvé plus de 150 maquisards déserteurs des secteurs et
en particulier de ceux d'Adjoulet Aissi Messaoud,ils sont là sous la responsabilité
d'Ammar Maache et Ammar Aachi,tous deux déserteurs de l'organisation de Aissi Messaoud
et c'est là où j'ai contacté quelques responsablesdes assemblées du peuple des douars
Chélia et Yabous qui ont déclaré que les soldats de L'A.L.N. commettent des acts de
sauvagerie plus que ceux de l'Armée du Colonialisme,ils disent dans leurs rapports que
les soldats arrivent même à,fouiller les femmes trouvant l'excuse qu'ils cherchent des
cigarettes.

Le lendemain matin,j'ai rassemblé tous les militaires qui se trouvent dans c
ce djébél et je les ai questionné un par un et déclarent qu'ils ont déserté de chez
Aissi Messaoud car il fait la différence entre eux et les soldats qui sont de son do
douar et a donné ordre dans tous les refuges de ne pas de ne pas les ravitailler et
leur a donné ordre de combattre Adjoule et ses soldats,j'ai organisé tous les djoundis
en groupes et leur ai donné du travail,avant de partir pour accomplir leur tâche,je
leur ai donné un rendez-vous dans un village Sidi-Ali qui se trouve aprés une étape de
Chlia,c'est là que j'ai contacté pour la premiére fois le nommé Aissi Messaoud.I/10/56

Le lendemain matin,à l'arrivée de la commission désignée,nous avons fait une
réunionen la presence de BENBOULAID , HASSI MESSAOUD , TAHAR NOUICHI , EL HADJ LAKHDAR
BEN AKCHA MOHAMED CHERIF , si EL HOCINE EX-RESPONSABLE ud sud
Mohamed ben messaoud responsable de MCHOUNECHE BOUSSETTA responsable de groupe
si ALI ben machiche AMAR MOHAMED BOUAZZA , AMAR MAACHE , si ALI NEMER
C'est au cours de cette reunion que nous avons etudie tous les rapports fournis
par les habitants des douars YABON ET CHELIA et nous avons fait la confrontation
de Aissi Messaoud et Ammar Maache et nous avons étudié tous les rapports d es soldats
fournis contre Aissi Messaoud.

Etude du cas Adjoul:

Organisation de la région de Chelia dirrigée apr Aissi Messaoud et nous avo
avons prouvé que celui-ci est incapable de dirriger et déclare qu'il ignore tout se qu
qui se passe dans la région.

Etude sur le cas des prisonniers faits par Aissi Messaoud.

Etude du cas Mohamed Benmessaoud,responsable de M'Chounech sur lequel Aissi
Messaoud a donné ordre de l'amener ligoté.

Suspension De Aissi Messaoud de toutes ses responsabilités et n mination
d'ali Machiche comme responsable militaire et Ali Nemer,politique,tous les rapports se
sont remis aux dits responsables pour enquéter.J'ai libéré tous les prisonniers faits
par Aissi Messaoud et celui-ci nous a remis les finances,un cachet et les armes qu'il
a saisies.

Le soir-même,j'ai rencontré Adjoul aux environs de Sidi-Ali,je lui ai montré
le procés-verbal de la réunion du 20 aout et je lui ai demandé pour l'intérêt du pays
de quitter la responsabilité de Kimmel et de m'accompagner en Tunisie,il a accepté.

Le 3/10/ une autre réunion était faite à Sidi Ali avec la presence de tous le
membres de la commission,je leur ai expliqué que Adjoul était d'accord d'abandonner sa
responsabilité et qu'il est prêt à nous accompagner pour toute confrontation.

Et c'est au cours de cette reu nion,que Benboulaid Omar refuse de nous

[illegible] renseignements et liaisonsde la zone.

accompagner car il y a avec nous Adjoul et on a décidé qu'il ira d'un coté et nous d'un autre pour nous rencontrer aux Nementchas.

Avant de quitter Sidi-Ali,j'ai rassemblé la plupart des soldats de la région Chélia pour leur presenter leurs nouveaux chefs et la plupart de ces soldats ont manifesté contre la nomination d'Ali Mechiche car il est du même douar que Ahmed Mesraoud et pour faire fin aux manifestations,j'ai désigné Si Ali Nasser comme responsable militaire et cheikh Youcef politique,tous les deux provisoires,enfin tous les soldats étaient contents de ces deux personnes et j'ai donné l'ordre à tous les déserteurs de regagner immédiatement chacun son ancien secteur et j'ai désigné Arar Mohammed Bouaza comme responsable provisoire de Khenchela avec un élément désigné par Adjoul.

Le soir,nous primes la direction d'Ali Nass pour contacter les groupes des Nementchas et nous y sommes arrivés le 11/10/56,nous avons découvert qu'il nous est impossible d'amener avec nous Adjoul car si on le faisait,on nous laisserait pas passer et on lui a donné ordre de retourner à son secteur et nous lui avons remis un laissez passer de rejoindre la Kabylie le plus tôt possible,le soir,nous avons contacté un groupe de maquisards dont le chef est Si Larbi Oumassi qui est sous la responsabilité de Abderrahmane de Tamza qui doivant nous mettre en contact avec les groupes des Némenchas.Nous avons trouvé qu'il est impossible d'avancer vers les nementchas car il nous est parvenu que le lendemain il y aura un ratissage dans les environs et nous avons pris la direction de Tamza accompagnés du dit groupe et celui-ci nous a abandonné en pleine nuit au milieu de al piste à côté d'un poste militaire et ils nous ont interdit de les suivre ou ils tireront sur nous.Nous avons pris le chemin sans savoir dans quelle direction à la forêt où nous sommes restés 36 heures sans manger et l'événement nous a obligé de retourner au Djébel Chélia où nous sommes arrivés le 17/10/56 et le lendemain nous avons quitté Chélia Vers Sidi-ali à cause d'un ratissage.

Comme la reunion est prévue pour le 20/10/56,nous avons convoqué Adjoul pour y assister car il n'est pas encore aller en Kabylie comme nous avons conclu.

Le 20/10/ après-midi,Adjoul arrive avec son groupe qu'il a installé à la forêt où une piéce 24 était placé en face de la chambre où nous étions,nous avons constaté qu'il a plus le caractére d'avant et il a déclaré à Tahar Nouichi qu'il ne quittera jamais son secteur et si quelqu'un essaynait de se mêler de ses affaires ,il l'abattrai et c'est au cours de ses discussions qu'il a eues avec Hadj Lakhdar et Tahar Nouichi que nous avons découvert qu'Adjoul était en train de nous préparer un complot,il a déclaré qu Si Mohamed Bouaza continuait à travailler comme nous l'avons informé,il l'abattrait,le soir,vers 7 h. Adjoul arrive avec 6 de ses djoundis pour apasser la nuit avec nous en laissant son groupe installé à la forêt en face de notre gite.

A 7 h. 30,j'ai rassemblé tous les responsables pour étudier le cas d'Adjoul au cours de cette reunion,nous avons décidé de ligoter Adjoul et nous avond désigné 6 Personnes pour le faire,dés qu'ils se sont approchés de lui,Adjoul avait déjà le pistolet prêt sous les couvertures et tira,il y a eu des coups de feu pendant 4 minutes, Adjoul a perdu 4 djoundis et de notre coté un chef de groupe a été tué par les soldats d'Adjoul installé à la forêt,tandis que Adjoul blessé,a réussi de s'enfuir.

Aprés l'événement,nous avons quitté Sidi-Ali pour rejoindre Chélia et le 22 nous avons apris l'arrestation de Mella et ses compagnons,j'ai trouvé qu'il m'est impossible de franchir les Nementchas car la limite est barrée par les groupes de Tamza et Beni-Melloul pour les quels Bemboulaid Omar a fait une propagende leur disant que je venu aider la politique de Adjoul.

Le 23 au matin,j'ai désigné les responsables zonaux et régionaux en la prézence des

| | | |
|---|---|---|
| Hadj Lahdar | Responsable région Batna. | |
| Tahar Nouichi | d° | d° Foum-Toub. |
| Mouaoura | d° | d° Arris. |
| Torche | d°° | d° Barika. |
| Ali Machiche. | | |
| Ali Nasser. | | |

J'ai remplacé Ahmed Azoui comme responsable zonal a la place de Tahar Nouichi et nommé Rafli Mostéfa comme responsable des renseignements et liaisonsde la zone.

J'ai envoyé une convocation à Tahar Nouichi pour me suivre en Kabylie.

J'ai envoyé en Kabylie Mohamed Bennessaoud,responsable de M'Chounéch accusé d'avoir apporté le poste qui a servi de la mort de Si Mostéfa,pour l'enquéter.Il est mort à la suite d'un bombardement.

Bellagoune Messaoud accusé de plusieurs meurtres est actuellement en Kabylie mais le temps ne m'a pas permis d'enquéter.

Le 31/10/56,nous avons appris la mort de Si Nasser,je fus obligé de laisser la responsabilité des deux zones à Mohamed Lamouri pour continuer l'organisation des 2 zônes en la prézence de Benakcha Md Chérif,Torche Abdelhafid,Kabouya Brahim et MEKKI

//.//

# الملحق 3

| دفعة حلب (1957) | |
|---|---|
| **الطيارين المقاتلين** | **التقنيين الفنيين** |
| 1. لوناس بوداود | 1. كمال شيخي |
| 2. مصطفى دوبابي | 2. عز الدين ملاح |
| 3. رابح شلاح | 3. هادفي رحال |
| 4. يحيى رحال | 4. عبد الله قنيفي |
| 5. محند طاهر بوزغو | 5. فوزي عبد الرحمن الصغير |
| 6. اسماعيل أويحي | 6. عبد الرحمن سعيدي |

# الملحق 4

| دفعة التخصص (الصين 1958) | |
|---|---|
| **الطيارين المقاتلين** | **طياري القاذفات** |
| 1. سعيد آيت مسعودان | 1. لوناس بوداود |
| 1. رابح شلاح | 1. مصطفى دوبابي |
| 2. يحيى رحال | 2. إسماعيل أويحيى |
| 3. محند طاهر بوزغوب | |
| **الملاحين** | **دفعة التدريب** |
| 1. عبد الله قنيفي | 1. محمد لخضر دريد |
| 2. عبد الرحمن سعيدي | 2. محمد عنتر |
| | 3. خير الدين بن ديمراد |

# الملحق 5

| دفعة الاتحاد السوفيتي(1961) | |
|---|---|
| الطيارين الهيلكوبتر | التقنيين الهليكوبتر |
| 1. سعيد آيت مسعودان | 1. حميد سعيدي |
| 2. جيلالي تيمولغي | 2. مجدوب دالي |
| 3. لحسن سيد | 3. شريف بوشمال |
| 4. حسين السنوسي | 4. عاشور العاودي |
| 5. عبد الكريم بوقصة | 5. أكلي حيبوش |
| 6. البغدادي شايشي | 6. أرزقي إحدادن |
| 7. رشيد بوتلة | 7. سعيد أوعلا |
| | 8. إدريس مومني |
| | 9. عبد الحميد بن داود |
| | 10. حسين قاسم |
| | 11. علي بوعكاز |
| | 21. محمد باش الشاوش |

# الملحق 6.

| سرب الطيران الجزائري المقاتل في مصر 1967 | |
|---|---|
| الطيارين المقاتلين | طياري القاذفات |
| 1 –محمد الطاهر بوزغوب | 1 –محمد قربوعة |
| 2 –زوبير حمري | 2 –مقران مناد |
| 3 –مصطفى سوكر | 3 –زواوي زقاوي |
| 4 –عمر إيغر | 4 –مصطفى كساجة |
| 5 –رشيد باعيلة | 5 –سعيد موسوني |
| 6 –فريد عمران | 6 –سيد علي بوقرط |
| 7 –بشير واعلي | |
| 8 –محمد لوناس | |
| 9 –شريف بن شيكور | |

# الملحق 7.

## شاركت أسراب من الطيران الجزائري في مصر عام1973

بقيادة القائد الطيار المقاتل محند طاهر بوزغوب، كانت أسراب الطيران الجزائرية الأربعة المشاركة على الجبهة المصرية من 7 أكتوبر1973 ، تمتلك 50 طائرة مقاتلة :مقاتلات وقاذفات قنابل مقاتلة، و 55أطقم طيارين وفنيي طيران .حتى 22 أكتوبر1973 ، تاريخ إعلان وقف إطلاق النار، الأسراب الموضوعة على جبهة القتال قتل منها طياران ودمرت طائرتيهما.

**ثانيا –الأسراب المقحمة**

السرب الثالث والعشرون من طراز ميغ 21 إم إف بقيادة ضابط الطيار أحمد بن حريقة، ومقره وادي قنا 800كلم من القاهرة .تكفل بالدفاع عن المنطقة التي تواجه أقصى قاعدة جوية إسرائيلية في رأس نصراني(شرم الشيخ)

كان السرب الرابع عشر) ميغ(17 ، المتمركز في حلوان والمندمج في المنظومة القتالية، بقيادة الضابط عثمان بن ميمون، مسؤولاً عن مختلف المهام الدفاعية والهجومية.

قام السرب 17 من ط

راز ميغ 17 بقيادة أحمد لخضر دريد في كومشيم غرب القاهرة، والذي تم دمجه في نظام القتال المصري، بمهام دفاعية مختلفة.

تولى السرب الحادي والعشرون من سوخي SU-7 BMK بقيادة صادق بن لمبارك، والذي تم تركيبه في قاعدة بلبيس ودمجها بالكامل في النظام المصري، المهام الهجومية على منطقة الدفرسوار

**ثالثًا –تقييم الخسائر البشرية والمادية**

–مقتل طيارين :محمد ظريف والشيخ غفور.

–خسارة ثلاث طائرات:

–1سوخوي 7– بي أم كا :أسقطت في 13 أكتوبر 1973 توفي الطيار محمد ظريف

– 2سوخوي 7– بي أم كا :دمرت في 13 أكتوبر 1973 نجى الطيار صادق بلمبارك

–3ميغ 21– أم أف :أسقطت في 18 أكتوبر 1973 توفي الطيار الشيخ غفور.